المدخل إلى علم

مقارنة الأديان

بين اليهودية والمسيحية والإسلام

تأليف
أ.د / بكر زكي إبراهيم عوض
أستاذ مقارنة أديـــان
كلية أصول الدين - القاهرة

الطبعة الأولى

رمضان ١٤٢٦ هـ أكتوبر ٢٠٠٥ م

الجزء الأول

الإهـــداء

إن يكـــن فـــى هذا العمل تقصير ، فإنه بعون الله مجبور بإهدائه إلى علم من أعلام الدعوة ، على الحق غيور .

فضـــيلة الشـــيخ **محمد عبد المجيد زيدان** وكيل أول وزارة الأوقاف سابقا ، عرفانا ووفاء ، فى زمن الجحود والجفاء .

المُخْلص
بكر زكى

من طيب الكلام

١- فى الجهر بالحق :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۝ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(١٧٥) سورة آل عمران .

٢- فى منهج الدعوة :

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) سورة النحل .

٣- ومن منهجى فى الحياة قول القائل :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا ... وإن مت لست أعدم قبرا

همتى همة الملوك ونفسى ... نفس حر ترى المذلة كفرا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

منذ خلق الله الإنسان الأول (آدم عليه السلام) وصلته به لم تنقطع ، وصلته ببنيه لم تتوقف ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة

والطريقة الأولى – الصلة ببنيه مباشرة – كثرت الآيات الدالة عليها في القرآن سواء فيما يتعلق بحديث الناس مع الله أو حديث الله معهم ، أو حثه الناس على دعائه وإعلانه الاستجابة لهذا الدعاء ، أو تصريحه بوقوع الذنب من العبد وتحقق المغفرة من الله إذا صدقت التوبة .

ويلحق بالصلة المباشرة ، خطاب الله إلى الأنبياء والمرسلين بدون واسطة ، كما أشارت سورة البقرة وآل عمران والمائدة أو بواسطة كما ورد في ختام سورة الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ..﴾ (١).

وصيغ الخطاب الإلهي إن قامت بالأنبياء والرسل فهي في جملتها دعوة إلى اتباع هدى الله في نفسه _ أي النبي والرسول – وإلى حثه غيره على اتباع هذا الهدى ، مع بيان الأثر المترتب على الاستجابة وعدم الاستجابة – قال تعالى ﴿ .. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (٢).

---

(١) سورة الشورى من الآية (٥١) .

(٢) سورة طه الآيات (١٢٣– ١٢٧) .

وقد تتابع الرسل عبر التاريخ الإنساني ، بدءاً من تاريخ الوجود الإنساني حتى ختمت النبوة والرسالة بمحمد ﷺ - قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١) ، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢) .

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٣)

وصريح القرآن على أن النبوة والرسالة قد تتابعت لاعتبارات شتى منها :

١- إقامة الحجة على الخلق عند المساءلة أمام الله ، فأساس المسئولية العلم ومصدر العلم بالدين هم الأنبياء والرسل ، وإذا انتفى العلم انتفت المسئولية قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤) ، بل إن القرآن ليصرح بأن الحق لو حاسب الخلق دون توفر هذا العلم لفتح الباب لهم على الاحتجاج ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (٥)

---

(١) سورة النحل (٣٦).

(٢) سورة فاطر (٢٤).

(٣) سورة النساء (١٦٥).

(٤) سورة الإسراء (١٥).

(٥) سورة طه (١٣٤).

٢- تفاوت الأمم السابقة في لغتها وفكرها وفهمها وعاداتها وتقاليدها تطلب رسلاً منهم ليكونوا أقدر على البلاغ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (١)

٣- عنت بعض الأمم وقسوتها وحدتها تطلب كثرة المرسلين إليها وتعددهم في الوقت الواحد ، وهذا أوضح ما يكون في بني إسرائيل ، فقد رأينا : يعقوب ويوسف معا وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليه السلام ،

وقد عبر عن هذا الأمر موسى عليه السلام خير تعبير ، حين قال لربه : ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . . . قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾(٢).

٤- ندرة وسائل الاتصال ، وتعذر التفاهم اللغوي وشيوع الجاهلية ، كل ذلك تطلب تعدد الرسل . فضلاً عن بعد المسافات بين الأمم.

٥- وفوق هذا كله فالنبوة اصطفاء ، وكل من قدر له في الأزل أمر النبوة والرسالة فإن تحقق ذلك واقع لا محالة .



(١) سورة إبراهيم (٤).
(٢) سورة طه (٢٩: ٣٦).

نشأة الدين

اختلفت الدراسات المتعلقة بنشأة الدين في الشرق عنها في الغرب . وهذا أمر بدهي ، ولكن الشيء الغريب أن يتأثر مسلمو الشرق بأفكار الغرب وينقلوها وينتصروا لها ويحاولون أن يطلبوا الدليل من القرآن الكريم على صحة ما ذهب إليه الغرب ، ونظرة سريعة بين الاتجاهين تكشف النقاب عن الآتي :

أولاً: الاتجاه الغربي في نشأة الدين :

جمهور علماء الغرب على أن الدين مصدره بشرى ، وقد اختلفت النظريات المتعلقة بهذا . فمن قائل : إن أساس الدين ومصدره هو الخوف من الطبيعة وهو الذي دفع السابقين إلى طلب الرحمة منها ، وقد ظنوا أن وراءها قوة خفية تحرك هذه الطبيعة ، فقدسوها طلباً لرحمتها ودعوها بـ(الله) ، ومن قائل : إن ظواهر الحياة هي التي دفعت إلى الاعتقاد في الدين وبخاصة ظاهرة الإحياء والإماتة ، فاعتقدوا أن الروح لا تفنى وأنها تراقب الأحياء وتؤثر عليهم ، وقد فسروا الرؤي المنامية على أنها أثر من تسلط هذه الروح على الأحياء .

ومن قائل : إن باعث الدين هو العقد الاجتماعي أو نظام العيش في جماعة والذي تطلب سن قوانين يستقيم بها أمر البشر ، ثم نزلت منزلة التقديس بمضي الزمن ثم نسبت إلى القوة الخارقة الخفية التي تسيطر على الكون ، ومن قائل : إن الدين ناتج ذكاء أناس عباقرة تولدت لديهم رغبة صادقة في السيطرة على من حولهم ، فأعلنوا أن لهم صلةً بمقدس أوحى إليهم بتعاليم أَمَرَهم باتباعها وحث الناس على اتباعها .

ومـن قـائل : إن الديـن من وضع دعاة ماكرين أرادوا فرض سلطان لهم على من سواهم فمارسوا طقوساً خارجة عن الإلف والعادة ، دعاهـا بالمعجـزات ، وزعموا أنها إلهية المصدر ، وصدقهم عوام الناس ، ثم لاقت الفكرة قبولاً بعد هذا فكان ما يسمى بالدين .

خلاصة التصور الغربي – في كثير من دياره – أن الدين وضع ولـيس وحـياً ، ولا نـنكر أن آخريـن – من الغرب – قد ردوا على أصـحاب هـذه النظريات وأبطلوها . وقد فصل القول في هذا الدكتور دراز في كتابه " الدين " .



نشأة الدين في عقيدة المسلمين :

يؤمـن المسلمون بأن آدم عليه السلام ، قد أتته النبوة وكلف بالرسالة ، وإيمـان المسـلمين ناتج من النصوص التي هي قطعية الثبوت ودلالتها ظنية والنصوص التي دلالتها قطعية .

الطريق الأول: النصوص التي دلالتها ظنية ومنها :

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (٢)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة (٣٧).
(٢) سورة طه (١٢٣).
(٣) سورة آل عمران (٣٣).

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾[1] ومن الذين كلمهم الله كما ورد في القرآن آدم – موسى – محمد .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[2] .

ومن القصة ندرك :

١- تقديم القربان طلباً لمرضاة الله .

٢- التصريح بأن الله لا يقبل من القربان إلا ما كان طيباً حلالاً كسبه.

٣- الخوف من الله هو الذي منع أحدهما من الإقدام على قتل الآخر .

٤- العلم بالجنة والنار وأن النار للظالمين ومن دلالة المفهوم تكون الجنة لأهل العدل أو الصالحين .

والسؤال الآن : من أين توفر لابني آدم العلم بالتكاليف الشرعية والعلم بالثواب والعقاب والجنة والنار ، ألا يدل هذا على أن وحيا قد أوحى به إلى آدم فأعلم به بنيه ؟

<u>الطريق الثاني :</u>

دلالته ظنية من حيث ثبوتها و قطعية من حيث مفهومها ، وهى الروايات الواردة فى كتب السنة النبوية (منها ما هو فى السنن ، ومنها

---

(١) سورة البقرة (٢٥٣).

(٢) سورة المائدة (٢٧: ٢٩).

ما هو فى المسانيد ، ومنها ما هو فى المعاجم) نذكر من تلك الروايات ما يلى :

١- روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)[١] قال الترمذى حديث حسن .

٢- روى أحمد والنسائى عن أبى ذر رضي الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت : لا قال : قم فصل فقمت فصليت ثم جلست فقال يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن ، فقلت يارسول الله أو للإنس شياطين ؟ قال : نعم ... قلت يارسول الله أى الأنبياء كان أول ؟ قال (آدم) قلت يارسول الله ونبياً كان ؟ قال نعم نبى مكلم ؟ قلت يارسول الله كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً " وفى رواية (وخمسة عشر) .. الحديث صححه ابن حبان والحاكم وسلمه الذهبى[٢].

٣- روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً " قلت يارسول الله كم الرسل منهم ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير " قلت يارسول الله من كان أولهم ؟ قال (آدم) قلت يارسول الله نبى مرسل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً ...) وافق على تصحيحه

---

(١) الحديث . الترمذى جـ٥ ك التفسير . سورة الإسراء حديث رقم ٥١٥٦ .

(٢) مسند أحمد ٢٦٥/٥ من حديث طويل والرواية الواردة هنا ١٧٩/٥ ، وبصيغة أخرى ١٧٨/٥ .

الحافظ بن كثير والحافظ بن حجر ورواه عبد بن حميد فى تفسيره والآجرى فى الأربعين (١).

٤- روى الطبرانى وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه عن أبى ذر قال قلت يارسول الله أرأيت آدم ؟ أنبياً كان ؟ قال : نعم نبياً رسولاً كلمه الله قبلاً ، قال له ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة(٢) .

يقول السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى ، والحديث يشير إلى أنه كان نبياً ورسولاً إلى زوجته .

٥- روى أحمد والبخارى فى " التاريخ " والبزار والبيهقى فى " الشعب" عن أبى ذر قال قلت يارسول الله أى الأنبياء كان أولاً ؟ قال (آدم) ، قلت : يارسول الله ونبياً كان ؟ قال "نعم نبى مكلم " قلت كم كان المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً (٣).

٦- روى ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى فى " الأسماء والصفات " عن أبى أمامه ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أنبياً كان آدم ؟ قال : نعم نبى معلم مكلم ، قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال عشرة قرون قال : يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة عشر جماً غفيراً . صححه ابن حبان والحاكم على شرط مسلم وسلمه الذهبى(٤).

٧- روى أحمد وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه عن أبى أمامة أن أباذر قال : يانبى الله أى الأنبياء كان أولا ؟ قال : "آدم" قال : أونبياً كان آدم ؟ قال : نعم نبى مكلم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح بن حبان ٢٤/٨ .

(٢) لم أقف على هذا الحديث .

(٣) مسند أحمد ١٧٨/٥ .

(٤) المستدرك ٥٩٧/٢ ك التاريخ قال الذهبى وفيه السعد ليس بثقة .

قال له : يا آدم قبلاً ، قال : يارسول الله كم عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً [1]. ولهذه الأحاديث طرق ذكرها الحافظ السيوطى فى (الأمالى التفسيرية) بتوسع [2].

رسالة آدم عليه السلام :

تبين لنا أن جمهور المسلمين على نبوة آدم عليه السلام وقد اختلف هؤلاء فى أمر رسالته – على أساس التفرقة بين النبي والرسول عندهم – فرد بعضهم رسالته مستشهدين بحديث الشفاعة (عن أنس أن النبى ﷺ قال : يجمع الله المؤمنين يوم القيامة ، كذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أما ترى الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر لهم خطيئته التى أصاب ولكن ائتو نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...) [3] فظاهر الحديث أن نوحاً أول رسول ومن رأى رسالة آدم عليه السلام ، أول قوله (فإنه أول رسول بعثه الله) أى بعد الطوفان ، وقيل إلى عموم الأرض ، وقيل برسالة مدونة وليست تعاليم شفوية ... إلخ .

ويمكن القول : إذا كانت النبوّة تعنى الإعلام فى خفاء وهى تتضمن – بالنسبة للأنبياء – هدى الله للناس فإن القرآن صرح بأن

---

(١) مسند أحمد ٥/٢٦٥ .

(٢) الأحاديث منقولة عن (آدم عليه السلام) عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى مع التحقق من النسبة .

(٣) البخارى ك التوحيد ١٩ ، ٢٤ مسلم ك الإيمان ٣٢٢ ومسند أحمد ٣/١١٦ .

هـدى من الله سوف يأتى آدم عليه السلام مع بيان النتائج المترتبة على القبول والإعراض ﴿ .. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (1). ﴿ .. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (2) .

إلا أن محتوى الرسالة لم يرد عنه شئ فى القرآن ولا فى السنة – مبلغ علمى – وإن كان العقل يلزمنا بالتسليم بأن شريعة قد نزلت عليه باعتباره أول البشر عند أتباع الوحى ولا يتأتى خلق الإنسان وتركه سدى فى هذه الحياة يضل فى بيداء بلا هداية . وعدم العلم بالرسالة لا يعنى نفيها ، ففرق كبير بين عدم العلم وما يترتب عليه وبين العلم بالعدم ، فإذا ما سلمنا بأن ابنى آدم اللذين ذكر القرآن أمرهما (3) كانا لصلبه تبين لنا أن آدم قد بلغ رسالة ربه بدليل ذكر الجنة والنار والحلال والحرام فى القصة .

كما أن لدينا أسماء لأنبياء في القرآن ، دون أن يرد شئ يتعلق برسالتهم ، مثل (إسحق – يعقوب – أيوب – زكريا – يحيى – إليسع – يونس – سليمان).

دلالة العقل :

من البدهيات أن الحق الموصوف بالرحمن والرحيم ما كان ليخلق إنسانا ويتركه سدى ، دون أن يدله على وجوده ويعلمه بأمره ويوجهه إلى ما يرضيه ويغضبه ، وإن كنا لا نوجب على الله شيئاً لكننا نستنبط ذلك من فقه النصوص الواردة في القرآن الكريم وهل الأمر والنهي والحل والحرمة إلا جزء من الدين ؟

---

(1) طه ١٢٣ ، ١٢٤ .

(2) البقرة ٣٨ .

(3) سورة المائدة الآيات من ٢٧ – ٣١ .

اليهود والنصارى ونشأة الدين :

إذا كـــان المسلمون قد آمنوا بأن الدين قد لازم آدم عليه السلام فمن بعده ، فـــإن اليهود والنصارى لا يقولون بنبوته على الراجح ، وإنما يرون فيه أبـــاً للبشرية قد خوطب من الله فلم يستجب للخطاب ، وأغوته امرأته فكانـــت ســـبباً في خروجه من الجنة (سفر التكوين إصحاح ٢، ٣) ، ويرى النصـــارى انه أورث بنيه الخطيئة فظلت قائمة بهم ، واستحقوا بسببها الجحـــيم حتى جاء المسيح عليه السلام وفدى البشرية من الذنب القائم بأعناقهم عـــن طـــريق قبولـــه الصلب ولهذا يعبر عنه بالفادي كبديل عن ذبيحة الخطيئة في العقيدة اليهودية .

وفـــي كـــل الأحوال فإن جمهور اليهود والنصارى على القول بتـــتابع النـــبوة ، ومـــرجع هـــذا الكلام ما ورد من حديث عن الأنبياء والرســـل في العهد القديم والذي يشير بوضوح وصراحة إلى النبوة من طريقين :

الطريق الأول : الوحي الإلهي الذي نزل على هؤلاء .

الطريق الثاني : المدارس الدينية التي كانت تخرج أنبياء .

وتخـــتلف نظرة اليهود والنصارى إلى النبوة عن نظرة المسلمين ، فلا يـــرون العصمة صفة لازمة للرسل ولا يجعلونها قاصرة على الرجال ولا يرون لهم سننا تتبع ، ويجوز ارتكاب الكبائر منهم وأن وصلت إلى حـــد الكفـــر أو الفســـق أو المجون كشرب الخمر والزنا وقتل الأبرياء وإباحـــة الـــردة وإقـــرار المعصية والذنب من الآخرين .... الخ . وقد فصلت ذلك في بحثي عصمة الأنبياء في الكتاب المقدس .



بيان بالمصطلحات الدينية

الدين - الملة - النحلة - الرسالة - الشريعة . بين التعدد والإفراد

أولاً : كلمة دين ودلالتها اللغوية :

من الألفاظ التي لم تخل منها لغة من اللغات باسمها أو بمدلولها ، لأن التدين فطرة .

وقد تعددت دلالتها بتعدد الأمم والقبائل وتفاوتت بتفاوت الزمان والمكان ، وإن وجد قاسم مشترك بينها جميعا في النهاية .

وبالرجوع إلى المعاجم واستخدام القرآن لتلك الكلمة نجدها تطلق ويراد بها المعاني الآتية :

١- **الجزاء والمكافأة** ، يقال : دانه دينا أي جازاه ، ويقال : كما تدين تدان أي كما تجازِى تجازَى بحسب ما عملت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي مجزيون ، وقال خويلد بن نوفل الكلابي يخاطب الحارث بن أبي شمر :

يا صاح أيقن أن مُلكك زائل   واعلم بأن كما تدين تدان

ودنته بالكسر دينا بالفتح أي جزيته بفعله .

وفي الحديث : اللهم دنهم كما يدينونا ، أي أجزهم بما يعاملونا به .

٢- **العادة والشأن** ، وقيل : إن ذلك أصل المعنى . يقال : ما زال ذلك ديني وديدني تقول أي عادتي . قال المثقب العبدي :

تقول إذا درأت لها وضيني   أهذا دينه أبدا وديني

٣- **الدين** : الطاعة وهو أصل المعنى ، وقد دنته ودنت له أي أطعته ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ وفي آية أخرى : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ أي الخضوع له وحده دون سواه .

قال عمرو بن كلثوم :

وأياما لنا غرا كراما عصينا الملك فيها أن ندينا

وقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يعني في الطاعة .

٤- الدين : الحساب . ومنه قوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يوم الحساب وبه فسر الحديث " الكيس من دان نفسه " أي حاسبها وقوله ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي محاسبون .

٥- الدين : القهر والغلبة والاستعلاء ، وبه فسر الحديث " الكيس من دان نفسه " أي قهرها وغلب عليها واستعلى .

٦- الدين : السلطان والملك ، وقد دنته دينا ، ملكته ، وفسر قوله تعالى : ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي غير مملوكين ، عند الفراء ، ومنه قولهم : يدين الرجل أمره أي يملك .

٧- الدين : الحال والشأن ، قال ابن شميل : سألت أعرابياً عن شيء فقال : لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك .

٨- الدين : القضاء والحكم والملك . وبه فسر قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي حكمه وقضائه ، والديان هو القاضي ، ومنه الحديث " كان عليٌّ ديان هذه الامة بعد نبيها " أي قاضيها ، كما في الأساس . وقال الأعشى يمدح النبي ﷺ يا سيد الناس وديان العرب ، والديان الحاكم والسائس ، وبه فسر قول ذي الأصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب ولا أنت دياني فتخزوني

قال ابن السكيت ولا أنت مالك أمري فتسوسني .

٩- **الدين** : يطلق ويراد به الإسلام ، قال الراغب ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ يعني الإسلام ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ..

كما وردت معاني أخرى حول مدلول هذه الكلمة في لغة العرب والقرآن الكريم .

من ملاحظة جملة المعاني السابقة – من منظور ديني – أنها تؤلف وحدة كلية ، يعبر كل جزء من المعاني عن جانب من المعنى المطلق لها ، فالحاكم – وهو الله – يلزم المحكوم – وهو الإنسان – باتباع أسلوب معين مرسوم – الشريعة – للتعبير عن طاعته وعبوديته له سبحانه وتعالى ، ووعد من امتثل بما ألزمه الله به جزاءً في الآخرة بعد حساب يجرى في يوم الجزاء .

ويرى بعض العلماء ، أن من وراء هذا الاختلاف الظاهر ، تقاربا شديداً ، بل صلة تامة في جوهر المعنى ، إذ نجد أن هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معاني ، وأن التفاوت مرده إلى أصل الفعل ، من حيث التعدي واللزوم .

فكلمة دين – عند التعدي – إما ان تكون مأخوذة من فعل متعد بنفسه " دانه دينا " أو من فعل متعد باللام " دان له " أو من فعل متعد بالباء" دان به " ، وتختلف المعاني باختلاف المتعدي به وذلك على النحو التالي :

أ- إذا قلنا " دانه دينا " عنينا بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه .

فالديــن في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هــو مــن شــأن الملــوك من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسـبة والمجــازاة ومــن ذلــك قولــه تعالى : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ..

ب- وإذا قلــنا دان له : أردنا أنه أطاعه وخضع له ، فالدين هــنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع ، وكلمة الدين لله ، يصــح أن يفهــم مــنها كلا المعنيين الحكم لله أو الخضوع لله ، وواضــح أن هذا المعنى الثاني ، ملازم للأول ومطاوع له وأنه دانه فدان له ، أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

جـ- وإذا قلنا : دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه دينًا ومذهبا ، أي اعــتقده أو اعــتاده أو تخلق به ، فالدين على هذا هو المذهب ، والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا وعملياً .

ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضاً للاستعمالين قبل – لأن العــادة أو العقــيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلزم اتباعها.

وجملــة القــول : أن كلمة دين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف الأول كان خضوعاً وانقيادا وإذا وصف بها الطرف الثاني كان أمراً وسلطاناً وحكمــاً وإلزاماً . وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها [١].

---

(١) الدين د/ محمد دراز ٢٥- ٢٧ بتصرف .

مدلول كلمة دين عند غير المسلمين :

تطلــق الكلمة في الفكر المسيحي ، ويراد بها المقدس ، وهي ما حلت فيه قوة غيبية ميزته عن الدنيوي ، وألبسته ثوب القداسة ، فاحتل مركزا يرفعه عن غيره من الموجودات ، ولذلك لا يجوز الاقتراب منه إلا في إطار التعاليم الدينية ويطلق عليه (التابو).

فــإذا وصف اسم بوصف مشتق من كلمة " الدين " دلّ ذلك على أن مسمى هذا الاسم مقدس ..

ويطلــق الديــن عند الكاثوليك ويراد به : علاقة الإنسان بالإله الحــي الــذي أنزل وحياً وأوصى بإقامة كنيسة لحفظ هذا الوحي ولهذا فالديــن عــندهم يــتمركز في المؤسسة الدينية " الكنيسة " ومن يتولون مناصبها وانفرادها بالتبجيل والاحترام والخضوع لها خضوعاً كلياً .

ويخــتلف البروتســتانت عن الكاثوليك في فهمهم للدين ، فهم لا يعــترفون بالســلطة المطلقــة للكنيسة ولا يقرون بانفراد البابا بتفسير الكتاب المقدس ولا يعترفون بعصمته .

والدين عند الصينيين يراد به الشريعة .

وأما الهنود فإنهم يرونه النظام الثابت للعالم .

وعند الجرمان : مبدأ الكون والقانون الإلهي أو النظام الإلهي .

ثانياً : كلمة الدين ودلالتها في الاصطلاح :

يرتــبط التعريف الاصطلاحي بنظرة المعرفين بناءً على تصورهم لــه في ضوء علمهم ومعارفهم . ولذلك بلغت التعاريف الاصطلاحية حداً في الكثرة لا يمكن استقصاؤها الآن ، لضيق الوقت ومقتضى الحال .

إلا أننا نسوق بعض التعاريف لبيان بواعث الخلاف بين المعرفين ، ومن هذه التعريفات ما يلي :

١- الدين : هو الرباط الذي يربط الإنسان بالله .

٢- الديــن : نظـــام أو مجموعة من الحقائق العامة ، لها تأثير في تكييف الخلق إذا صدق الاعتقاد بها وفهمت فهما واضحا قويا .

٣- الديــن : مجموعـــة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشـــياء المقدســـة اعـــتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية .

٤- الديــن : توجـيه الإنسان سلوكه وفقاً لشعوره بصلة بين روحه وروح خفــية ، يعـــترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ويطيب له أن يشعر باتصاله بها .

٥- الديــن : جملـــة من العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله ومع الناس وفي حق أنفسنا .

٦- الديــن : الـــتزلف والتقرب إلى القوى العليا التي تفوق الإنسان والتي يعتقد أنها توجهه وتوجه الطبيعة وتتحكم فيها [١].

٧- الدين : وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن الرسول . قاله ابن الكمال .

٨- الدين : وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات.

٩- الديــن : الإيمـــان بوجود الله وكمالاته وإظهار إرادته للإنسان والتزامه بأوامره واجتنابه نواهيه .

---

(١) الدين صـــ٢٩- ٣٣ ، المدخل إلى علم مقارنة الأديان أ.د شامة صـــ٨.

١٠- الديـــن : هـــو التقوى الحقيقية التي تمكن من القيام بالفروض الإلهية وبالواجب علينا لأبناء طينتنا طاعة لله .

نلاحـــظ من جملة التعاريف السابقة أن سبب الاختلاف مرجعه إلى حـــال المُعرفيـــن ، فمـــنهم من نظر إليه من حيث الطقوس والشعائر ، ومـــنهم من نظر إليه من حيث المصدر ، ومنهم من نظر إليه من حيث الغاية والهدف ، ومنهم من عرّفه بلازمه ، كما لعبت الثقافة دورها في اخـــتلاف التعاريف ، وحسبنا أن تعريفات الغرب تختلف عن تعريفات الشـــرق ، وقـــد ذكر ذلك وفنده المرحوم الدكتور دراز في كتابه القيم "الدين " .



الدين في اصطلاح النصارى :

وردت له تعريفات عدة منها :

١- هو عبارة عن مجموعة النواميس الضابطة لعلاقة الإنسان بالله .

٢- هو ما يربطنا بالخالق أو يجعلنا متعلقين به أو متحدين معه .

٣- هو مجموعة متكاملة من الشعائر والطقوس المبنية على أساس من هذا الدين أي الإيمان بقوة أعظم من الإنسان (١).

ويلاحـــظ أن هـــذه التعريفات لم تسلم إلا عند ذويها فقط ، ولقد نقد علمـــاء الاجـــتماع تعريف الفلاسفة لكلمة الدين ورأوا في تعريفهم البعد عـــن كون الدين وحيا إلى كونه وضعا إرتآه العقل فدان به ، كما أنه لا يهتم بالعلاقة بين الإنسان والإنسان .

---

(١) بحوث ممهدة لدراسة الدين .

والمشـــتغلون بعلــوم الدين نقدوا تعاريف علماء الاجتماع الذين تصــوروا الديــن فــي كونه مظهراً من مظاهر الحياة وأبعدوا جانب الروحانــيات منه ودللوا على أنه مجموعة متساندة من القوانين لصلاح أمر البشر في هذه الحياة وهم متأثرون في هذا بطبيعة علمهم .

كمــا أن أصــحاب الدراسات الدينية قد نقدوا تعريفات بعضهم محتجيــن بأنهــا تعريفات غير جامعة ولا مانعة ، أو أنها قاصرة على الديــن الحق دون الدين الوضعي ، أو لغفلتها المصدر واهتمام المعرف بالطقوس ... الخ .

وجملــة القول : إن التعاريف الاصطلاحية لأسماء المعاني من الصــعوبة بمكان وهي متغايرة – وسوف تظل – وكل المحاولات التي تبذل إنما هي في وضع تعريف يجمع قدر الاستطاعة مدلول هذه الكلمة حسب التصور الذهني لها .

التعريف الذي نراه :

الديــن : هــو خضوع حرّ باختياره لذات علي وجه أرادته تلك الــذات أو تصوره الخاضع من قبل نفسه ، خضوعاً من شأنه أن ينظم علاقة الإنسان بهذه الذات ...

ومهمــا كثرت الاعتقادات وتعددت وتباينت فإنها تتحد من حيث الاعتقاد في قوة غيبية مقدسة لها سلطة التأثير على هذا العالم ..

وهذا التعريف يشمل الدين الإلهي والدين الوضعي ويبين القاسم المشترك بينهما في بعض الجوانب .

الدين في اصطلاح علماء الإسلام :

هو وضع إلهي لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات لصلاحهم في الحال وفلاحهم في المآل . هكذا ورد في تاج العروس ونقله د/دراز دون الإشارة إلى المصدر .



مفهوم كلمة (ملة)

الملة بالكسر الشريعة أو الدين ، كملة الإسلام ، النصرانية ، اليهودية ، وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل ... وتملّل وامتل دخل فيها أي في الملة كتسنن واستن من السنة .

قال أبو إسحاق : الملة في اللغة السنة والطريقة ، ومنه ملة إبراهيم خير الملل[1] .

ويرى الراغب الأصفهاني : أن الملة كالدين . وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله ، ويفرق بينها وبين الدين بما يلي :

١- أن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه نحو ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[2] ، وقول يوسف عليه السلام : ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾[3] ، وقول الحق : ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾[4] ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد الأمة .

---

(١) تاج العروس فصل الميم من باب اللام ١٢٩/٨، ١٣٠.

(٢) سورة آل عمران (٩٥) .

(٣) سورة يوسف (٣٨) .

(٤) سورة النحل (١٢٣) .

٢- أن الملــة لا تســتعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها ، لا يقال الصلاة ملة الله ولا يقال : ملتي وملة زيد كما يقال : دين الله ودين زيد .

٣- الملــة تقــال : اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله والدين يقال : اعتباراً بمن يقيمه إذا كان معناه الطاعة .

ومــا ذهب إليه الراغب الأصفهاني من التفرقة بين الدين والملة فــي بعض الأحيان معارض بما ذهب البعض إليه من أن الدين والملة يــتحدان فــي الذات ويختلفان في الاعتبار ، فإن الشريعة من حيث إنها تطــاع تسـمى ديـنا ، ومـن حيث إنها تجمع تسمى ملة ، ومن حيث الرجوع إليها تسمى مذهباً[1] .

والـذي أراه : أن كلمة ملة وكلمة دين بينهما اتفاق وافتراق من حيــث المعــنى ، فإذا ذكرت إحدى الكلمتين مستقلة شملت الأخرى من حيــث المعنى فيشمل الدين مدلول الملة وتشمل الملة مدلول الدين ، حقا كــان الاعــتقاد أم بــاطلاً ، وإن اجتمعت الكلمتان في سياق واحد كان المراد بالدين : التعاليم الموحى بها ، وكان المراد بالملة التطبيق العملي لتلك التعاليم .

ويمكــن أن نجعــل ذلك من ذكر المترادفات تباعاً ، وحسبنا أن الكلمتيــن لم تردا مجموعتين في سياق واحد في القرآن والسنة ، وإنما وردت كلمــة الملــة مفــردة وأطلقت على ما أطلق عليه الدين ، فمن إطلاقها على الدين الإلهي والاعتقاد الحق ما ورد في قوله سبحانه :

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٤٧١- ٤٧٢.

أ- ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾، ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وقال يوسف عليه السلام: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾، وخوطب ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ وامتن على هذه الأمة بقوله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ فكلمة ملة فيما سبق يراد بها الاعتقاد الحق ووحي الله إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام.

ب- ومن إطلاقها على المعتقدات الباطلة ما ورد في قول الحق عن لسان يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ وقول المشركين بحق الإسلام: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ وعندما دعا قوم شعيب إياه إلى الإعراض عن دعوته واتباع ملتهم ورد قول الحق: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۞ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا . . . ﴾ وورد الحديث بصيغة العموم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا . . ﴾ وبين أن دين اليهود والنصارى يدعى بالملة كذلك: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾، وتخوف أهل الكهف من العبادة الباطلة التي كان يدين بها

وثبتوا عصرهم قائلين : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ .

وبذلك يتأكد لنا إطلاق الملة على الدين ، والدين على الملة وهو ما رجحه كثير من الباحثين .



مفهوم كلمة (نحلة)

النحلة جمعها نحل بكسر ففتح ، وأصلها اللغوي الانتحال ، يقال انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان ، إذا ادعى أنه قائله ، وتنحله ادعاه وهو لغيره ، وواضح من الدلالة اللغوية أن الأصل في الكلمة الكذب وادعاء ما لا يستحق الإنسان عن عمد ، وتلك طبيعة النحل التي أعرضت عن وحي الله وابتدعت دينا من قبل أناس زعموا أن مصدره إلهي .

وقد اصطلح علماء المسلمين على تسمية أتباع الوحي بأهل الدين والملل ، وعلى أهل الديانات الوضعية بأهل الأهواء والنحل .

فحصروا أهل الديانات في المجوس واليهود والنصارى والمسلمين .

وأهل الأهواء والنحل في الفلاسفة والدهريين وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة ومن شابههم من العقائد .

ويفهم من هذا أن أهل الأهواء والنحل يقابلون أهل الدين تقابل تضاد ، ولهذا شاع لفظ الملل والنحل بين علماء تاريخ الأديان في المجتمع الإسلامي وفهم منه إطلاق لفظ " الملة " على عقيدة من له كتاب سماوي أو شبهة كتاب ، ولفظ النحلة على الدهريين وأشباههم .

وقد وردت كلمة " نحلة " في القرآن كله مرة واحدة ، في قول الحق : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ وفي بيان المراد من كلمة نحلة ورد :

١- قال الزبيدي : قال بعضهم فريضة وقيل ديانة ، وقال ابن عرفة : أي دينا وتدينا وقيل أراد هبة (١).

٢- وقال الراغب الأصفهاني : النحلة العطية على سبيل التبرع وهي أخص من الهبة ، إذ كل هبة نحلة وليس كل نحلة هبة (٢).

٣- وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم ورد : تطلق النحلة على الدين والملة ، ويقال صدقة الفطر نحلة أي دين وفريضة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ فسرت بالإعطاء دون عوض ، وبالعطية - أي عين العطية - دون عوض وبالفريضة والدين (٣).

٤- وفي تفسير القرطبي ورد " قال قتادة معنى " نحلة " فريضة واجبة . ابن جريج وابن زيد : فريضة مسماة ، وقال الزجاج " نحلة تدينا ، والنحلة الديانة والملة يقال : هذا نحلته كذا أي دينه ... " (٤).

وبذلك رأى بعض العلماء كلمة نحلة مرادفة لكلمة دين وملة ، وقد ذكر ابن حزم في الفصل قوله " .... قد أكملنا بعون الله الكلام في الملل ، فنبدأ بحول الله في ذكر نحل أهل الإسلام وافتراقهم فيها وإيراد

---

(١) تاج العروس ١٣٩/٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن مادة " نحل " .

(٣) معجم ألفاظ القرآن ٤٩٨/٢.

(٤) القرطبي ١٥٩٤/٣.

مـــا شـــعب به من شعب منهم فيما غلط فيه من نحلته وإيداء البراهين الضرورية على نحلة الحق من تلك النحل كما فعلنا في الملل .. " [1]

وبذلك يظهر لنا رأيان :

الـــرأي الأول : رأي الجمهـــور وهـــو أن الـــنحلة تطلق على المذاهب الوضعية في مقابل الدين والملة .

الرأي الثاني : أن المصطلحات الثلاثة تطلق على كل معتقد حقا كان أو باطلاً .



الدلالة الشرعية والجمع :

فـــي عقيدة المسلمين أن كلمة الدين إن أريد بها الاعتقاد المقبول عـــند الله فلا يراد بها غير الإسلام ، وهو الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط لسببين:

السبب الأول : أن مصدر هذا الدين هو الله .

السبب الثاني : أنه يَسِمُ صاحبه بِسِمَة الطاعة مع الرضى .

ومـــن هـــنا فكل دين مصدره بشرى ، أو يحمل أفراده على الإكراه فى الاتـــباع لايكون صحيحا وبخاصة إذا خالف الوحي الإلهي ، والمخالفة أمر بدهي فى غير دعوة محمد عليه السلام .

وقصر كلمة الدين على المدلول الشرعي يقوم على :

١- نسبة كلمة الدين إلى الله ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾

٢- نسبة كلمة الدين إلى الرسول ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ [2]

---

(١) الفصل ١٠٥/٢ : ١٠٦.

(٢) سورة يونس (١٠٤).

٣- نسبة كلمة الدين إلى مسلم تقول : أدين بكذا أي أعتقد ،

٤- وصـف كلمة دين بما يرد كل معتقد باطل . مثل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [1]، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [2]، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ [3]

٥- السـياق الذي وردت فيه الكلمة ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [4]

ولمـا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن الكلمة إذا جاءت محلاة باللام فـيراد بهـا الإسلام وإذا لم تأت محلاة باللام فيكون المراد بها العقائد الأخـرى ، فهذا غير صحيح لأن الكلمة وردت محلاة باللام ويراد بها غـير الإسـلام كذلـك ، قـال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [5] ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [6]

كلمة رسالة :

إذا كانت كلمة دين لم ترد مجموعة في ثنايا القرآن خشية اللبس ولرفع الإيهام في الاستواء فإن كلمة رسالة قد وردت مجموعة في قول

---

(١) سورة الروم (٣٠).
(٢) سورة الأنعام (١٦١).
(٣) سورة الصف (٩).
(٤) سورة الشورى (١٣).
(٥) سورة الصف (٩).
(٦) سورة الشورى (٢١).

الحق سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١).

ندرك من النص جمع كلمة "رسالة" على "رسالات" فما مرد الجمع ؟

إن كلمة رسالة إما أن تكون مرادفة لكلمة دين فلا تجمع في هذه الحالة إذا أريد بها المعنى الشرعي ، أو يراد بها النص الموحي به ، فإذا أريد بها النص الموحى به فيمكن جمعه لاعتبارات شتى منها :

١- تعدد اللغات التي نزل بها الوحي ، سريانية - قبطية - عبرية - عربية .

٢- تعدد المضمون في الرسالة الواحدة : عقيدة وشريعة وأخلاق ، وتعدد مفردات هذه الجوانب إلى : إلاهيات ونبوات وسمعيات ، وعبادات ومعاملات وأنكحة وحدود وجنايات وجهاد وسير وتعدد الأخلاق وتنوعها إلى محمودة ومرذولة ..

٣- تكرار نزول جبريل بأجزاء من الكتاب الموحى به ، واعتبار كل مرة يتنزل فيها بقدر من النص الموحي به أنه رسالة ، يقوم النبي بتبليغها ، فإذا جمعنا الرسل وجمعنا النصوص الموحى بها فرادى ، ومجموعة صارت رسالات.

٤- أن كل أمر أو نهي إلهي هو رسالة في حد ذاته ، وتبليغه وتتابعه - أي الأمر والنهي وتكرار تبليغه يعد رسالة .

٥- أن الجمع بحسب الإضافة فإذا قلنا رسالة موسى ورسالة عيسى ورسالة محمد وجمعنا ذلك كانت رسالات .

٦- أو أن الجمع مرده إلى الكتب الموحي بها إلى الأنبياء والرسل ، كما يقال رسالة موسى التوراة ، ورسالة عيسى الإنجيل ورسالة محمد القرآن ، وهذا من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء .

---

(١) سورة الأحزاب (٣٩).

كلمة شريعة:

لـم ترد في القرآن كله مجموعة بصورة مباشرة ، وإنما وردت مجموعـة بدلالة المفهوم ، أخذاً من قول الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾(١).

وإذا كان علماء الشريعة قد جعلوا النص دليلاً على تعدد الشرائع الإلهية فـإن فهمـي للـنص غير هذا فالقضية قائمة على خلاف بين الرسـول وبيـن أهل الكتاب ، هم يطلبون منه أن يحكم وفق هواهم ، وهـذا شأنهم في الأحكام ، والأمر للرسول بأن يحكم بما أنزل الله غير مبال بغضبهم أو رضاهم لا من قريب أو بعيد ، لأن شأن الرسول غير شأنهم وأمره غير أمرهم وإن يلتقيا لأن الله لم يشأ ذلك ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾.

فالتعدد والجمع هنا للتنوع وتعذر التلاقي لا جمع أفراد بناء على وحدة جوهرها .

وأمـا مـا ذهب إليه البعض من دلالة النص على تعدد الشرائع وتفاوتها واختلافها من رسول لرسول ولمة لأمة فلا دلالة فيه على ذلك وسوف أعالج ذلك في مبحث أصول الرسالات السماوية – إن شاء الله –



---

(١) سورة المائدة (٤٨).

الدين وتعدد صفته :

إذا كان الحق سبحانه قد حدد مسمى دينه عبر التاريخ حسب ما ورد في القرآن الكريم بأنه (الإسلام) ومن يراجع مادة (سلم) في المعجم المفهـرس لألفاظ القرآن الكريم يدرك ذلك واضحاً بحق نوح وإبراهيم وأبـنائه ويعقـوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وبلقيس وأنبياء بني إسـرائيل (الذين أسلموا) ومحمد– صلى الله وسلم عليهم أجمعين – فمن أين جاءت المسميات الموجودة الآن (اليهودية – النصرانية) ؟

إن كلمـة يهوديـة وكلمة نصرانية أو مسيحية صارتا علما بالغلبة على رسـالتي موسـى وعيسى عليهما السلام ، وإن موسى وعيسى لم يعلنا هذه التسمية ولم ترد في النصوص المنسوبة إليهم في الكتاب المقدس أو القرآن الكريم ، فمن أين جاءت هذه المسميات وما حكم استخدامها الآن ؟

يقول المفسرون وعلماء الأديان إن مرد كلمة يهودية إلى عوامل منها العنصرية أو الوصفية ، أما العنصرية فهي :

١– نسبة إلى يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل والذي غلب أبناؤه على الحكـم بعـد ، وعندما نقلت الكلمة من العبرية إلى العربية قيل يهـودا ، بتصحيف الذال إلى دال ثم نسب إليها فقيل " يهودي" بعـد حـذف الألـف المتطرفة ، وتدل هذه الكلمة على كل من ينتسب إلى بني إسرائيل ويدين أو يتبع موسى عليه السلام.

٢– نسبة إلى التهود أي الترنح عند قراءة التوراة وهذه سمة اليهود عند تلاوة التوراة حتى الآن .

٣– أو مـن قولهم : " إنا هدنا إليك " أي تبنا ورجعنا ، ووسموا بها لأن توبـتهم أشـق أنواع التوبة في تاريخ البشرية ، فكل يتوب بـالقول والفعـل أخذا من ظواهر النصوص إلا بني إسرائيل ،

جعل الله توبتهم في قتلهم أنفسهم: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (١)

وإن كان رأي المفسرين هذا إلا أنني أرى المبالغة في الطاعة إلى حد إذابة ما علق بالنفس من شرور هو المقصود من قتل النفس .

هذه هي أرجح الآراء في التسمية بكلمة يهود ويهودي وهي إلى وصف بني إسرائيل أقرب منها إلى وصف المعتقد ، إلا أن اليهود أنفسهم قد استخدموها في الدلالة على المعتقد ، قال تعالى :﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٢)

كما استخدمها القرآن في الدلالة على الأمرين معاً :﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٣) ، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (٤).

كلمة المسيحية – النصرانية- :

كلمة المسيحية نسبة إلى المسيح عليه السلام، وأما تسميته هو بالمسيح فقيل لفقدانه الشهوة ، وقيل لكثرة حركته على الأرض ، وقيل غير ذلك ، والصواب أن التسمية إلهية وردت عند البشارة به ، وأما النصرانية فمردها إلى قرية الناصرة أو إلى نصرة المسيح أو إلى قولهم " نحن أنصار الله " إجابة لقوله " من أنصاري إلى الله " ولما كانوا مضرب المثل في التضحية لنصرة المسيح دعوا بهذا .

وهذه النسبة فيها خلاف بين كثيرين ليس وقت بيانه الآن .

---

(١) سورة البقرة (٥٤).
(٢) سورة البقرة (١٣٥).
(٣) سورة التوبة (٣٠).
(٤) سورة البقرة (١٢٠).

هذان الاسمان بين الإطلاق والتقييد :

إذا كـــان الاسمان السابقان (يهود - نصارى) قد وردا كثيراً في القرآن الكريم مراداً بهما أتباع موسى وعيسى عليهما السلام، فإن القرآن لم يَرِدُ هذه التسمية وقت النزول ، كاصطلاح صار علماً بالغلبة على هؤلاء ، وعـــندما أراد اليهود والنصارى أن يجعلوا ذلك - أي التسمية - وحياً إلهياً وعقيدة دينية ، ردّ القرآن ذلك ، لأن ما عليه القوم غير ما جاء به موســـى وعيســـي علـــيهما الســـلام ، وقال تعالى :: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (1)

فقال اليهود كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى كان إبراهيم نصرانياً ، فـــنزل القرآن :﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (2)

وفـــي الـــنص تعـــريض بهـــؤلاء دون الإفصاح " وما كان من المشـــركين " وعـــندما كـــثر جدلهـــم وحوارهم حول هذا الأمر ، ورد الخطـــاب العقلي الهادي الهادف :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (3) .

بعض علماء الإسلام وموقفهم من التسمية بالمسيحية :

كتـــب بعـــض علمـــاء الإسلام منكراً إطلاق كلمة مسيحية على رســـالة عيسى عليه السلام ، داعياً إلى استخدام كلمة نصارى ، لأنها الكلمة التـــي ورد بها النص القرآني ، وهذا الاتجاه موجود في المملكة العربية

---

(1) سورة البقرة (١٣٥).

(2) سورة آل عمران (٦٧).

(3) سورة آل عمران (٦٥،٦٦).

السعودية كما هو موجود في مصر وأول من أشار إليه ابن تيمية وتبعه أبو بكر زكرى فى معجم المناهى اللفظية .

والصواب : أن النهي عن استخدام كلمة مسيحية واستخدام كلمة نصرانية غير علمي لأنه يعنى إقرار التسمية "بنصرانية" من قبل هؤلاء وكأنها صارت تسمية شرعية ، مع أن القرآن قد أبطل كون التسمية وحيا حين أراد هؤلاء أن ينتزعوا صفة شرعية على التسمية ، بل إنه نص صراحة على أن حواري المسيح قد أعلنوها مدوية ﴿ ..وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1] ﴿ .. وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[2] .

والتسمية بنصارى هي دعواهم كما ورد في القرآن :﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[3] ﴿ .. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى .. ﴾[4] .

والقرآن لم يعن بنقد التسمية قدر عنايته بنقد المضمون ، كما هو واضح في ثنايا النصوص القرآنية الكريمة .

---

(١) سورة آل عمران (٥٢).

(٢) سورة المائدة (١١١).

(٣) سورة المائدة (١٤).

(٤) سورة المائدة (٨٢).

صـــرح القرآن بوحي الله إلى عدد من الرسل ، كما في الآية الكريمة :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

والآية الكريمة ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (٢) ، ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا .. ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ (٤)، وقوله ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ .. ﴾ (٥) ، ومثل ذلك كثير في القرآن .

والنص الموحي به إلى نبي من الأنبياء إما أن يذكر باسم عام لا يعني تخصيصاً كما في قول الحق سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (٦)

---

(١) سورة الأنعام (٨٣-٨٧).
(٢) سورة النساء (١٦٣).
(٣) سورة الشورى (١٣).
(٤) سورة البقرة (١٣٦).
(٥) سورة آل عمران (٨٤).
(٦) سورة غافر (٣٤).

دون تسمية هذه البيانات باسم علم يحددها عن غيرها .

بل إن الرسل الذين ورد ذكرهم في الآيات السابقة لم تسم الكتب الموحي إليهم بها إذ ما استثنينا إبراهيم وموسى وداود وعيسى ومحمد) عليه السلام.

فلماذا لم يرد ذكر لها ؟ الأمر غيب ، وظاهر القول أن ما في ذكره فائدة ورد في القرآن ، وما لا فائدة في ذكره أمسك عنه القرآن ، كما أن القرآن ليس كتاب تاريخ يجمع السير والكتب بل هو كتاب هداية ، وقد ذكر أسماء الموحي به باسم جنس في بعض المواطن وباسم علم في مواطن أخرى .

فمما ورد اسم جنس كلمة " صحف " مضافة إلى إبراهيم وموسى ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾(١).

ثم ذكر القرآن بعض ما ورد في هذه الصحف عقب هذا النص في سورة النجم ، وفي سورة الأعلى ذكر بعض خصائص الإنسان وختمها بقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾(٢).

وكلمة صُحف جمع صَحيفة ، والصَّحيفة كل ما يكتب فيه ، دينيا كان المكتوب أو غير ديني .

كما وردت كلمة " كتاب " و" الكتاب " في بعض آي القرآن ، غير مضافة إلى هذا أو ذلك من الأنبياء والرسل وكل مكتوب يسمى كتاب قلَّ المكتوب أو كثر : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾(٣).

هذا هو مضمون الكتاب ، والرسول ﷺ كان يرسل كتباً لا يتجاوز مضمونها سطوراً معدودة ويختمها إلى المرسل إليه بقوله : فإن أتاك كتابي هذا .

---

(١) سورة النجم (٣٦، ٣٧).

(٢) سورة الأعلى (١٨، ١٩).

(٣) سورة النمل (٢٩: ٣١).

وعمـــر بـــن الخطاب ﷺ كان يرسل كتبا لا تتجاوز سطرين أو عدداً من الأسطر وتسميتها بسمة " كتاب " " كتابي " الخ .

ومـــن هـــنا تكون دلالة كلمة كتاب في النص القرآني بحسب السياق أو القرينة اللفظية أو القرينة المعنوية .

وأمـــا كلمة " بينات " مفردة أو مجموعة فإنها تدل على الدلائل التـــي أقامهـــا الأنبياء والمرسلون على صدق دعواهم من ناحية وعلى صدق ما يدعون إليه من ناحية ثانية ، دون أن يراد بها مسمى معين ، ولذلـــك وردت في القرآن مضافة إلى رسول من الرسل كيوسف عليه السلام وإلـــى جملة الرسل ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ فـــإذا عقب عليها بما يخصصها مفردةً أو مجموعة دل على المـــراد بهـــا ، كمـــا فـــي قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۞ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ (١)

فرســـول بـــدل من البينة وجمهور المفسرين على أن المراد به محمد ﷺ ، وهي تعني ذاتاً لا نصاً موحاً به ،

ويلحـــق بهذه التسميات (صحف – كتاب – بينة) كلمة ذكر ، إذا أريد بها الوحي الإلهي وكذلك كلمة حكمة ،

<u>أســماء الأنبياء الذين سمى القرآن النص الموحي إليهم به مع تحليل التسمية :</u>

١– إبراهـــيم عليه السلام وما أوحى إليه به يسمى صحفاً ، وهي مفقودة ، وقد اطلعـــت على كتاب ما يزعم ناشره أنه صحف إبراهيم ، ولا دليل له على ذلك وليس عندنا من هذه الصحف إلا ما أشار إليه القرآن الكريم

٢– موسى عليه السلام وينسب إليه مسميات منها :

أ– التوراة وهي اسم علم على النص الموحى به إلى موسى ، ويراد بهـــا الشـــريعة والقرآن كله لم يصرح بنسبة التوراة إلى موسى

---

(١) سورة البينة (١، ٢).

صـــراحة وإنمـــا ذكر التوراة ككتاب منزل من عند الله ، ونص علـــى أن أنبياء بني إسرائيل كانوا مأمورين بالعمل بها : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (١)

وأمـــا ثـــبوت نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام فقد ورد من طريق السـنة ، وفي الحديث أن موسى قد حاج آدم عليه السلام قائلاً له : أنت الذي خلقـك الله بـيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه كنت سبباً في إخراج أولادك من الجنة .

فقال له آدم عليه السلام: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله بكلماته وخط لك الـتوراة بيده أتلومني على أمر قد قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين عاماً " البخاري ك القدر ١١ ، ك الأنبياء ٣١ .

يقول المصطفى ﷺ فحج آدم موسى – أي غلبه – والشاهد عندي فـي قوله " خط لك التوراة بيده " وعدم إنكار الرسول هذه المقولة على آدم عليه السلام .

ب- الألواح : وقد وردت نسبتها صراحة إلى موسى في قول الحق :

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (٢) وقوله : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (٣) ، وقوله تعالى:

---

(١) سورة المائدة (٤٤).
(٢) سورة الأعراف (١٤٥).
(٣) سورة الأعراف (١٥٠).

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾[1]

فهل الألواح غير التوراة أم هي التوراة ؟ والتعبير لتعدد الأسماء كما في تعدد أسماء القرآن بحسب مضمونه ،

جمهـور علمـاء المسـلمين على أن الألواح غير التوراة ، وأن موسى عليه السلام قد أعطى وحيين : وحي نظري هو التوراة .

ووحي عملي هو الألواح .

وهـذا الكلام تبدو فيه آثار الفكر اليهودي ، والذي يرى أهله أن موسى عليه السلام قد نزلت عليه شريعتان :

شريعة نظرية هي التوراة وهي تمثل الشق العقدي .

شريعة عملية هي التلمود وهي تمثل الشق العملي .

والـراجح عندي أن كل وحي أوحي به إلى رسول من الرسل ، قـد بـدأ بالجانـب العقدي فإن وجد الرسول استجابة انتقل الوحي به وبأتباعه إلى الشق التشريعي (عبادات – معاملات – أنكحة – حدود – جنايات) ومعهما معاً تكون القيم والأخلاق.

والألواح بظاهر النص فيها الشق النظري (موعظة) وفيها الشق العملي (وتفصيلاً لكل شيء) وتكون الألواح – جمع لوح – مما أعطى إياه موسى مكتوباً كجزء من التوراة وقد ألف الناس إطلاق هذه التسمية على ما يكتب فيه كذلك .

جـ- الصحف : وقد وردت الإشارة إليها وكل ما يكتب فيه يسمى صـحيفة وجمعها إلى غيرها يعطي" صحف " وهي كلمة شاملة لجملة الوحي إلى موسى عليه السلام .

---

(1) سورة الأعراف (١٥٤).

٣- داود عليه السلام صرح القرآن باسم الموحي إليه به " ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[1] ، وبعض العلماء يقول : إن المراد به كتاب . لأن زابور جمع زبر والزبر ما كتب فيه ، أخذا من قوله تعالى :﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [2].

وبهذا الفهم لا تكون التسمية خاصة بالموحي به إلى داود عليه السلام

والصواب عندي أن كلمة (زبوراً) اسم علم على النص الموحي به إلى داود عليه السلام ، وأن التشابه لا يحول دون المراد فالسياق ضابط للدلالة ، فمثلاً كلمة (صالح) لها معان عدة ، واطلاقات شتى منها : الدلالة على اسم شخص معين ، ومنها : العمل الذي يوافق الشرع ، وتستخدم للسخرية والتهكم ، فهل تنفي الاستخدامات الأخيرة الإطلاق الأول وهل ينصرف الإطلاق الأول إلى المعاني الأخيرة ؟ كلا

٤- عيسى عليه السلام: والنص الموحي إليه به دعى باسم عام هو البينات باعتباره أحد أفراد هذا الاسم ، وباسم خاص هو الإنجيل والإضافة فيه دلالتها قطعية قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[3]

٥- محمد ﷺ وقد أعطى وحيين :

أ- القرآن الكريم : وله أسماء تبلغ حداً في الكثرة تجاوز بعضهم بها المائة .

ب- السنة النبوية المطهرة ولها أسماء كثيرة ولكن دون أسماء القرآن بكثير من حيث العدد .

---

(١) سورة النساء (١٣٦).

(٢) سورة الشعراء (١٩٦، ١٩٧).

(٣) سورة الشعراء (١٩٦، ١٩٧).

النصوص الموحى بها بين الإلقاء الشفوي والإلزام الكتابي

اختلف علماء الأديان في تدوين النص الموحي به إلى السابقين ، هل تم أم لا ؟

وإذا كان التدوين قد وقع فهل وقع بين يدي الرسول الموحى إليه أم بعده ، وهل سلم هذا النص من اليد التي كتبته أم أن الأمانة لم تقم بها ؟

الأمانة تتطلب معالجة الأمر من طريقين :

١- طريق نصوصه قطعية ودلالتها ظنية وهو القرآن الكريم .

٢- طريق نصوصه ظنية ودلالتها كذلك وهو ما ورد في الكتاب المقدس

أما الطريق الأول - القرآن الكريم - فقد وردت فيه آيات تصرح بتحرير أهل الكتاب لما أوحى إليهم به دون أن تشير إلى زمن التحريف ، مع التصريح بالكتابة والتصرف في المكتوب وهذه النصوص هي :

١- ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٢- ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢)

٣- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

٤- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

---

(١) سورة البقرة (٧٥).

(٢) سورة البقرة (٧٨، ٧٩).

(٣) سورة البقرة (١٤٦).

(٤) سورة آل عمران (٧١).

٥- ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٦- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (٢)

٧- ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣)

٨- ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٥)

---

(١) سورة آل عمران (٧٨).

(٢) سورة آل عمران (١٨٧).

(٣) سورة النساء (٤٦).

(٤) سورة المائدة (١٣).

(٥) سورة المائدة (٤١).

وجملة الآيات يفهم منها أمور :

الأمر الأول : وثيق الصلة بسند الكتاب المقدس وقد وصفت الآيات الرواة والنقلة بأنهم :

١- يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه .

٢- يلوون ألسنتهم بالكتاب ليُحسب المنطوق به على أنه من الكتاب وهو ليس من الكتاب.

٣- كتب بعضهم أشياء من قبل نفسه ثم نسبها إلي الله لتقع من الناس موقع القبول .

٤- ستروا بعض الحق الذي معهم حتى لا تلزمهم الحجة ويقام عليهم الحكم - الحد على الزني - .

٥- ستر بعضهم ما أوحى إليهم به واشتروا به ثمناً قليلاً .

٦- تصرفوا بالزيادة والنقصان قبل الكتابة والتدوين .

٧- تصرفوا بالزيادة بعد الكتابة والتدوين عند كل تكرار للنسخ والنقل وذلك بإسقاط الصفات الصريحة الدالة على نبوة محمد ﷺ .

الأمر الثاني : وثيق الصلة بالمكتوب حيث وصف في الآيات بأنه :

١- حرف بعد الاستيعاب ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ . . . ﴾

٢- أضيف إليه من قبل البشر ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا . . . ﴾

٣- حركة التمويه والخلط من الأوصاف اللازمة للخلصنة ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾

٤- ستر بعضه ولم يفصح عنه ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

الأمر الثالث : وثيق الصلة بالتابعين - من غير رجال الإسناد - فقد وصفوا بأنهم :

١- أميون يجهلون الكتاب المنزل ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ .

٢- كانوا يؤمنون بما يروق لهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (١)

<u>أثر هذه النصوص :</u>

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد طعن في سند الكتاب المقدس بأسلوب إجمالي وهو ما نبه المسلمين الأولين إلى موضوع السند وفقدان أهله لشرطي العدل والتواتر . كما نبه المسلمين إلى ما أصاب المتن من زيادة ونقصان . وهذان الاتجاهان هما أساس كل دراسة نقدية للكتاب المقدس في الشرق والغرب . وقد بدا ذلك واضحاً في كافة كتابات علماء المسلمين التي وصلتنا بدءاً من رسالة الكندي إلى الهاشمي (نهاية القرن الأول الهجري وانتهاء بالدراسات الجديثة (٢) وإن تفاوت كل كاتب في القبض والبسط بحسب ظروف الزمان والمكان والثقافة .

---

(١) هذه الاستنباطات هي جملة ما ورد في كتب التفسير مما هو وثيق الصلة بالموضوع .

(٢) راجع الرد على النصارى ، على بن ربن الطبرى ت ٢٤٠هـ ، القاسم الحسن الرسي في كتابه الرد على النصارى ، أبو يعقوب الكندي الرد على النصارى ، الجاحظ في الرد على النصارى ، ابن الأنباري في المقالات ، أبو عيسى الوراق في الرد على النصارى ، الماتريدي في التوحيد ، العامري في الأعلام بمناقب الإسلام ، القاضي عبد الجبار في المغني ، الشهر ستاني في الملل والنحل ، ابن حزم في الفصل ، القرطبي في الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرافي في الأجوبة الفاخرة ، أبي عبيدة في الفاصل بين الحق والباطل ، إظهار الحق .

كما وردت بعض النصوص في العهد القديم تصرح بان موسى عليه السلام ومثله داود وسليمان قد أمروا أن يكتبوا بعض ما أوحي إليهم به ، ويجعلوه تذكاراً في مسامع الشعب .

وحسب تذكري للنص الإنجيلي أجمع ، لا يحضرني دليل واحد على أن عيسى عليه السلام قد أمر بكتابة شيء مما أوحى إليه به .

ولما محمد ﷺ فقد تواترت الدلائل والبراهين على أنه كان يأمر أصحابه والذين وصل عددهم إلى أربعين صحابياً بكتابة كل نص قرآني يوحى إليه به عقب التنزيل مباشرة ويدلهم على موضعه من السورة ويسمع منهم ثانية بعد إملائه عليهم ليصحح المكتوب إن اخطأ الكتّاب ، ولم يلق الرسول ربه إلا والقرآن مكتوب كله ، وقد تمت مراجعته مرتين في عام الوفاة (كان جبريل يعارضني بالقرآن كل عام مرة وقد عارضني به هذا العام مرتين وما أراه إلا حضر أجلي) .

إن علماء الإسلام قد نقدوا الكتاب المقدس من اتجاهين :

الاتجاه الأول : نقد سند الكتاب المقدس إن علماء الأديان قد وضعوا شروطاً محددة لقبول أي نص ينسب إلى الوحي **ومن هذه الشروط :**

الشرط الأول : أن يوحي بالنص إلى نبي أو رسول .

الشرط الثاني : أن يكتب هذا النص بين يدي النبي أو أصحابه حال حياته وأن يقرهم على ما كتبوا.

الشرط الثالث : أن ينقل هذا المكتوب على ألسنة جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب.

الشرط الرابع : أن يظل الاستواء في التواتر قائماً بحيث ينطبق على الأطراف والواسطة .

الشرط الخامس : العلم بحال الناقلين ومدى التزامهم بأمانة النقل .

الشرط السادس : أن يعلم زمن الكتابة على سبيل القطع لا التخمين .

الشرط السابع : العلم بمصدر النص ولغته الأصلية وزمن الترجمة والمترجم ومدى إمكانية الترجمة بالنسبة للكتب التي لا تجعل الإعجاز في النظم مع المعنى [١] شرطاً لها.

وبتطبيق هذه الشروط على سند الكتاب المقدس من قبل علماء المسلمين تبين ما يلي :

بالنسبة للشرط الأول : فرغم الدعاوى المتعددة للإثبات إلا أن ذلك لم يتأت على سبيل القطع . وما قبل المسلمون من نصوص الكتاب المقدس إلا ما طابق نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً صحيحاً سواء أكانت المطابقة في بعض الألفاظ أو المعاني . وما غاير القرآن فإن كان فيه مخالفة صريحة فهو رد إن كان في ميدان العقيدة أو الأخلاق وأما المخالفة في بعض جوانب الشريعة فلعلها من خصوصيات التشريع لأهل الكتاب ما لم تقم بإسقاط ما نص عليه القرآن عندهم .

بالنسبة للشرط الثاني : فالراجح أن التوراة جملة وباقي أسفار العهد القديم لم يتم تدوينها بين يدي أنبيائها . اللهم إلا بعض نصوص دونت على المذبح أو بعض تعاليم أمر الرب موسى بكتابتها ليجعلها تذكاراً في مسامع الشعب خاصة يشوع[٢].

أم العهد الجديد فالمقطوع به أنه لم يدون في حياة المسيح شيء منه على وجه الإطلاق . يقول مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس (ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً وهم جميع

---

(١) راجع الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة للقرافي الباب الأول وإظهار الحق في المقدمة والفصل في الملل والنحل ٢/٨١ .

(٢) سفر الخروج ١٧/١٤.

طبقات البشر بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك ...الخ واستغرقت مدة كتابتهم ألفاً وستمائة سنة وكان جميع هؤلاء الكتاب من الأمة اليهودية وفي الكتاب المقدس جميع أنواع الكتابة من شعر ونثر وتاريخ وقصص وحكم وأدب وتعليم وإنذار وفلسفة وأمثال ...) (١) .

كما نقل بعض المسلمين ما ورد في قصة الحضارة (هذه الأسفار الخمسة لا يدري أحد على التحديد كيف كتبت ولا متى ولا أين . ثم يقول ول ديورانت : هذه الأسئلة كتب فيها خمسون ألف مجلد ولم يفرغ منها ثم يذكر رحمة الله الهندي قوله : لا يقدر أحد أن يدعي بالنسبة لبعض الآيات وبعض الإصحاحات أنها من كلام موسى بل بعض الآيات تدل دلالة بينة على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون داود عليه السلام . بل هو شخص معاصر له أو بعده وكذلك موسى عليه السلام - وعلماء المسيحية يقولون بالظن ورجماً بالغيب إنها من ملحقات نبي من الأنبياء وهذا القول مردود لأنه ادعاء بلا برهان . لأنه لم يكتب نبي من الأنبياء في كتابه أني ألحقت الآية الفلانية في الإصحاح الفلاني من السفر الفلاني . ولا كتب أن غيري ألحقها ولم يثبت بدليل قطعي .. ومجرد الظن لا يغني فما لم يقم دليل قوي على الإلحاق تكون هذه الآيات والإصحاحات أدلة كاملة على أن كتاب موسى - وغيره من الكتب - ليس من تصنيفاتهم (٢)

وقد اعترف مؤلفوا كتاب (الكتاب المقدس في الميزان) بالخطأ فيه رغم أن الهدف الدفاع عن السند .فقد ورد (لقد كان الرجال الذين استخدمهم الله رجالاً قديسين عرفوا إلههم وأحبوه وليس معنى هذا أنهم لم يخطئوا لقد كانوا خطاة وبعضهم أخطأ على نحو رهيب .. لقد كان

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٧٦٤٠.

(٢) إظهار الحق ٨٦ ط/ دار التراث .

كــتاب الكتاب المقدس خطاة كغيرهم .. ولكنهم مع ست رسم - . ،
كانوا ممن أحبوا الله واستخدمهم الله في إنشاء كتابه)[1] .

<u>بالنسبة للشرط الثالث</u>: (النقل على ألسنة جمع لا يمكن تواطؤهم على الكَذب) فإن تصريح القرآن بليّ اللسان وكتم البعض وإظهار الآخر قــد حمــل المسلمين على طلب بيان ذلك من الكتاب المقدس . فوجدت بعض النصوص التي نقلت على سبيل إلزام الخصم لا على سبيل التسليم بالصحة ومن هذه النصوص التي تؤكد كذب الرواة ما يلي :

أ- في سفر آرميا ورد " وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قــائلاً ما وحي الرب فقل لهم أي وحي إني أرفضكم هو قول الــرب : فالنبــي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته . هكذا تقولون الرجل لصاحبه الرجل لأخـيه بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب وأما وحي الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه . إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا " [2].

ب- " هكــذا قــال رب الجـنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنــبأون لكم . فإنهم يجعلونكم باطلاً . يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب " [3]

جــ- " لذلك هاأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتي بعضـــهم مــن بعــض هاأنذا على الأنبياء يقول الرب الذين يــأخذون لســانهم ويقولــون قال هاأنذا على الأنبياء الذين

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان صــ٧٩ بتصرف.
(٢) آرميا ٢٣/١٦.
(٣) آرميا ٢٣/١٦.

يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب الذين يأخذون ألسنتهم ويقولون قال هاأنذا على الأنبياء الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب الذين يقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب " (١)

وعن اشتغال بعض الدعاة من بني إسرائيل بالضلالة دون الهداية ورد :

" لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمون فهماً لم أرسل الأنبياء بل هم جروا - لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا . ولو وقفوا في مجلس لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الردئ وعن شر أعمالهم " (٢)

وعن فقدان رجال الدين للعدالة ورد - فيما ينسب إلى المسيح - ما يلي :

أ- " ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم - ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً .. أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة وهكذا أنتم أيضاً من خارج

---

(١) آرميا ٣٣/٣٠- ٣٢.

(٢) آرميا ٢٣/٢٠- ٢٢.

تظهــرون أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً ..أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم " [1]

ب- ورد فــي مــرقس أن المسيح قال للكتبة والفريسيين (حسناً تنــبأ عــنكم أشعيا أنتم المرائين كما هو مكتوب . لأنكم تركتم وصــية الله وتتمسكون بتقاليد الناس .. حسناً رفضتم وصية الله لــتحفظوا تقليدكم لأن موسى قال أكرم أباك وأمك ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً . وأما أنتم فتقولون إن قال إنسان لأبيه وأمه قــربان أي هديــة هو الذي تنتفع به مني . فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئاً لأبيه وأمه . مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه . وأموراً كثيرة مثل هذا تفعلون " [2]

- وعــن غلوهم في الدين واتباع أهواء قوم قد ضلوا ورد في متى أن التلامــيذ قد تقدموا إلى المسيح وقالوا له (أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القــول نفــروا . فأجاب وقال كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يقلع . أتركوهم عميان قادة عميان وإذا كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة) [3]

<u>بالنسبة للشرط الرابع</u> : (بقاء التواتر في كافة مراحل النقل) فإن إقامــة الدلــيل علــيه غير مستطاع وليس أدل على هذا من أن الكتاب الأولين للعهدين غير معروفين . ومراحل النقل في الأزمنة الأولى غاية فــي الجهالة ولا يشفع للزمن الأول التواتر في الآونة الحاضرة . يقول الإمام القرافي (ثم إنهم مع هذا الأصل الواهي الذي لا يوثق بشيء منه

---

(١) متى ٢٣/١٤- ٣٦ بتصرف.

(٢) مرقس ٧/٥: ١٣.

(٣) متى ١٥/٣: ١٤.

ليس على وجه الأرض منهم بشر يرزي التوراة عدلاً عن عدل بل هي تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها وأوضح بكثير لقرب عهد زمانها . فإن بعد الزمان المفرط يقتضي عدم الوثوق أكثر . مع أن المسلمين لا يجترون الاعتماد على التواريخ في شيء من الأحكام ألبتة وهم يجعلون هذه التواريخ والتلفيقات عمدة لمعادهم وشريعة لخالقهم .(١)

كما أن التلقي الشفوي لا وجود له في كثير من الأزمنة . بل إن اليهود قد فقدوا العهد القديم – كسفر مجموع – فترة من الزمن حتى القرن الرابع ق.م . ترتب على ذلك فقدان كثير من أسفاره التي ورد اسمها في التوراة الموجودة الآن – ذكرت دائرة المعارف الأمريكية الأدوار التي مرت بكتابة العهد القديم فقالت :

وتعتبر فترة الأسفاريين الأولى من عام ٥٠٠ق.م . إلى عام ١٠٠٠ بعد الميلاد حيث اكتمل بناء النص العبري القانوني لأسفار العهد القديم ويرجح أن يكون هذه العمل قد قامت به مدرسة الشيخ المعمر (إكيبا) المتوفى عام ١٣٥م. ثم تأتي فترة الأسفاريين الثانية وهي تبدأ من عام ١٠٠م. إلى عام ٥٠٠م. وكان عملهم مختصاً بتصحيح النص.

ثم جاءت طائفة المازوتين – أي النقليين – وقد امتد عملهم من سنة ٥٠٠م. حتى اختراع الطباعة وقد عمل هؤلاء النقليون على مد النص بما ينقصه من علامات الترقيم والوقف والتشكيل .. ولقد ازدهرت مدارس طائفة النقليين لفترة حوالي أربعة قرون وأخيراً كانت الغلبة للنص الذي صنعته مدرسة طبرية بفلسطين دون سائر المدارس .

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ٢٤٤: ٢٤٥.

وفـــي القرن العاشر الميلادي كان يوجد في طبرية عائلتان من النقليين هما عائلة بن أشير وعائلة ابن نفتالي وأخيراً تغلب النص الذي صـــنعته عالـــة ابـــن أشير واعتمدت قانونيته وخاصة من جماعة ابن ميمون في القرن الثاني عشر الميلادي [١] . ويفهم مما سبق أن مدارس عدة قد اشتغلت بالنص وأن اختياراً من بين النصوص قد تم .

بالنســبة للشرط الخامس : (العلم بحال المدونين والناقلين) فإن الذين كتبوا أسفار العهد القديم غير معروفين على سبيل القطع من حيث التســمية أو زمن الميلاد . وشراح العهد القديم قد تكلفوا في مطلع كل سفر قائلين :

الــراجح انه كتب في سنة كذا أو كذا وأن كاتبه فلان وقيل فلان ... [٢]

أمــا النصارى فإنهم يسلمون بالجهالة بمن نسبت إليهم الأناجيل . ولذلك نقــل القدامــى عن كتب تاريخهم والمحدثون عن معاجمهم وشروحهم وجملة النقل يمكن إيجازه على النحو التالي :

أ- متى - قيل إنه يهودي من الجليل واسمه لاوي بن حلفي [٣] اشتغل بجمــع الجـباية دعاه المسيح وهو يمارس وظيفته . وقيل إنه ليس متى الحواري - كما يروي ول ديورانت- وإنما تأليف لأحد أتباعه ونســبه إلى متى ليقع من الناس موقع القبول . ولو سلمنا جدلاً بأن مــتى مــن الحواريــين الاثنى عشر ، فإن عدالتهم بنص الإنجيل ساقطة - وإن كنا ننزه الحواريين عما نسب إليهم في الأناجيل لثناء القرآن عليهم [٤] - حيث إن المسيح قال لهم (حينئذ قال لهم يسوع

---

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل ٢٥ بتصرف .

(٢) انظر مقدمة كل سفر في السنن القويم في تفسير العهد القديم .

(٣) راجع إنجيل مرقس ١٤/٢.

(٤) اقرأ الآية ٥٢ من آل عمران ، ١١١ المائدة ، ١٤ من سورة الصف .

كلكــم تشكون في هذه الليلة) [1] والشك في النبي أو الإله بزعمهم يسقط العدالة لأنه يترتب عليه الكفر.

ب- مرقس له في العهد الجديد اسمان مرقس وهو اسم لا تيني ويوحنا وهـو اسـم يهودي كما ورد في لوقا " ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس " [2] لم يذكر اسمه بين تلاميذ المسيح فـي كل المدة التي كان المسيح فيها على الأرض وظن البعض أنه واحـد مـن السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير وقد اختلفوا في نسـبة هذا الإنجيل إليه . فقيل إن بطرس كتبه رواية عن مرقس . مـع أن بطرس هو رئيس الحواريين فكيف ينقل عن شخص لم ير المسيح . وبعضهم يشك في نسبة الباب الأخير إليه . كذلك اختلفوا فـي مولد وصناعة مرقس فقيل إنه انطاكي ولد بأنطاكيا . وقيل إنه روماني ولد بإيطاليا ...الخ [3]

جـ- لوقا هو من السبعين بشر بالإنجيل بالإسكندرية ، قال بعضهم إنـه لـم يكن يهودياً أصيلاً بل ممن هادوا من الأمم وسموا دخلاء لأن بولـس عندما ذكر أصحابه في رومية الذين من الختان أصلاً والذين ليسوا من الختان لم يذكره في إنجيل ولا خادماً للإنجيل من أول انتشـاره بدليـل ما جاء في كلامه .. ولم يعلم متى تنصر ولا على يد من تنصر ، واختلف في عمله فقيل : مصور وقيل طبيب وقيل جابي ... وغير ذلك ورد مما يؤكد الجهالة به [4].

---

(١) متى ٣١/٢٦.

(٢) أعمال الرسل ١٢/١٢.

(٣) قاموس الكتاب المقدس مادة (مرقس) والكنز الجليل مقدمة إنجيل مرقس .

(٤) مادة (لوقا) في القاموس وراجع إظهار الحق ومحاضرات في النصرانية .

- يوحـــنا هو ابن زبدي وسالومي (متى ٢١/٤، مرقس ١٩/١) ومصدر علمه الرؤيا والسماع كما ورد في إنجيله (١/١٤، ٢/٣٢، ١٦/١٨، ١٩/٢٦) ويـــنكر المحققـــون نســـبة هذا الإنجيل ليوحنا الحـــواري ويرون أن كاتبه رجل آخر يتفق مع الحواري في الاسم فقـــط ، ويقـــوي هـــذا الرأي أن علماء المسيحية في القرن الثاني الميلادي انكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري ، وسمع ذلك الإنكـــار " أرينـــتوس " تلميذ " بوليكارب " الذي هو تلميذ " يوحنا" الحـــواري فلـــم يـــرد عليهم بأنه سمع صحة نسبة هذا الإنجيل إلى الحواري من " بوليكارب" .

ومـــن المســـتبعد أن " أرينتوس" لم يسمع ذلك من " بوليكارب" وهو الذي روي عنه أشياء أقل أهمية من ذلك بكثير .. كتب استادلين : أن كاتـــب إنجـــيل يوحـــنا طالب من طلبة الإسكندرية بلا ريب ، وقال المحقق " برطشنيدر " إن هذا الإنجيل كله وكذلك رسائل " يوحنا" ليست من تصنيفه ، بل صنفها واحد في ابتداء القرن الثاني الميلادي .

جـــاء فـــي دائرة المعارف البريطانية : أما إنجيل يوحنا فإنه لا مـــرية ولا شـــك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضـــهما لبعض . هما القديسان (يوحنا) و(متى) وقد ادعى هذا الكاتب المـــزور في الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هـــذه الجملـــة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو " يوحنا" الحواري ووضـــعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبيـــن مـــن نســـبت إليه . وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى

جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي - أي الذي أ هـذا الكـتاب - بالحواري يوحنا الصياد الجليلي . فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى [1]

بالنسـبة للشـرط السادس : (العلم بزمن الكتابة بدءاً على سبيل القطع لا التخمين) ذكر علماء المسلمين أن القطع بذلك غير مستطاع . فغايـة مـا ينسب إلى موسى أنه قد كتب شيئاً على حافة المذبح ودون بعض ما أوحي إليه به ثم تركه ليوشع الذي حمل بني إسرائيل على فتح فلسـطين والأردن. ثـم ابتُلي بنو إسرائيل بعده بمحن أفقدتهم ما ورثوه عـن موسـى . كما أن أدوار السب والسبي مزقتهم شر ممزق . وفي أثـناء الاضـطهاد والشتات بدا للبعض أن يدون نصاً يجمع عليه بني إسـرائيل فـبدأت الحـركة في القرن الرابع قبل الميلاد وكانت السمة المسـيطرة علـى الـنص الاتجاه المادي وذلك بالنعيم الدنيوي للطاعة والعذاب الأخروي للمعصية .

وعـن زمـن تدوين العهد الجديد فإن شراح الأناجيل قد ذكروا أموراً نقل بعض علماء المسلمين بعضها وهذه الأمور هي :

أ- بالنسـبة لإنجـيل "مـتى" ورد "وزمـان كتابة البشارة غير معـروف بالتحقيق ويرجح أنها كتبت سنة ٦٠م أو ٦٦ وبما أنه لا يذكـر خراب أورشليم سنة ٦٦م وهي سنة ٧٠ على الحساب المشهور فقد استنتج العلماء أنه كتب قبل وقوع تلك الحادثة.

وذهـب بعض القدماء إلى أنه كتب في السنة الثانية بعد الصعود وآخرون إلى أنه كتب في السنة الخامسة عشرة " [2] كما ورد "

---

(١) مختصر عن بين الإسلام والمسيحية من صـ٨٠، ٨١.

(٢) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل ، المقدمة لإنجيل متى .

واختلف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل فقيل سنة ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١، ٤٣ ، ٤٨ ، ٦١، ٦٣، ٦٤ من الميلاد [١] .

ب- بالنسبة لإنجيل " لوقا" الراجح أنه كتب هذه البشارة قبل خراب أورشليم لأن الإصحاح الحادي والعشرين منها كتب نبوءة بخراب أورشليم لا تاريخ لأمر قضى والنتيجة أن هذه البشارة كتبت سنة ٥٧ ، ٦٠م [٢] .

جـ- بالنسبة لإنجيل مرقس ورد : لا واسطة لتحقيق زمن كتابة هذا الإنجيل ، لكن نعلم أنه كتب قبل خراب أورشليم . إذ لا إشارة فيه إلى أنها كانت قد أخربت والأرجح أنه كتب بين سنة ٦٣ب.م ، ٦٨ ولا دليل على مكان كتابته فظن بعضهم انه في أنطاكيا وظن غيرهم أنه كتب في الإسكندرية أو في بابل المصرية وهناك آراء أخرى تروي أن التدوين تم سنة ٥٦ ، ٦٠، ٦٣، ٦٥ [٣]

د - بالنسبة لإنجيل يوحنا ورد : الراجح أنه كتب في مدينة أفسس في المدة الأخيرة من حياته أي بين سنة ٨٠، ٩٠ ب.م أو ليس بأقل من عشرين سنة بعد كتابة البشائر ولعله كتب بعدهم بثلاثين سنة والدليل على ذلك أنه كتب بشارته بعد خراب أورشليم وأنه لم يذكر شيئاً من أنباء المسيح بذلك الخراب كما ذكر غيره من البشيرين [٤].

---

(١) محاضرات في النصرانية ، وبين الإسلام والمسيحية ٨٢، والكنز مقدمة متى .

(٢) المراجع السابقة ، والكنز مقدمة لوقا .

(٣) مقدمة انجيل مرقس في الكنز الجليل صـ٢، ٣.

(٤) مقدمة الكنز لإنجيل يوحنا .

وجملـــة الآراء يلمح منها أن الاجتهاد في معرفة الزمن كان بالقياس إلى الأحداث المكانية من حيث الذكر وعدمه .

بالنســبة للشــرط الســابع: (العلم بمصدر النص ولغته الأصلية وزمن الترجمة والمترجم ومدى إمكانية المطابقة) ذكر علماء المسلمين أن نظرة بسيطة إلى محتويات هذا الشرط ومدى إمكانية تطبيقها تظهر الآتي :

أولاً: العهد القديم : يذكــر الشــراح أن اللغـــة الأصلية للعهد القديم (خاصـــة أســفار موسى) ، هي المصرية القديمة ، لأن موسى ولد فيها ونشأ بين أهلها ونطق بلغتها ولم تشر السيرة الذاتية لموسى إلى استخدام مــترجم بيــنه وبين فرعون . كما أن الإسرائيليين قد مضت عليهم مدة من الزمان جعلتهم يكتسبون لغة المصريين دون الاحتفاظ بلغتهم .

ومـــع خروج موسى ببني إسرائيل توقفت حركته عند حد سيناء دون أن يدخل الأرض المقدسة لجبن الأتباع كما صرح بذلك القرآن [١] وبقى في التوراة ما يشير إليه [٢] .

ومن قال إنها اللغة العبرية أو العبرانية وَهمَ ، لأن النسبة إما أن تكــون إلى عبور البحر الأحمر أو نهر الأردن أو نسبة إلى لغة الخليل إبراهــيم ، وكــل ذلك يمكن رده بيسر ؛ لأن أهل سيناء كانوا يتكلمون المصــرية ، أمـــا النسبة إلى العبرانية فإنه لم يكن لها وجود قبل عبور نهــر الأردن – في عهد يوشع– ولم تتكون إلا بعد الإقامة في فلسطين والاخـــتلاط مع سكانها الكنعانيين ، وعلماء اللغات يرون اللغة العبرية خلــيطاً مـــن العربــية والكنعانية والمصرية ، وأما دعوى احتفاظ بني إسرائيل بعاداتهم وتقاليدهم مئات السنين فإن الدليل لا يؤيدها لأنهم كانوا

---

(١) الآيات من ٢٠– ٢٦ من سورة المائدة

(٢) سفر العدد صح ١٤ .

قلة بين سكان مصر وما تسمعه الأذن يحكيه اللسان فضلاً عن كونهم مستضعفين .

ومع أن المؤرخين وعلماء الأديان قد ركزوا حين البحث عن اللغة الأولى – على أسفار موسى الأولى فإنهم قد تناسوا أن بعض الأنبياء لم يقم بمصر . وتفاوتت لغته مع لغة موسى . ومع ذلك دونت أسفارهم بمثل لغة أسفار موسى ، دون إشارة إلى اللغة الأصلية لهم .

ذكرت دائرة المعارف الأمريكية قولها (لقد كتبت نصوص العهد القديم بالعبرية عدا بعض الفقرات في سفر دانيال وعزرا وآرميا إذ وجدت بالأرامية ، ولما رجع يهود السبي من بابل وجدوا أن الأرامية هي اللغة السائدة في فلسطين ، فمن المحتمل أن بعض الكتب الحديثة للعهد القديم قد كتبت أصلاً بالأرامية ثم ترجمت إلى العربية حيث وصلتنا بتلك اللغة ، وعلى أي حال فقد جاء وقت كانت العبرية لغة صعبة الفهم وخاصة بالنسبة لعامة الشعب عندما كانوا يشهدون طقوساً تجري بها وقد أدى ذلك إلى إيجاد ترجمة بالأرامية ليفهمها الشعب [1].

ومن هنا ظهرت تراجم لأسفار العهد القديم وإن كانت لم تصلنا أي ترجمة آرامية من تلك التراجم [2]، وقد فصلت دائرة المعارف الأمريكية القول المتعلق بحركة الترجمة للعهدين (القديم والجديد)[3] .

ومع أن اللغة الأصلية مجهولة إلا أن ترجمات عديدة موجودة بين أيدينا الآن والواقف عليها يجد بينها تغايراً وتفاوتاً من حيث الكم والكيف مما يدل على عدم وحدة الأصل المترجم عنه . ومن أ شهر النسخ الآن :

---

(١) نحميا ٨/٨.

(٢) راجع التشريع بين اليهودية والنصرانية والإسلام صـ٦٥.

(٣) دائرة المعارف الأمريكية جـ٣ ، صـ٦١٥: ٦٢٢ وانظر اختلافات في تراجم الكتاب المقدس من ١٩: ٢٦.

١- النسـخ السامرية وهي ترجمة آرامية للتوراة (الأسفار الخمسة الأولى فقط) يستخدمها السامريون وأصلها عبراني ولكنها كتبت بحـروف سـامرية وعندما فقد هذا اللسان بين السامريين رأوا أنهم بحاجة إلى ترجمة باللغة الآرامية التي يفهمونها ، ولقد بدأ تصـنيفها فـي مطلع القرن الأول الميلادي واستمر العمل بها حـتى حلت اللغة العربية محل الآرامية في القرن الحادي عشر الميلادي فكتبت بالعربية [١].

٢- النسـخة الإغريقـية وهـي نسخة مترجمة عن النسخة العبرية لينـتفع بهـا الـيهود المقيمون في العالم الإغريقي وخاصة في مصـر .. وفي القرن الثالث كانت هناك ترجمة إغريقية لبعض كتـب العهـد القديم وخاصة الناموس ، ولذلك عمت المحاولة لإيجاد نسخة مقبولة جديدة حتى تكونت لجنة الترجمة الإغريقية للنسـخة التـي راجعها سبعون عالماً بالإسكندرية ، ولقد قبلت الكنيسـة المسـيحية النسخة السبعينية ولكنها وسعت مفهوم هذه التسمية لتشمل تراجم من العبرية إلى الإغريقية لعدد من الكتب الأخرى وهي (الجامعة – الموكابيين الأول والثاني – عزرا).

٣- النسـخة السـريانية أو اللاتينـية القديمـة ، وقد حاول جيروم المـتوفى سـنة ٤٢٠م. مـراجعة تلـك النسخة من النصوص الإغريقـية التي كانت في متناول يده آنذاك ولكنه لم يكمل هذا العمل ، وقام بدلاً من ذلك بعمل ترجمة جديدة من العبرية وكان نـتائج عملـه النسـخة المعروفة باسم اللاتينية الأصلية وهي الشائعة الآن لأسفار الكتاب المقدس .

---

(١) راجع التوراة السامرية – تعريب د. احمد حجازي السقا . م

وقيل أن أول ترجمة للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والإغريقي إلى الإنجليزية على يد " وليام تنذال" الذي اتهم بالفساد وأعدم حرقاً على رؤوس الأشهاد سنة ١٥٣٦م لتعمده إفساد نص الكتاب المقدس ورغم هذا صار عمل تندال هو الأساس للتراجم اللاحقة خاصة ترجمة كوفردال سنة ١٥٣٥م وتوماس حتى ١٥٣٧وجنيف ١٥٦٠م ، وقد صارت هذه الترجمات الأساس لترجمة الملك جيمس والتي لم تسلم من النقد في منتصف القرن التاسع عشر ، فتم إصدار الترجمة الإنجليزية المراجعة ١٨٨٥:١٨٨١م والترجمة القياسية الأمريكية ١٩٠١م والترجمة القياسية المراجعة ١٩٥٢م [١] ، وطبعة العيد المئوي ١٩٨٣م وهناك اتجاه إلى إصدار طبعة جديدة سنة ٢٠٠٠م.

٤- النسخة القبطية توجد في أربع لهجات هي (الصعيدية) لأهل مصر العليا و(الفيومية) لأهل الفيوم و(الأخميمية) في منطقة طيبة و(البحيرة) في شمال الدلتا وجوار البحر المتوسط ، وأقدمها الصعيدية وترجع إلى القرن الرابع الميلادي وأحدثها البحيرية وترجع إلى القرن السابع الميلادي وكلها تراجم عن الإغريقية [٢]

ثانياً: العهد الجديد : اقتبس المسلمون ما ذكره أهل الكتاب بالنسبة للغة الأولى والترجمة والمترجم كما يلي موجزاً :

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس من ٣: ٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس مادة كتب .

(أ) **إنجـيل مـتى** : قيل إن اللغة التي كتب بها الإنجيل أصلاً هي اليونانية ومنها جاءت الترجمة العربية وسائر الترجمات المعروفة ، لكن لنا أدلة كثيرة على وجود نسخة عبرانية قديمة فقدت من عهد طويل ، ولا مانع أن هذا البشير قد كتب بشارته في لغتين فثبوت النسخة العبرانية لا يناقض قانونية النسخة اليونانية التي عندنا (١) .

(ب) **إنجيل مرقس** : رجح البعض أنه كتب باللغة اليونانية . ولم يعلم حـق العلـم من أين أخذ أنباء بشارته لأنه ليس برسول فقيل إنها بإرشـاد بطرس الرسول وقيل إنه تعلم من رسول اليهود بطرس ومن رسول الأمم بولس والأرجح أن إنجيل مرقس مختصر تعليم بطرس في تبشيره ومواعظه .

(جـ) **إنجيل لوقا** : هو نتاج تمحيص مؤلفات عدة عن سيرة المسيح كانت ناقصة غير موثوق بها ولكن إنجيله يرجح عدم وقوفه على بشـارتي مـتى ومرقس ولا يمكن أن يكون كتب عن يوحنا لأن يوحنا كتب بعده ، وقد كتب إنجيله باليونانية وقيل بالرومانية .

(د) **إنجـيل يوحنا** : اختلف في السنة التي كتب فيها واللغة التي كتب بها ومن ترجم هذا الإنجيل (٢)

وقد ورد في حق العهد الجديد " ليس في هذه الكتب الخط كتاب واحد بخط المؤلف نفسه وجميع أسفار العهد الجديد كتبت باليونانية وأقدم تلـك الكتب كتابان يرجعان إلى القرن الرابع الميلادي وهما مجهولان المصدر .. إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد

---

(١) مقدمة الكنز الجليل الجزء الأول .

(٢) راجع مقدمة كل إنجيل في الكنز الجليل ومادة كل مؤلف في قاموس الكتاب المقدس .

نســاخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطــاء التــي تحول دون أن تتصف أي نسخة بالموافقة التامة للمثال الــذي أخذت عنه . ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مــر القــرون تراكم بعضه على البعض الآخر فكان النص الذي وصل إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل . كان الآباء لسوء طالعنا يستشــهدون في أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم من الذاكرة ومن غير أن يــراعوا الدقــة مراعاة كبيرة فلا يمكننا والحالة هذه الوثوق التام فيما ينقلون إلينا [١] وبهذا يتبين لنا الجهل باللغة الأولى والترجمة والمترجم والزمان في المراحل الأولى للكتاب المقدس .

الترجمة للنص الموحى به جلياً بين القبول والرد :

والــذي تمــيل إليه النفس أن الترجمة غير جائزة في كل نص أوحي به من قبل الله للأسباب الآتية :

السـبب الأول : أن الإعجاز اللغوي وإن كان من أركان إعجاز القرآن إلا أن العقــل يسلم بوروده في كافة الرسائل التي أوحي بها إلى الأنبياء السابقين لما يلي :

(أ) جمــال التعبير قاسم مشترك بين البشر أجمعين ولا يعقل أن يقل النص الإلهي جمالاً عن سائر نصوص البشر إن لم يفقها .

(ب) أن المعــبر عــن الذات ومرادها هي هي وأن الغير وإن بالغ فإنــه لــن يصــيب الحقــيقة بل لابد من التفاوت فكيف بالنص الموحي به .

(جـــ) أن بقــاء النص على ما هو عليه يساعد على تعدد المعنى وتنوع الفهم وفق الزمان والمكان وترجمته تحول دون ذلك .

---

(١) مختصر عن كتاب اختلافات في تراجم الكتاب المقدس من صـــ٢٢: ٢٦.

(د) أن الترجمة تتأثر بحال المترجم وثقافته وميوله وأهوائه تصرفاً قد ينتج عنه خروج عن المعنى المراد بالكلية .

السبب الثاني: أن عدم التدوين بين يدي الأنبياء جعل المدونين والمترجمين يضيفون إلى النص الكثير ، فكيف يتحمل الأنبياء عبء إضافات تاريخية أو أدبية أو غرامية (سفر نشيد الإنشاد) على أثر ترجمة ما .

السبب الثالث : أن إقامة الدليل على صحة الترجمة يفتقر إلى دليل عليه ، وقد تعذر ذلك لفقدان الأصل حصيلة هذا الاتجاه وقد كان لنقد السند أثره البالغ في تأكيد الانقطاع وورود الجهالة وتعذر المعرفة فنتج عن ذلك وقوع أحداث وقصص وورود روايات لا يقبلها العقل مما كان باعثاً على الاتجاه الثاني (نقد المتن).

الاتجاه الثاني (نقد متن الكتاب المقدس)

وإذا كان للنص القرآني دوره في اتجاه نقد السند فإن بعض آي القرآن كان لها دورها في اتجاه نقد المتن أيضاً وقد تنوعت الكتابة في هذا الاتجاه وتفاوتت بين قبض وبسط وتمحيص ونقل وخلط وتمييز ، إلا أن هذه الكتابات يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : نقد يؤكد التحريف يعرض على المسلمين خاصة .

القسم الثاني: نقد يؤكد التحريف يعرض على المسلمين وغير المسلمين .

القسم الأول : قاصر على طلب الأشياء التي ذكرها القرآن على أنها واردة في التوراة والإنجيل وبالبحث عنها لم نجد لها أصلاً يتفق مع النص القرآني من جهة اللفظ أو المعنى ، وإن تكلف البعض في ليّ بعض نصوص التوراة وتأويلها عن طريق حساب الجمل أو غيره بغرض المطابقة إلا أن هذه الاتجاهات غير قطعية وغير المسلمين قد استشهد بما استشهد به المسلمون في

كثير من المواطن على نبوة المسيح ، لذلك كان التسليم بسقوط ذلك هو خير الأمور التي تطمئن إليها النفس خاصة أن القرآن صرح بوقوع تحريف . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١- قال تعالى :﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١)

٢- قال تعالى :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ .. ﴾ (٢)

٣- قال تعالى :﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٣)

وبهذا ترى أموراً ذكرها القرآن ليس لها ذكر في الكتاب المقدس الآن ولا يتأتى وجود ذلك إلا بتعسف بالغ .

القسم الثاني : الذي يعرض على المسلمين وغيرهم فهو الدراسة النقدية الموضوعية للمتن المدعي سلامته من التحريف بشرط أن نسقط كل دراسة عاطفية ليس للموضوعية فيها مجال ، وقد كتب في هذا القسم كتب غير مستطاع حصرها ولكنها- فيما قرأته- متفقة على الجوانب التالية :

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧) .

(٢) سورة الفتح (٢٩٠).

(٣) سورة الأعلى (١٤: ١٩) ، واقرأ الآية (١١١) من سورة التوبة ، والآية (٦) من سورة الصف .

الجانب الأول : نقد متن العهد القديم وحده .
الجانب الثاني : نقد متن العهد الجديد وحده .
الجانب الثالث : نقد متن العهدين معاً .. وذلك على النحو التالي :

الجانب الأول : نقد متن العهد القديم

وقد أخذ هذا الجانب اتجاهات عدة أهمها ما يلي :

١- السـؤال عن محتوى العهد القديم وخاصة أسفار موسى فاليهود والنصـاري والمسـلمون يسـلمون ويؤمنون بأن موسى عليه السلام قد أوحي إليه بتوراة واحدة بلغها عن ربه ، وبعد ملاقاته لـربه بفـترة من الزمن دوّن اليهود نسخاً عدة من التوراة منها البابلـية ومنها السامرية ومنها اليونانية وهي التي كانت معتبرة عـند المسـيحيين إلـى القرن الخامس عشر الميلادي وكانوا يعـتقدون إلـى هـذه المدة تحريف النسخة العبرانية وما زالت معتـبرة عند الكنائس اليونانية وكذلك عند كنائس المشرق وهذه نماذج لنقد متن العهد القديم .

أولاً: أن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام على وفـق العبرانـية ألف وستمائة وست وخمسون سنة وعلى وفق اليونانـية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين.

ثانـياً: أن الـزمان مـن الطوفان إلى ولادة إبراهيم على وفق العبرانـية مائتان واثنتان وتسعون سنة وعلى وفق اليونانية ألف واثنـتان وسـبعون سـنة وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة(١) .

---

(١) راجـع إظهـار الحق لرحمة الله الهندي من ٢٠٦ : ٢٠٧ واختلافات في تراجم الكتاب المقدس من ٣: ٨.

٢- ما هي أسباب ترجيح الأسفار المدونة دون سواها : فلقد ورث اليهود والنصارى تركة مثقلة بالأبحاث الدينية التي لم يعرف لها تاريخ مؤكد أو كتاب معروفون اللهم إلا النذر اليسير ومع ذلك أخذت حركة الاعتماد فترة من الزمن وعقدت لها مجامع عدة حتى لاقت بعض الأسفار رواجاً وقبولاً فدونت أسفار أخرى معلقة في الهواء تنشد الاستقرار بين ثنايا أسفار العهد القديم . كما أن عوامل الترجيح غير بادية ومناط الاختيار مجهول وللنفس أن تذهب فيه ما تشاء فقد يكون هوى النفس أو العامل السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي .

يقول العلامة رحمه الله الهندي " اعلم أن ثمانية أسفار من العهد العتيق كان مشكوكاً فيها وغير مقبولة عند المسيحيين إلى ثلاثمائة وأربع وعشرين سنة وهي :

١- سفر أستير . ٢- سفر باروخ .

٣- سفر طوبيا . ٤- سفر يهوديت .

٥- سفر وزدم . ٦- سفر إيكليز سيتكس .

٧- السفر الأول للمكابيين . ٨- السفر الثاني للمكابيين .

وفي سنة ٣٢٥م عقد مؤتمر في بلدة نائس ليتشاور رجال الدين المسيحي في هذا الأمر وبعد المشاورة والتحقق حكم هؤلاء بان سفر يهوديت واجب التسليم وأبقوا باقي الكتب مشكوكاً فيها كما كانت ، وهذا الأمر يظهر من المقدمة التي كتبها جيروم على سفر يهوديت ، ثم انعقد مجلس لوديسيا ٣٦٤م فسلم المجتمعون بقرارات المجلس الأول وأضافوا سفر أستير ، وفي سنة ٣٩٧م انعقد مجلس (كارتهيج) وكان عدد المجتمعين ١٢٧ فسلموا بأحكام المجلسين الأولين وسلموا الأسفار الباقية لكنهم جعلوا سفر باروخ بمثابة جزء من سفر آرميا لأن باروخ كان نائبا لآرميا ، ثم انعقدت بعد ذلك عدة مجالس منها ترلو وفلورنس

وترنــت ، وعلماء هذه المجالس سلموا أحكام المجالس الثلاثة السابقة ، وقــد ظلــت هــذه الأســفار مسلمة قرابة ١٢٠٠ سنة ثم ظهرت فرقة البروتســتنت فردوا حكم أسلافهم في سفر باروخ وسفر طوبيا وسفر يهوديــت وسفر وزدم وسفر إيكليزيا ستيكس وسفر المكابيين وقالوا إن هذه الأسفار ليست مسلمة إلهامية بل واجبة الرد ، كما ردوا حكمهم في جــزء من أسفار أستير وسلموا في جزء لأن هذا السفر كان ستة عشر إصــحاحاً ، فسـلموا الإصــحاحات التســعة الأولى وثلاث آيات من الإصــحاح العاشــر وردوا عشــر آيــات مــن هذا الإصحاح وستة إصــحاحات باقــية . ثــم ذكروا الأدلة التي اعتمدوا عليها في رد هذه الأسفار (١).

كذلــك ورد في الإجابة على هذا السؤال ما هي الأسفار القانونية الثانية ؟ ما يلي :

تجمــع تحــت اســم القانونية الثانية عدة أسفار مختلفة التواريخ والفــنون كان انتماؤها إلى قانون الأسفار المقدسة موضوع جدال على مــر العصــور وهــي (طوبــيا ويهوديت والمكابيون الأول والثاني والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ ومقاطع من أستير ودانيال وخاصة مــا ورد بالــترجمة اليونانية لهذين السفرين ، وهذه الأسفار جزء من القــانون المحــدد رســمياً في الكنيسة الكاثوليكية منذ المجمع الترنتيني والكــنائس الشــرقية (الأرثوذكــية وغــير الخلقيدونية) لم تتخذ قراراً صريحاً في شأن هذه الأسفار .

أمــا المصــلحون البروتستانت الذين ظهروا في القرن السادس عشــر فلم يعدوها قانونية بل جعلوها ملحقاً للكتاب المقدس وفي رأيهم أنهــا لا يمكــن أن تصــلح لبــناء الإيمان مع أنها مفيدة لتغذية تقوى

---

(١) إظهــار الحــق صـــ٢٢١، ٢٢٢ ، ومقدمــة كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ١٠: ٢٥.

المسيحيين وفي المذهب البروتستانتي تكون هذه الأسفار فئة من الكتب التي تسمى (أبو كريفة) أي منحولة .

وفي الكثلكة يطلق على هذه الأسفار منذ سيكستوسي السيني في القرن السادس عشر اسم (القانونية الثانية) لأنها ضمت إلى القانون في وقت لاحق خلافاً للأسفار القانونية الأولى التي ضمت إليه أولاً [1].

٣- ألا يدل لاختلاف المترجَمْ على اختلاف الأصول أو التصرف من المترجِمْ لقد تجلى الاختلاف في الكم والكيف ، بل إنهما ليتفاوتان من طبعة إلى أخرى حسب التنقيحات والتحقيقات والدراسات النقدية ، وليس أدل على هذا من أن طبعة الكتاب المقدس ١٩٨٣ العيد المئوي يجد في الصفحة الثانية تحت عنوان (تنبيه) ما يلي :

أعلم أن ما طبع من الكلمات في المتن بحرف صغير ليس له وجود في العبراني واليوناني وقد زيد في الترجمة لأجل الإيضاح .. أما الحاشية السفلي فالعين فيها مقطوعة من لفظة عبراني وهي تدل على ما في العبراني والياء مقطوعة من لفظة يوناني وهي تدل على ما في اليوناني والسين مقطوعة من لفظة سامرية وهي تدل على ما في التوراة السامرية والكاف مقطوعة من لفظة كلدانية وهي تدل على ما في الكلدانية التي كتب فيها بعض عزرا ودانيال ونحميا و٧٠ معناها الترجمة السبعينية وكلمة "أي" تفسيرية تشير إلى أن ما بعدها تفسير معنى ما في المتن و"أو" للتخيير بين معنيين تحتملهما اللغة الأصلية أحدهما في المتن والآخر في الحاشية والتاء مقطوعة من لفظة ترك وهي تدل على أن بعض الكلمات التي تتبعها قد قرأت في بعض

---

(١) راجع اختلافات في تراجم الكتاب المقدس صـ٦٦ بتصرف .

النسخ العبرانية ، والزاى من لفظ زيد وهى تدل على أن الكلمة التى تتبعها قد زيدت في بعض النسخ العبرانية والهلالان ( ) يدلان على أن الكلمات التي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها .. أ.هـ [1]

- تحليل النص المدعي سلامته من التحريف وقد كثرت الكتابة فيه وتنوعت بصور إجمالية في بعض الأحيان وتفصيلية في أحيان أخرى إلا أنه يمكن القول بأن غاية الدراسة التحليلية قد أثبتت الأمور التالية :

<u>الأمر الأول</u> : تناقض النصوص مع بعضها وتصادمها مع أن النسخ غير جائز عند جمهورهم .

<u>الأمر الثاني</u> : تناقض النصوص مع العقل ومصادمتها له بما لا يتأتى التأويل أو القبول

<u>الأمر الثالث</u> : تناقض النصوص مع العلم الحديث خاصة في الكونيات .

<u>الأمر الرابع</u> : تناقض النصوص مع التاريخ على أثر الحفريات والدراسات النقدية الحديثة .

وإذا كان تفصيل الأمر في هذه الجوانب غير مستطاع – مراعاة لظروف البحث – فإن الاكتفاء بذكر أمثلة للتوضيح ممكن .

<u>بالنسبة للأمر الأول يمكن ذكر النماذج التالية :</u>

النموذج الأول : وردت نصوص تتعلق بالثواب والعقاب يتعذر التوفيق بينها ففي النص (.. أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ)[2] وفي الإصحاح الرابع والثلاثين من السفر (مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في

---

(١) الكتاب المقدس طبعة العيد المئوي ١٩٨٣م. صـ٢.

(٢) سفر الخروج ٢٠/٥ ، والتثنية ٥/٩.

الجيل الثالث والرابع) وقد ورد في حزقيال عكس ذلك بالكلية (النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثـم الابـن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ..)[1]. فبين النصين تعارض صريح في تحمل الإثم .

الـنموذج الثاني : بعد فساد بني البشر صدر الحكم الإلهي (فقال الرب لا يديـن روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة) [2] ثم ذكرت التوراة بعد ، أن سام بن نوح عاش ٦٠٠ سـنة وأن أرفخشاذ بن سام عاش ٤٦٥ سنة وإبراهيم عاش ١٧٥ سنة وإسـحاق عـاش ١٨٠ سنة وإسماعيل عاش ١٣٧ سنة ويعقوب عاش ١٤٧ سـنة ولاوي عـاش ١٣٧ سـنة وقد استقصى ابن حزم أسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم في التوراة متجاوزين الحد المقرر[3] .

الـنموذج الثالث : في الآية التاسعة من الإصحاح الرابع والعشرين من سـفر صـموئيل الثاني هكذا (فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمان مئة ألف رجل ذي بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمـس مئة ألف رجل)[4] وفي أخبار الأيام الأول (فدفع يوآب جملة عـدد الشـعب إلـى داود فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مسـتلي السيف ويهوذا أربعة مئة وسبعين ألف رجل مستلي السيف)[5] فبيـنهما اخـتلاف في عدد بني إسرائيل بمقدار ثلاثمائة ألف وفي عدد يهوذا قدر ثلاثين ألف .

---

(١) حزقيال ١٨/٢٠ والتثنية ٢٤/١٦ والملوك الثاني ١٤/١٦.

(٢) تكوين ٦/٣ .

(٣) الفصل في الملل والنحل ١/ ٩٦ ، ٩٧.

(٤) صموئيل الثاني ٢٤/٩.

(٥) أخبار الأيام الأولى ٢١/٥.

النموذج الرابع : الآية الثامنة من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني هكذا (وكان يهوياكين يوم ملك ابن ثماني عشرة سنة) والآية التاسعة من الإصحاح السادس والثلاثين من السفر الثاني والثلاثين من أخبار الأيام هكذا (ابن ثماني سنين كان يهوياكين حين ملك) [1] فبينهما خلاف .

النموذج الخامس : ورد في سفر الملوك الثاني (كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في أورشليم).

وفي أخبار الأيام الثاني ورد(كان أخزيا بن اثنين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة في أورشليم) [2].

ويمكن طلب التفصيل في الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم وإظهار الحق لرحمه الله الهندي .

الأمر الثاني : تناقض النصوص مع العقل ومصادمتها له بما لا يتأتى التأويل أو القبول :

إن النصوص المصادمة للعقل فى الكتاب المقدس هي من الكثرة بمكان وخير ما يذكر في هذا الموطن ما يتعلق بالله وملائكته ورسله ويكتفي بالنماذج التالية :

أولاً: ما ورد بحق الإله في التوراة :

إن صلة الإله في التوراة بخلقه قاصرة على بني إسرائيل بالدرجة الأولى .

فهم أهل الحظوة عنده وهو صاحبهم في الحل والترحال وهو مؤازرهم في الحرب وهو الساكن في بيت قدسهم وهو الواضع لعلامات عدة وعهود شتى بينه وبين بني إسرائيل أخصها وأخطرها عهد التمليك

---

(١) الملوك الثاني ٢٦/٨.

(٢) أخبار الأيام الثاني ٢/٢٢.

والــبركة (من الفرات إلى النيل)[1] والنصوص غاية في الكثرة حيال هــذه الأمــور إلا أن نذكر بعض النصوص التي لا يمكن أن تقبل عقلاً أمر يتطلبه البحث .

الــنموذج الأول : وصــف الله بالتعــب بعــد خلقه للسموات والأرض (فأكملــت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عملــه الــذي عمــل ، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استــراح مــن جمــيع عملــه الذي عمل الله خالقاً) [2] ورغم مصــادمة الــنص للعقــل فإن اليهود قد جعلوا يوم السبت يوم انقطــاع عن العمل تأسياً بالرب حسب شريعتهم ، راجع (التثنية ١٢/٥، ١٤ ونحمــيا ١٤/٩، أشعيا ١٢/٥٨، الخروج ٢٣/١٦، ٢٥ ،٢٦ ، اللاويين ٣٢/٢٣ ، الخروج ٨/٢٠ ، ١٤/٣١ والعدد ٣٢/١٥ ، ٩/٢٨) .

الــنموذج الثاني : خشى الرب من إقامة آدم في الجنة فيأكل من شجرة الحــياة الأبدية فتكتب له الحياة - أي لا يستطيع الإله أن يميته- ولذلك طرده منها (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخــير والشــر والآن لعلّه يمد يده ويأخذ من شجر الحياة أيضاً ويحيا ويــأكل إلــى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التــي أخذ منها ، ولم يتوقف الأمر عند حد الطرد بل خشية الرب من عودة آدم إلى الجنة جعلته ينصب حراساً (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[3]

---

(١) تكوين ١٢/١٥، ١٢/٧ ، ١٥/١٣ ، ٤/٢٦.

(٢) تكوين ٢/١: ٣.

(٣) تكوين ٢٢/٣: ٢٤.

النموذج الثالث : حزن الرب وتأسف لأنه خلق الإنسان وحكم بأن لا تزيد الأعمار عن ١٢٠سنة (فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبـد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة ... ورأى الرب أن شـر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته)[١] .

النموذج الرابع : تصرح التوراة برؤية موسى لله عياناً ومعه شيوخ بني إسرائيل على وجه التحديد (ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأو إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكن لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأو الله وأكلوا وشربوا) [٢]

النموذج الخامس : تذكر التوراة أن حكمة اختلاف الألسنة بعد الطوفان هي خوف الرب من وحدة البشر وحدة لا يتأتى معها المقاومة بعد بنيان بابل خاصة (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنوهما . وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض .. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض .. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض)[٣].

ثانياً: نماذج تتعلق بالملائكة :

الصفات المتعلقة بالملائكة كثيرة في القرآن الكريم وقد كان لها دورها في حمل المسلمين على رد ما نسب إلى الملائكة في الكتاب

---

(١) تكوين صح ٣/٦: ٧.

(٢) خروج ٩/١٤: ١١.

(٣) تكوين ١١/٥: ٩.

المقدس سواء فيما يتعلق بالأكل والشرب أو العجز والكسل أو التضليل والغواية ... ويمكن ذكر نماذج :

النموذج الأول : صرحت التوراة بأن الملائكة حين مروا بإبراهيم إلى أرض لوط قد أكلوا وشربوا (فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذا اعجني واصنعي خبز ملة . ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زُبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا) [١].

النموذج الثاني : عندما نزل الملاكان عند لوط أطعمهم فأكلوا (فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالساً في باب سدوم .. فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطير فأكلا) [٢]

النموذج الثالث: اختلف يعقوب مع أحد الملائكة في ليلة من الليالي فتصارعا، فصرع يعقوب الملاك (فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني فقال له ما اسمك قال يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك [٣] . وقد ذكر مفهرسوا الكتاب المقدس هذا الحدث تحت عنوان " مصارعة يعقوب للملاك في فنوئيل" كما ورد ذلك صريحاً في سفر هوشع (جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه ، وجده في بيت إيل وهناك تكلم معنا ..) [٤].

---

(١) تكوين ١٨/٦: ٩.

(٢) تكوين ١٩/١: ٣.

(٣) تكوين ٣٢/ ٢٤: ٢٩.

(٤) يوشع ١٢/٤.

ثالثاً : نماذج تتعلق بالرسل :

صرح القرآن بأن الرسالة اصطفاء وليست كسباً وأن الرسل صفوة الخلق ثم ذكر خصائصهم في آيات عدة خاصة الأمانة والإخلاص والنصح وحيث إنهم في مرتبة القدوة عصموا من ارتكاب الكبائر وسيئ الصغائر أو جملة الصغائر[1]. إلا أن الكتاب المقدس قد تحدث عن الرسل والأنبياء حديثاً لا يمكن أن يقبل من الناحية العقلية وحيث إن ذكر النصوص لا يسمح به البحث لذلك سأذكر ما نسب إلى كل من يؤمنون بنبوته ورسالته مع النسبة دون ذكر النص .

أولاً: آدم وقعت منه الخطيئة ولم تصرح التوراة بالتوبة واستحكم العداء بينه وبين ربه (تكوين ٣/١٧ ، ٢٢: ٢٤)

ثانياً: نوح شرب الخمر وسكر وتعرى ولعن ولد ولده بدون سبب وبارك آخرين (تكوين ٩/٢٠: ٢٧).

ثالثاً: إبراهيم تاجر بعرض زوجته مرتين وتعمد الكذب وحثها عليه لعرض الدنيا (تكوين ١٢/١٠: ١٩ ، ٢٠/١: ٥).

رابعاً: لوط شرب الخمر وسكر وزنا بابنتيه فأنجبتا بين يديه دون إنكار منه (تكوين ١٩/ ٣٠-١٨).

خامساً: إسحاق تاجر بعرض زوجته وتعمد الكذب وكان يشرب الخمر (تكوين ٢٦/٧ : ١٠، ٢٧/٤٥).

سادساً: يعقوب

(١) خدع أباه مستغلاً عماه حتى نال البركة وقدم له الخمر فشرب ونال منه حق البكورية (تكوين صح ٢٧/ ١٣: ٢٧).

---

(١) اقرأ آل عمران ٣٢، ٤٩ ، والنساء ١٦٤، ١٦٥ ، الأنعام ٨٣: ٨٧ ، الأعراف ٦١،٦٢ ، ٦٧ ، هود ٢٩، ٥١، ٦٣ ، الأنبياء ٧٢:٩١، مريم ٤١،٤٩: ٥٨ ، الشعراء ١٠، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤ ، العنكبوت ٢٧ ، ٤١: ٤٨ ، النجم ٣٧ .

(٢) لم يرع للملائكة قدراً أو حرمه صارع أحدهم فصرعه (تكوين ٣٢ / ٢٤: ٢٩).
(٣) علمه بزنا ابنتيه وسكوته وزنا ابنه بسريته دون معاقبته (تكوين ١٢٤/ ١: ٥، ٣٥/ ٢١، ٢٢).
سابعاً: يوسف لم تذكر براهين تتعلق ببراءته مما نسب إليه كما ورد في القرآن (تكوين صح ٣٩ كاملاً) .
ثامناً: موسى عليه السلام قتل المصري عن عمد وعاتب الله في كثير من المواطن وأمره بإظهار الندم (خر ٢/١٢ ، ٣٢/١٠-١٢).
وحث أتباعه على سلب المصريين ونهبهم حين الهجرة بتصريح من الرب كما يدعون (خروج ١٢/٣٥، ٣٦).
تاسعاً: هارون صنع العجل لبني إسرائيل ليعبد من دون الله واشترك معهم في العبادة (خروج ٣٢/ ١: ٦).
عاشراً: شاول هو نبي عندهم خالف الرب وعانده فرفع الرب عنه النبوة إلى داود وصار الخلاف بينهم قائما (صموئيل الأول ١٠/٥ : ١٣ ، ١٩/٢٣).
حادي عشر : داود شرب الخمر (صموئيل الأول ٢٥/ ٤٢) ورفض قضاء الله (صموئيل الثاني ٦/٧، ٨) وسقى جنده الخمر (٢ صمَ ١/١٥) وقتل نفساً بغير حق (٢ صمَ ١/١٥) ولم يعاقب أحد أولاده الذي زنا بأخته لأبيه (٢ صمَ ١٣/١: ١٢) كما أن داود قد زنا أيضاً (صموئيل الثاني ١٣/٣٠).
ثاني عشر : سليمان ارتد في أخريات حياته (الملوك الأول ٧/١: ١٢) وقتل أخاه لأنه طلب الزواج من خادمة أبيه (الملوك الأول ١/ ١٣: ١٦).
ثالث عشر : عيسى أول معجزة له هى تحويل الماء إلى خمر (يوحنا ٢ /١: ١١) ، شرب الخمر مع تلاميذه (متى ٢٦/ ٢٦: ٣٠) ، متخلف عقلياً (مرقس ١١/١١).[١]

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابى عصمة الأنبياء كما يصورها الكتاب المقدس .

الأمر الثالث تناقض النصوص مع العلم التجريبي :

إن الكونـيات من وسائل إعجاز القرآن حيث الإخبار عن حقائق علمـية مـنذ ١٤٢٦هـــ عام لم تنقض بل تؤيد وتؤكد ، بل إن العلم التجريبـي التحليلـي ليؤكد أن كل ما حرم الله في القرآن تناوله ضار بـالعقل أو الجسم أو بهما معاً ، فإذا ما نظرنا إلى الكونيات في التوراة وجدنـا الدراسـات التجريبـية تبطلها وكذلك المحرمات في الأطعمة والأشربة لا توجد علة لتحريمها - إلا ما ذكره القرآن كعقوبة تأديبية - وسوف أذكر مثالاً واحداً لظاهرة كونية ثم أعقب عليها .

النموذج الأول : قـوس قـزح ، تذكر التوراة أن الله قد جعله علامة تذكـره بـالعهد بينه وبين الإنسان بأن لا يهلكه عبر التاريخ .. فإذا ما نُشِـرَتْ القـوس ورآها الرب رجع عن غضبه (وقال الله هذه علامة الميـثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر ، وضعت قوسا في السحاب فتكون علامة ميثاق بيـني وبيـن الأرض ، فـيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر قـوس في السحاب ، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون أيضاً الحياة طوفاناً لتهلك كل ذي جسد فمتى كانـت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفـس حـية فـي كل جسد على الأرض ، وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض [١] ، والعلم قد فسر هذه الظاهرة كما هو مشهور .

النموذج الثاني : عدد الأيام : صرحت التوراة بما وقع في اليوم الأول مـن خلق وكذلك الثاني والثالث ثم ذكر أنه في اليوم الرابع " عمل الله النوريـن العظيمين النّور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل

---

(١) تكوين ٩/١٢: ٢٧.

والـنجوم ومن يسر مع النصوص يتجلى الأمر أكثر[1] يضاف إلى ذلك الأخطاء في الجمع للأنساب والأزمان (الفصل في الملل والنحل ١١٩/١).

الأمر الرابع : تناقض النصوص مع التاريخ :

وردت نصـوص في العهد القديم ينقضها الزمان ويبطلها الواقع وقـد فصل ابن حزم القول في نقد الجوانب التاريخية وتبعه رحمة الله الهـندي مـع تغاير في المنهج وأشار غيرهما إلى ذلك إشارات خفيفة واكتفى بذكر النماذج التالية والتي تؤكد وقوع التحريف في التوراة .

النموذج الأول : ورد في سفر العدد " فسمع الله دعاء آل إسرائيل وسلم فـي أيديهـم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافي وسمى ذلك الموضع حرمة "[2] ، قال آدم كلارك في تفسيره صـ١٩٧ من المجلد الأول : اعلـم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يشوع عليه السلام لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا إلى عهد موسى بل بعد موته[3]

النموذج الثاني : ورد في التكوين عهد الرب مع إبراهيم وولده إسحاق " وسـأعطي لـك ولنسـلك أرض غربتك جميع أرض كنعان ملكاً إلى الدهـر وأكون لهم إلهاً "[4] وهذا غلط لأن جميع أرض كنعان لم تعط لإبراهـيم قـط وكذا لم تعط لنسله ملكاً إلى الدهر ، بل الانقلابات التي وقعت في هذه الأرض لم يقع مثلها في الأراضي الأخرى[5]

الـنموذج الثالـث : ورد في أخبار الأيام الثاني " أن نبوخذ نصر ملك بـابل أسر يهويا قيم بسلاسل وسباه إلى بابل " وهو غلط والصحيح أنه قـتله في أورشليم وأمر أن تلقى جثته خارج السور ومنع الناس عن دفنه ،

---

(١) تكوين ١٦/١.

(٢) العدد ٣/٢١.

(٣) إظهار الحق ٢٢٦ ط/ دار التراث .

(٤) تكوين ٨/١٧.

(٥) إظهار الحق ١٣٩.

كتب (يوسيفوس) المؤرخ في الباب السادس من الكتاب العاشر من تاريخه جاء سلطان بابل مع عسكر قوي وتسلط على البلدة بدون محاربة فدخلها وقتل يهويا قيم وألقى جثته خارج سور البلد وأجلس يهوياكين ابنه على سرير السلطنة وأسر ثلاثة آلاف رجال ، وكان حزقيال الرسول في هؤلاء الأسارى [1].

النموذج الرابع : ورد في أخبار الأيام الثاني (قد أذل الرب يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل) ولفظ إسرائيل من الناحية التاريخية خطأ لأنه كان ملكاً ليهوذا لا لإسرائيل) [2].

النموذج الخامس : وقع في ميراث بني جاد في الآية الخامسة والعشرين من سفر يشوع (ونصف الأرض بني عمون إلى عروعير التي هي أمام ربة) [3] وهي غلط ومحرفة ، لأن موسى عليه السلام ما أعطى بني جاد شيئاً من أرض بني عمون لأن الله تعالى نهاه عن إعطائهم شيئاً كما هو في الإصحاح الثاني من سفر التثنية (فمتى قربت إلى تجاه بني عمون لا تعادهم ولا تهجموا عليهم لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً) [4].

خاتمة نقد متن العهد القديم :

إن التقسيم السابق هو نتاج الاجتهاد ولم يرد النقد مدوناً تحت هذه التصنيف وإنما ورد النقد غير مصنف على وجه الإطلاق في بعض الأحيان وأحياناً يأخذ عناوين مغايرة خاصة في كتاب إظهار الحق وقد بقيت أمور كثيرة لم أشر إليها لضيق البحث وبعضها من باب التدرج في التشريع أو من قبيل النسخ أو نتاج الخطأ في التدوين وذلك كإباحة الزواج من الأخت ثم تحريمه ومن العمة ثم تحريمه وحل كل

---

(١) إظهار الحق ١٣٨ والنص في إخبار الأيام الثاني ٧/٣٦.

(٢) أخبار الأيام الثاني ١٩/٢٨.

(٣) يشوع ٣٤/١٩

(٤) تثنية ١٩/٢٢.

مـــتحرك في زمن نوح ثم تحريم بعضه والجمع بين الأختين ثم تحريمه إلى غير ذلك من الأمور .

الجانب الثاني : نقد متن العهد الجديد لبعضه :

العهد الجديد : وهو ما يدعى نسبته إلى المسيح – عند جمهور النصارى – من أناجيل وكذلك أعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا اللاهوتي .

وحيث إن التركيز في البحث قاصر على ما يدعى نسبته إلى المسيح لذلك ماأجعل الدراسة قاصرة – الآن على الأناجيل الأربعة فقط ويفصل القول في حين آخـــر ، فأقول : ذكر كثيرون أن الأناجيل الأربعة ما هي إلا سيرة ذاتية للمسيح كما يلمح ذلك منها ، إلا أن هذا الادعاء لا تقوى الأدلة على إثباته لأن الاستقصاء يؤكد أن الأحداث المتعلقة بالمسيح تناولت فترتين من حياته هما :

فترة الطفولة ولم يتجاوز الحديث فيها الثامنة من العمر .

فـــترة الشباب ولم يتجاوز الحديث الفترة من الثلاثين إلى الثالثة والثلاثين من عمر المسيح كما ذكر مؤرخهم .

ومـــا بيـــن هاتين الفترتين هو في عداد الغيب الذي يتعذر على النصارى إثباته بقدر ما يتيسر على النافين نفيه ولم يستطع كتاب السيرة الذاتية بيان شيء يـــتعلق بفترة الجهالة لتأثرهم بالعهد الجديد [1] حين الكتابة ...ورغم التصوير المشـــوه لحـــياة المســـيح على ظهر الأرض فإننا نجد أن الأناجيل قد اضطربت أيضاً حين التعبير عن هذا وليس مرد الاضطراب كما يزعم النصارى هو التفاوت بين الكتابة كأثر المشاهدة وبين الاستقصاء والتتبع ، وإنما الذي يمكن القطع به أن هذه الأناجيل قد دونت بعد رفع المسيح – أو صـــلبه كما يؤمن النصارى – بما لا يقل عن ثلاثين عاماً وهي فترة كافية لأن تـــتحول الســـيرة الذاتـــية إلى ضروب من التعبير بين هوى النفس والحـــب الأعمـــى والحقـــد الدفين والزعم الخالي من الدليل والتصوير الخـــادع لـــتلك السيرة ولهذا كانت سيرة المسيح مختلفة من إنجيل إلى إنجـــيل فـــي الغالب من حيث الذكر وعدمه والقبض والبسط والتحقيق والإطـــلاق ورغم وجود أحداث اتفق عليها في سائر الأناجيل المعتد بها

---

(١) راجـــع موسوعة (المسيح) زكي شنودة ومادة " المسيح" في قاموس الكتاب المقدس والكنز الجليل في تفسير الإنجيل .

الآن إلا أن الاختلاف والتباين حين التعبير عنها يدل على أن كاتبيها قد اعتمدوا علي ثقافتهم حين التدوين ولم يكن هناك نص موحد ينقل عنه ، حيث إنه لو وجد لما كان هذا التفاوت في ذات الشيء الواحد ، والقول بأن الأناجيل الموجودة الآن إنه هي إلا ضرب من الأدب الشعبي الخالي من التدقيق والتحقيق هو أقرب إلى الصواب من وصفها بأنها كلام الله أو كلام المسيح أو كلام الأتباع أيضاً .

ومجموع الحوادث المتعلقة بشخص المسيح عليه السلام تبلغ مائة وثمانين حادثة تبين بعد تصنيفها - كما ورد في كتبهم - أنها على النحو التالي :

١- حوادث مذكورة في الأناجيل الأربعة .
٢- حوادث مذكورة في ثلاثة أناجيل .
٣- حوادث مذكورة في إنجيلين فقط .
٤- حوادث مذكورة في إنجيل واحد .

وسوف أذكر ذلك ثم أحلل نصاً واحداً من كل نموذج لإقامة الدليل على بطلان النسبة للوحي وإثبات التحريف .

أولاً: حوادث مذكورة في الأناجيل الأربعة :

م	موضوع الحادثة	متى	مرقس	لوقا	يوحنا
١	خدمة يوحنا المعمدان الجهارية	٣/١: ١٢	١/١: ٨	٣/١: ١٨	١/١٩: ٢٨
٢	اعتماد يسوع وشهادة يوحنا له	٣/١٣: ١٧	١/٩: ١١	٣/٢١: ٢٣	١/٢٩: ٣٤
٣	عودة الاثنا عشر سنة٢٩م	١٤/١٣: ٢١	٦/٣٠: ٤٤	٩/١٠: ١٧	٦/١: ١٤
٤	دخوله أورشليم على أتان	٢١/١: ١١	١١/١: ١١	١٩/٢٩: ٤٤	١٢/١٢: ١٧
٥	تصريحه بالخائن الذي سيسلمه	٢٦/٢١: ٢٥	١٤/١٨: ٢١	٢٢/٢١: ٢٣	١٣/٢١: ٣٥
٦	آلام المسيح في البستان	٢٦/٣٦: ٤٦	١٤/٣٢: ٤٢	٢٢/٣٩: ٤٦	١٨/١: ١٣
٧	إلقاء القبض على المسيح وتشتت التلاميذ	٢٦/٤٧: ٥٦	١٤/٤٣: ٥٢	٢٢/٤٧: ٥٣	١٨/٢: ١٢
٨	إنكار بطرس المسيح حين أخذ	٢٦/٥٨/٧٥	١٤/٦٦: ٧٢	٢٢/٥٦: ٦٢	١٨/١٥: ١٨

٩	أخذ يسوع إلى بيلاطس	٢/٢٧: ١١	١٥/ ١: ٥	٢٣/ ١: ٥	٢٨/١٨: ٣٠
١٠	الخلاف بين بيلاطس واليهود	١٥/٢٧: ٢٦	٦/١٥: ١٥	٢٣/ ١٣: ٢٥	٣٩/١٨: ٤٠
١١	أخذ يسوع إلى الصلب	٣١/٢٧: ٣٤	٢٠/١٥: ٢٣	٢٣/ ٢٦: ٣٣	١٦/١٩: ١٧
١٢	صلب المسيح -كما يزعمون	٣٥/٢٧: ٣٨	٢٤/١٥: ٢٨	٣٣/٢٣: ٤٦	١٨/١٩: ٢٤
١٣	حوادث حدثت عند الصلب	٤٩/٢٧: ٥٥	٢٩/١٥: ٣٦	٤٤/٢٣: ٥٠	٢٥/١٩: ٢٩
١٤	موت يسوع	٥٠/٢٧	٣٧/١٥	٤٦/٢٣	٣٠/١٩: ٣١
١٥	إنزاله عن الصلب ودفنه	٦١/٥٧/٢٧	٤٢/١٥: ٤٧	٥٠/٢٣: ٥٦	٣١/١٩: ٤٢

هذه الحوادث هي المتفق على ذكرها في الأناجيل الأربعة :

ورغم ورودها في سائر الأناجيل إلا أن الوقوف عليها في كل إنجيل على حده ثم عقد المقارنة يتأكد أن التصرف في الكتابة قد وقع لتفاوت الثقافة والتحليل والتمحيص وعدمه والتلقي والسماع والحب والبغض .. الخ وتحليل حادثة واحدة من هذه الحوادث يؤكد بطلان الصحة ويثبت التحريف.

الحادثة رقم ١٢ (صلب المسيح) كما يزعمون تفاوتت الأناجيل في تصوير الحدث حتى صار غاية في التعقيد حين التوفيق أو التأويل ولا يتأتى الجمع .

١- اتفقت الأناجيل على أن العسكر الذي ألقى القبض على المسيح قد آذوه وقد بسط ذلك متى دون الآخرين .

٢- ذكر متى ٣٣/٢٧ ومرقس ١١/١٥ ولوقا ٢٦/٢٣ أن الذي حمل الصليب هو رجل قيرواني بينما ذكر يوحنا ١٧/١٩ أنه المسيح .

٣- ذكر متى ٣٥/٢٧ ومرقس ٢٤/١٥ ولوقا ٣٤/٢٣ أن العسكر قد اقترع على ثياب المسيح بعد صلبه ولم يذكروا أنه كان مرتدياً قميصاً ، وذكر يوحنا ٢٣/١٩: ٢٤ أن العسكر قد قسم

الثـياب لأربعة أقسام لكل عسكري قسم واقترعوا على القميص لمن يكون .

٤- ذكر متى ٤٧/٢٧ ومرقس ٣٧/١٥ ويوحنا ٢٩/١٩ أن المسيح طلـب المـاء وهو على الصليب فسقى ماء مالحاً أو خلاً ولم يذكر لوقا ذلك .

٥- ذكر متى ٤٧/٢٧ ومرقس ٣٣/١٥ أن اللصين اللذين علقا على الصـليب مع المسيح كانا يعيرانه ولم يذكر يوحنا ذلك وقد ذكر لوقـا أن أحـد اللصين كان يعير المسيح ٣٩/٢٣ وكان الثاني ينكر عليه هذا العمل ٤٠/٢٣: ٤٢ .

٦- حدد متى ٤٥/٢٧: ٤٦ ومرقس ٣٣/١٥: ٣٥ ولوقا ٢٣/ ٤٤: ٤٦ أن المصلوب توفى الساعة التاسعة ولم يذكر ذلك يوحنا .

٧- ذكـر مـتى أن المصلوب أنكر ما وقع له ٤٦/٢٧ وذكر ذلك مرقس ٢٤/٢٥ ولم يذكر ذلك يوحنا وذكر لوقا أنه رضى عما أصابه قائلاً " يا أبتاه في يديك أستودع روحي " ٤٢/٢٣.

٨- ذكـر مـتى أن الأرض قد بعثرت منها القبور وحدثت زلزلة تشققت منها الصخور ٥١/٢٧: ٥٤ وذكر ذلك مرقس ولم يذكر يوحنا شيئاً من ذلك وقد انفرد لوقا ببعث من في القبور .

٩- ذكروا جميعاً أن أناساً تبعوا المسيح حين الصلب وبعده وتفاوتوا في ذكر أسمهم وعددهم وحالهم فأي ذلك هو الوحي وغيره وضع .

ثانياً: حوادث مذكورة في ثلاثة أناجيل فقط :

م	موضـــــوع الحادثة	إنجيل متى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	إنجيل يوحنا
١	تجربة يسوع من الشيطان	١١ :١/١٤	١٣ :١٢/١	١٣ :١/١٤	—
٢	سجن يوحنا المعمدان	٥ :٣/١٤	٢٠ :١٧/٦	٢٠ :١٩/٣	—
٣	بدء خدمة يسوع الجهارية	١٧ :١٢/٤	٢٢ :١٢/٢	٤٤ :١٤/٤	—

٤	دعوة سمعان واندراوس ويعقوب ويوحنا	٢٢:١٨/٤	٢٠ :١٦/١	١١ :١/٥	—
٥	شفاء حماة بطرس	١٥ :١٤/٨	٣١ :٢٩/١	٣٩ :٣٨/٤	—
٦	شفاء كثيرين في المساء	١٧ :١٦/٨	٣٤ :٣٢/١	٤١ :٤٠/٤	—
٧	رحلة يسوع في الجليل	٢٥ :٢٣/٤	٣٩ :٣٥/١	٤٤ :٤٢/٤	—
٨	شفاء الأبرص	٤ :٢/٨	٤٥ :٤٠/١	١٦ :١٢/٥	—
٩	شفاء المفلوج	٨ :١/٩	١٢ :٢/٢	٢٦ :١٨/٥	—
١٠	دعوة متى والوليمة التي أقامها ليسوع	١٣ :٩/٩	١٧ :١٣/٢	٣٢ :٢٧/٥	—
١١	قطاف سنابل القمح مساء السبت	٨ :١/١٢	٢٨ :٢٣/٢	٥ :١/٦	—
١٢	شفاء ذي اليد اليابسة في السبت	١٣ :٩/١٢	٥ :١/٣	١١ :٦/٦	—
١٣	تدبير مكايد ضد يسوع	٢١ :١٤/١٢	١٢ :٧/٣	١٩ :١٧/٦	—
١٤	إختيار الاثني عشر رسولاً	٤ :٢/١٠	١٩ :١٣/٣	١٦ :١٢/٦	—
١٥	شفاء من به روح نجس في السبت	٣٧ :٢٢/١٢	٣٠ :٢٠/٣	٢٣ :١٤/١١	—
١٦	إتيان أمه وإخوته إليه في كفر ناحوم	٥٠ :٤٦/١٢	٣٥ :٣١/٣	٢١ :١٩/٨	—
١٧	أمثال الزراع وزوان الحقل والبذور	٥٣ :١/١٣	٣٤ :١/٤	١٨ :٤/٨	—
١٨	إسكات العاصفة	٢٧ :٢٣/٨	٤١ :٣٥/٤	٢٥ :٢٢/٨	—
١٩	شفاوه مجنونين من مس الشيطان	٣٤ :٢٨/٨	٢٠ :١/٥	٣٩ :٢٦/٨	—
٢٠	سؤال التلاميذ يوحنا والفريسين عن الصوم	١٧ :١٤/٩	٢٢ :١٨/٢	٣٩ :٣٣/٥	—
٢١	شفاء نازفة الدم	٢٦ :١٨/٩	٤٣ :٢٥/٥	٥٦ :٤٣/٨	—
٢٢	إرسال الاثني عشر	٥/١٠ :٣٥/٩	١٣ :٦/٦	٦ :١/٩	—
٢٣	سؤال هيرودس عن يسوع ومعه ذكر حادثة يوحنا	٢/١/١٤	١٦ :١٤/٦	٩ :٧/٩	—
٢٤	يسوع يمشي على الماء	٣٣ :٢٢/١٤	٥٢ :٤٥/٦	—	٢١ :١٥/٦
٢٥	إقرار بطرس	٢٠ :١٣/١٦	٣٠ :٢٧/٨	٢١ :١٨/٩	—
٢٦	إخبار يسوع بموته وقيامه	٢٨ :٢١/١٦	٣١/٨	٢٧ :٢٢/٩	—

٢٧	التجلي والظهور	١٧/١: ١٣	٩/٢: ١٣	٩/٢٨: ٣٦	—
٢٨	شفاء الصبي الذي به شيطان	١٧/١٤: ٢١	٩/١٤: ٢٩	٩/٣٧: ٤٣	—
٢٩	الأخبار بمجيئة ثانية	١٧/٢٢: ٢٣	٩/٣٠: ٣٢	٩/٤٣: ٤٥	—
٣٠	تعليم التلاميذ عن التواضع	١٨/١: ٢١	٩/٣٣: ٥٠	٩/٤٦: ٥٠	—
٣١	الانتقال النهائي من الجليل ورفضه في السامرة	١٩/١: ٢	١٠/١	٩/٥١: ٥٦	—
٣٢	خدمة يسوع في بيرية	١٩/٦: ٢	١٠/١	—	٩/٣٩: ٤١
٣٣	مباركته للأولاد الصغار ببيرية	١٩/١٣: ١٥	١٠/١٣: ١٦	١٨-١٥-١٧	—
٣٤	قصة الشاب الغني	١٩/١٦: ٣٠	١٠/١٧: ٣١	١٨/١٨: ٣٠	—
٣٥	إخباره مرة ثانية بموته	٢٠/١٧: ١٩	١٠/٣٢: ٣٤	١٨/٣١: ٣٤	—
٣٦	العشاء في بيت عنيا	٢٦/٦: ١٣	١٤/٣: ٩	—	١٢/٢: ١١
٣٧	لعنة شجرة التين	٢١/١٧: ١٩	١١/١٢: ١٩	—	—
٣٨	مثل الكرامين الأشرار وعرس ابن الملك	٢١/٣٤: ٤٤	١١/٢٧: ٣٣	٢٠/١: ٨	—
٣٩	سؤال الفريسيين عن دفع الجزية والصدوقيين عن القيامة وسؤال رجل الشريعة عن الوصية العظمى وعمن يدعوه ربا	٢٢/١٥: ٤٦	١٢/١٣: ٣٧	٢٠/٢٠: ٤٤	
٤٠	التحذير ضد الكتبة والفريسيين	صح ٢٣/١: ٤	١١/٣٨: ٤٠	٢٠/٤٥: ٤٧	
٤١	تنبؤ يسوع بسقوط أورشليم	٢٤/١: ٣	١٣/١: ٢٧	٢١/٥: ٢٨	
٤٢	تعليم التلاميذ وجوب السهر	٢٤/٤٢ الخ	١٣/٢٧: ٢٨	٢١/٢٨: ٣٦	
٤٣	تآمر الحكام وخيانة يهوذا	٢٦/١: ٦	١٤/١: ١١	٢٢/١: ٦	
٤٤	الاستعداد للفصح	٢٦/١٧: ١٩	١٤/١٢: ١٦	٢٢/٧: ١٣	
٤٥	الفصح الأخير	٢٦/٢٠: ٤٦	١٤/١٧: ٣١	٢٢/١٤: ١٨	
٤٦	الفصح أمام السنهدريم	٢٦/٥٧: ٥٩	١٤/٥٣: ٥٥	٢٢/٥٤: ٥٥	
٤٧	السنهدريم يحكم على يسوع	٢٧/ ١: ٣	١٥/١: ١٤	٢٢/٦٦: ٧١	

تحليل قصة التجربة من الشيطان لإثبات التحريف . لم يذكر مرقس سوى آيتين عن الحدث (وللوقت أخرجه الروح من البرية ، وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه) بينما ذكر متى قصة التجربة وكذلك لوقا مفصلاً مع وقوع تفاوت ملحوظ.

ويلاحظ أن الاتفاق الثلاثي قد تم بنسبة ٩٤% من مجموع الأمور المتفق فيها وقد ذكر بعض الباحثين أن متى ولوقا قد استقيا معلوماتهما من مرقس ، لأن كتابته كانت أسبق في العهد من هذين[1] ، إلا أن النص الأول من إنجيل لوقا يدل دلالة قطعية على أن مصدر الاستقاء عنده لم يكن مرقس فقط وإنما اعتمد على كتب عدة فاختار من بين نصوصها ودقق كما يزعم ، والدليل على ذلك قوله في مطلع إنجيله " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصته من الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به "[2].

ثالثاً : **حوادث مذكورة في إنجيلين فقط** :

م	موضوع الحادثة	متى	مرقس	لوقا	يوحنا
١	نسب المسيح	١/١: ١٧	—	٣/٢٣: ٢٨	—
٢	ميلاد المسيح	١/٢٤: ٢٥	—	٢/١: ٧	—
٣	العودة من مصر	٢/٩: ٢٣	—	—	٢/٣٩
٤	شفاء رجل به روح نجس	—	١/٢١: ٢٨	٤/٣١: ٣٧	—
٥	الموعظة على الجبل	٥/١: ٨	—	٦/٢٠: ٤٩	—

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ٨٥٤.

(٢) إنجيل لوقا ١/١: ٤.

٦	شفاء عبد قائد مائة	٨/٥: ١٣	—	٧/١: ١٠	—
٧	تساؤل يوحنا المعمدان	١١/٢: ١٩	—	٧/١٨: ٣٥	—
٨	المسيح يعلق على طلب الفريسيين آية	١٢/٣٨: ٤٥	—	١١/١٦: ٢٤	—
٩	أسئلة ثلاثة وجهت للمسيح	٨/٨: ٢٢	—	٩/٥٧: ٦٢	—
١٠	رفض يسوع من الناصرة للمرة الثانية	١٣/٥٤: ٥٨	—	—	—
١١	توبيخ الفريسيين على تقاليدهم	١٥/١: ٢٠	—	—	—
١٢	شفاء ابنة المرأة السورية	١٥/٢١: ٢٨	—	—	—
١٣	إطعام الأربعة آلاف	١٥/٣٢: ٣٨	—	—	—
١٤	الفريسيون يطلبون آيه ثانية	١٦/١: ٤	—	—	—
١٥	المسيح يحذر تلاميذه ضد خمير الفريسيين	١٦/٥: ١٢	—	—	—
١٦	تعليم السبعين وإرسالهم	١٠/١٠: ٢٤	١٠/١: ١٦	—	—
١٧	توجه يسوع إلى أورشليم	٢٠/١٧: ٢٨	—	—	—
١٨	تعاليم ووصايا بشأن الطلاق	١٩/٣: ١٢	—	—	—
١٩	شفاء الأعميين من قرب من أريحا	٢٠/٢٩: ٣٤	—	—	—
٢٠	العظة التي استفادها التلاميذ من شجرة التين	٢١/٢٢: ٢٣	—	—	—
٢١	الفلس الذي دفعته الأرملة	—	٢١/١: ٤	—	—
٢٢	ظهوره لتلميذين بعد الوفاة	—	٢٤/[illegible]: ٣٥	—	—
٢٣	الإرسالية العظمى	٢٨/١٦: ٢٠	—	—	—
٢٤	الصعود بعد القيام	—	٢٤/٥٠: ٥٢	—	—

ويمكن تحليل حادثة نسب المسيح كدليل على التحريف مع تذكر أن النسب ورد في متى ولوقا فقط وبينهما ستة اختلافات :

١- يعلم من متى أن يوسف بن يعقوب ومن لوقا أنه ابن هالي .

٢- يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود-ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣-في متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون وفي لوقا أنهم ليسوا كذلك غير داود وناثان .

٤-في متى أن شألتيل بن يكنيا وفي لوقا أنه ابن نيري.

٥-في متى ان اسم ابن ذر بابل أبيهود وفي لوقا ريسا.

٦-في متي من المسيح إلى داود ستة وعشرون جيلاً وفي لوقا واحد وأربعين جيلاً ولما كان الزمن بين المسيح وداود ألف سنة يكون عمر الجيل على الأول أربعين سنة وخمسة وعشرين على الثاني (١)

رابعاً : حوادث انفرد بها كل إنجيل على حدة على سبيل التفصيل :

أولاً : إنجيل متى :

١-نسب المسيح من ناحية يوسف ٢/١.

٢-مشى بطرس على الماء ١٤/٢٨: ٣١.

٣-ضريبة الهيكل ١٧/٢٤.

٤-نهاية يهوذا الأسخريوطى ٢٧/٣-١٠ .

٥-حلم زوجة بيلاطس ٢٧/١٩.

٦-زيارة المجوس لميلاده ٢/١-١٢ .

٧- الهرب إلى مصر ٢/١٣: ١٥.

٨-قتل أطفال بيت لحم ٢/١٦: ١٨.

٩-شفاء الأعميين ٩/٢٧: ٣١.

١٠-شفاء الأخرس المجنون ٩/٣٢: ٣٤.

١١- الزلزلة وظهور الذين رقدوا عندما أسلم يسوع الروح ٢٧/٥١.

١٢- ختم القبر الذي وضع فيه جسد المسيح بأختام ٢٧/٦٢: ٦٦.

١٣- ظهور يسوع للنساءوللأحد عشر في الجليل ٢٨/٩: ١٠، ١٦: ٢٠.

١٤- الحراس يخبرون رؤساء الكهنة بما جرى عند القبر ٢٨/ ١١: ١٥.

هذا عن الأحداث وأما الأمثال التي اختصت بها هذه البشارة فهي :

١- مثل زوان الحقل ١٣/٢٤: ٣٠.

---

(١) إظهار الحق ١١٤.

٢- الكنز المخفي ١٣/٤٤.
٣- اللؤلؤة الكثيرة الثمن ١٣/٤٥: ٤٦.
٤- الشبكة الجامعة ١٣/٤٧.
٥- العبد الظالم ١٨/٢٣: ٣٤.
٦- فعلة الكرام ٢٠/ ١: ١٦.
٧- الأب وابنيه ٢١/ ٢٨: ٣٢.
٨- عرس ابن الملك ٢٢/ ١: ١٤.
٩- العشر عذارى ٢٥/ ١: ١٣.
١٠- الوزنات ٢٥/ ١٤: ٣٠.
١١- الخراف والجداء ٢٥.

ويلاحــظ ان متى قد انفرد بذكر كلمة كنيسة باسمها صراحة (متى ١٦/١٨، ١٨/١٧) .

ثانياً : إنجيل مرقس :

وقد اختص بذكر موقف يسوع امام هيرودوس ٢٣/ ٦: ١٢ .

ثالثاً : إنجيل لوقا : وقد اختص بذكر :

١- نسب يسوع من جهة داود.
٢- إعلان ولادة المسيح لمريم العذراء ١/٢٦: ٣٨ .
٣- إعلان ميلاده للرعاة ٢/٨: ١٤.
٤- زيارة الرعاة للمسيح ٢/١٥: ٢٠.
٥- ختان يسوع ٢/٢١.
٦- حواره في الهيكل ٢/٢٢: ٣٨.
٧- زيارة مريم للياصبات ١/٣٩: ٥٦.
٨- ميلاد يوحنا ١/٥٧: ٧٩.
٩- عظة يسوع في الناصرة ٤/١٦: ٣٠.
١٠- مثل السامري الصالح ١٠/٢٩: ٣٧.
١١- مريم ومرثا ١٠/٣٨: ٤٢.
١٢- مثل صديق منتصف الليل ١١/٥: ٨.
١٣- مثل الدرهم المفقود والابن الضال ٢٥/٨: ١٠.

١٤- مثل الغني والعازار ١٦/٩: ٣١.
١٥- قصة خلاص زكا ١٩/١: ١٠.
١٦- اللص التائب على الصليب ٢٣/ ٤٠: ٤٣.
١٧- قصة تلميذ عمواس ٢٤/١٣: ٣٥.
١٨- الصعود ٢٤/٥٠: ٥٣.
١٩- شيء من حياة يسوع في الناصرة ٢/٤٠: ٥٢.
٢٠- إقامة ابنة أرملة نايين ٧/١١: ١٧.
٢١- امرأة تدهن يسوع بالطيب ٧/٣٦: ٥٠.
٢٢- يسوع يخطب في كفر ناحوم عن الروحانية وترك المادية ١٢ / ١: ٥٩.
٢٣- خطاب يسوع عن خبز الحياة في وقت الفصح ٦/٢٢: ٧١.
٢٤- حضوره عيد المظال ٧/٢: ٥٢.
٢٥- حادثة المرأة التي أمسكت في الزنا٧/٥٣، ٨/١١.

رابعاً : إنجيل : وقد اختص بذكر :

١- إرشاد يوحنا تلاميذه إلى إتباع المسيح ١/١٩.
٢- تحويل المسيح الماء خمراً ٢/١: ١١.
٣- وشفاؤه ابن خادم الملك ٤/٤٦: ٥٤.
٤- شفاؤه المريض في بركة بيت حسدا ٥/١: ٩.
٥- المباحثة مع اليهود أثناء العهد ٨/١٢ : ٥٩.
٦- عيد التجديد وشفاء الأعمى ٩/١: ٣٨.
٧- إقامة العازار من الموت ١١/ ١: ٤٦.
٨- حديثه مع نيقوديموس ٣/١: ١٣.
٩- مع المرأة السامرية ٤/١: ٣٨.
١٠- حديثه مع الفريسيين عن لاهوته ٥/١٧: ٤٦.
١١- خطابه الوداعي لتلاميذه ١٤/١: ٥.
١٢- صلاته الشفاعية ١٧/١: ٥.
١٣- نصيحة قيافا ١١/٤٧: ٥٤.

١٤- زيارة اليونانيين وآخر التعاليم الجهارية ١٢/٢٠: ٥٠.
١٥- غسل الأرجل ١٣/١: ٢٠.
١٦- آخر أحاديث المسيح مع تلاميذه ١٤/١٠: ١٧.
١٧- محاولة بيلاطس لطلاق يسوع يوم الجمعة ١٩/٤: ١٦.
١٨- الظهـــور لسبعة من التلاميذ ورد بطرس إلى مكانته من يسوع بعد الإنكار ٢١/١: ٢٣.
١٩- كلمات يوحنا الختامية ٢٠/٣٠: ٣١.
٢٠- ظهوره بعد قيامته لتلاميذه على بحر الجليل ٢١/١: ١١.
٢١- لقاء يوحنا وإندراوس وبطرس بيسوع ١/٣٥: ٤٢.
٢٢- عيد الفصح الأول وطرد الصيارفة من الهيكل ٢/١٣: ٢٥.
٢٣- لقاؤه بنقوديموس ٣/١: ٢١.
٢٤- يسوع يبشر في اليهودية ٣/٢٣.
٢٥- يسوع يذهب إلى الجليل ٤/١: ٣.
٢٦- حديث يسوع مع المرأة السامرية ٤/٤: ٤١.
٢٧- شفاء ابن خادم الملك ٤/٤٣: ٥٤.
٢٨- عيد الفصح وشفاء مريض حسدا ٥/١: ٤٧.
٢٩- خطاب يسوع عن خبز الحياة في وقت الفصح ٦/٢٢: ٧١.
٣٠- حضور عيد المظال ٧/٢: ٥٢.
٣١- حادثة المرأة التي أمسكت في الزنا ٧/٥٣،٨/١١ (١).

النتيجة:

إن هــذا الـتفاوت فــي الذكر يجعل الباحث في حيرة حين طلب الحقــيقة فالدلــيل القطعي غير وارد ، ما ذكره الجميع وردت مغايرة فيه وتفاوت وما اختلف في ذكره فأين الحق فيه ، إن كان مع الكاتبين فقد وقع الخلل فيمن لم يدون وإن كان الحق في عدم التدوين فلم دونه الآخرون.

---

(١) تـم الاستعانة بقاموس الكتاب المقدس وفهرس الكتاب المقدس والقراءة مع التحليل والكمال لله .

إن النصـــارى يعللون ذلك بأن بعض الكتاب كان محللاً حريصاً علـــى التدقـــيق والتحقـــيق والبعض كان حريصاً على الذكر فقط دون التحقيق وهذا سر التفاوت - كما يقولون (١) - وهو من أبلغ الأدلة على أن الأهـــواء قامت بالنفس حين التدوين دون الاعتماد على مصدر واحد أو الاشـــتغال بجمـــع شـــتات النص الأصلي الموحى به كذلك هو دليل فقدان بعض المصادر التي أخذ عنها ولعلها الأناجيل التي ردت في المجامع الأولى والتي ضمنت بعض ما ذكر .

الجانب الثالث نقد متن العهدين بالمواجهة بينهما :

جمهـــور الـــيهود على عدم النسخ وإن كانت الدراسات العلمية أثبتـــت غير ذلك (٢) والنصارى يؤمنون بحجية العهد القديم وينسب إلى المســـيح أنه صرح بعدم النسخ كما ورد في النص (لا تظنوا أني جئت لأنقـــض الـــناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقـــول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحـــدة من الناموس حتى يكون الكل (٣) . ومع ذلك وجدنا العهد الجديد ينقض كثيراً من تعاليم العهد القديم .. نذكر منها :

العهد القديم	العهد الجديد
-حرمة العمل في السبت خروج ٢٩/١٦، ٢٠ /٨ ، ١٤/٣١	- حل العمل في السبت متى ١/١٢: ١٨
- جواز الطلاق تثنيه ١/٢٤ ومتى ٣١/٥	- تحريم الطلاق متى ٣١/٥: ٣٢.
- الختان سنة مؤكدة بل فريضة تكوين ٤/٢١ ، ١٥/٣٤	- الخـــتان غـــير محبب - كورنثوس ١٨/٧ غلاطية ٢/٥.
- الحلـــف بالله جائز راجع مادة " حلف" في الفهرست الكتاب المقدس	- الحلف محرم شرعاً متى ٣٤/٥
- الحـــدود واردة مدعو إليها تثنية ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥	- الحدود ساقطة منهى عنها متى ٢١/٥ : ٤٨

---

(١) الكتاب المقدس فى الميزان ، الفصل الأول .

(٢) إظهار الحق فصل النسخ ٢٩٣ - ٣١٦ .

(٣) متى ١٧/٥-١٨ ، لوقا ١٧/١٦ .

- مات بسبب الزنا ٢٤ألف عدد ٩/٢٥ - الأشرار هم كفارة الخطايا أمثال ١٨/٢١	- مات بسبب الزنا ٢٣ألف ١- كورنثوس ٨/١٠ المسيح هو كفارة الخطايا يوحنا ٢/٢.
- شريعة موسى غير معيبة مزمور ٧/١٩	- شريعة موسى قاهرة ومعيبة إلى العبرانيين ١٨/٧
- زر بابل بن فديا ١-أخبار الأيام ٣ - أخنوخ وإيليا صعدا إلى السماء تكوين ٢/٥ ، الملوك ٢/	- زر بابل بن شألتيئل متى ١٨/١. - لم يصعد إلى السماء إلا المسيح يوحنا ٣/ ١٣.

وقد بسط القول في هذا الاتجاه رحمة الله الهندي وإن كان ذكره لها منشوراً في ثنايا كتابه دون تخصيص .

وبهـذا أثمـر القرآن حميداً في العقل الإسلامي في ميادين شتى ومنها ميدان الدراسات النقدية لعقائد غير المسلمين .

ولعلـنا بعـد هذا التطبيق تكون الصورة قد اتضحت لكل قارئ حول نسبة الصلاحية في الكتب السابقة ، وندرك الحكمة من أن القرآن لـم يقطع بالتحريف الكلي للكتب السابقة ولم يقل بسلامتها بالكلية وهذا هو الإنصاف في الأحكام .

خصائص النص القرآني من بين النصوص الأخرى

لمـا كانـت الرسالات السابقة مؤقتة زماناً ومكاناً وأفراداً ، فقد شـاء الحق أن لا يحفظ كتبها ، كما قام الدليل العملي على أن البشر ما لـم تقـم بهم عناية من الله تحملهم على حفظ الوحي فهم غير مؤهلين لحمل الوحي مع حفظه .

ولمـا كـان الإسـلام خـاتم الرسالات السماوية ، وبعثاً لدعوة الرسل السـابقين ، وإحـياء لديـن الله الذي أوحى به إلى من سبق فأماتوه ، ومقدراً له من الله أن يبقى إلى قيام الساعة فقد شاء الله أن يتعهد القرآن بالحفظ وأن يخصه بخصائص منها :

١- الحفظ الإلهي : وهو واضح في نصوص شتى في القرآن الكريم منها :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١)

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣)

٢- العلم بلغته وكل الكتب السابقة مجهولة اللغة الأصلية كما سبق بيانه ، أما القرآن فلغته التي نزل بها مقطوع بها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ (٦) ، ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٧)

ونفى عنه شائبة التأثر باللغات الأخرى ، أقول باللغات ولم أقل باللهجات قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٨) ، ولم يعرف لأي كتاب من الكتب السابقة لغة محددة .

---

(١) سورة القيامة (١٦: ١٩).
(٢) سورة طه (١١٤).
(٣) سورة الحجر (٩).
(٤) سورة يوسف (٢).
(٥) سورة الزخرف (٣).
(٦) سورة فصلت (٤٤).
(٧) سورة الشعراء (١٩٣: ١٩٥).
(٨) سورة النحل (١٠٣).

٣- حــرمة تــرجمة نصه مع إباحة ترجمة معانيه ، وهذا ما عليه المســلمون فــي مشارق الأرض ومغاربها ، فجمهور المسلمين على المنع وكل الأصوات التي نادت بالترجمة قد ذهبت أدراج الرياح ، لأن القــرآن معجز في مبناه وإعجاز معناه متوقف على إعجاز مبناه ، فإذا وقعــت الترجمة اختل المبنى فاختل المعنى باختلاله ، لأن الترجمة في ذاتها فهم للنص ثم التعبير عنه من قبل المترجم ، ولهذا تختلف التراجم باخــتلاف المترجمين وثقافتهم وكفاءتهم ... والكتب السابقة الموجودة الآن هــي تــرجمات لأصول مجهولة المصدر كذلك نظراً لجهل اللغة الأصلية لهذه الكتب .

٤- اتفاقــه مع الكشوف العلمية الحديثة في مجال الإنسان والكون ، بشــرط أن يصل الكشف العلمي إلى مرحلة الحقيقة لا النظرية ، وإنه رأي البعض أنه لا توجد حقائق علمية بل نظريات فقط ، وهذا مخالف للواقع ، فانشطار الذرة وتمدد الحديد بالحرارة وارتياد الأفاق والوصول إلــى القمــر والجاذبــية ...الخ من الحقائق العلمية ، كما أن اختلاف البصــمة فــي البنان واختلاف الشكل (ألوانكم) واختلاف الصوت من الحقــائق العلمــية وأصبحت كلها بصمات يؤخذ بها في الدول المتقدمة وتتوقف المتخلفة عند حد البنان (بصمة الأصبع).

إن حركة علمية ظهرت الآن تحت مسمى " الإعجاز العلمي في القــرآن " تهتم بتفسير النص الكوني في القرآن والنص الإنساني كذلك في ضوء معطيات العلم الحديث .

بل إن من أفضل الكتب والمحاضرات والندوات التي يعول عليها فــي الدعــوة إلــى الله تلك التي يعتمد المتحدثون فيها على سنن الله في

الكــون وربطها بالقرآن ، وحسبنا الجهد الذي قام به كل من : أ.د محمد جمــال الديــن الفندي ، أ.د أحمد زكي ، أ.د حنفي أحمد ، أ.د عبد الله شــحاته ، الشيخ نديم الجسر ، الشيخ محمد حسين الذهبي ، وحيد الدين خــان ، ود. مصـــطفي محمود ، د.زغلول النجار ، الشيخ عبد المجيد الزنداني ، أ.د سعيد حوي ، أ علي عبد العظيم ، أ.د بكر زكي عوض ، د.موريس بوكاي ، وغيرهم في هذا الميدان .

وأكــثر الكشــوف العلمية الكونية تدل دلالة قطعية على تحريف الكتب السابقة .

٥- تيســير حفظه : وهو وعد الله في كتابه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (١) ، وكم ورد في السنة من أحاديث تحــث على حفظ القرآن وفضل الحفظة وعون الله لمن التمس أسباب الحفظ حتى إننا لنجد من بين الأطفال من يحفظه دون السابعة والثامنة الآن وهــم الذيــن يظهرون في المسابقات الدولية ، ومتوسط سن حفظ الأطفال بين التاسعة -وقد امتن الله عليّ بها- والحادية عشرة .

وأمّا الكتب السابقة فلم نسمع عن حافظ لها أو تالٍ عن ظهر غيب ، لما مرّ من خصائص تقوم بها تحول دون الحفظ العقلي لها .

٦- التعــبد بالتلاوة أو السماع ، وآيات القرآن في ذلك كثيرة ، قال تعــالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ

---

(١) سورة القمر (٣٢).

الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ ... الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا .. ﴾ (١)

وأما السنة النبوية ففيها مئات الأحاديث التي تبين فضل تلاوة القرآن والتعبد به .

إن غير المسلمين ، قد وضعوا صيغاً لصلاتهم لا أصل لها في كتبهم ، واستغرق إعداد هذه الصيغ فترة من الزمن ، بل إنها لم تكتب إلا بعد ملاقاة الرسل السابقين لربهم بمئات السنين وأكملت على مراحل . إذا استثنينا قليلاً مما يؤخذ من مزامير داود ليتعبد به أو تؤدى به الطقوس الدينية أو ما أجاب به المسيح عندما سئل عما يقولون فى الصلاة .

٧- استمرارية الإعجاز أخذا من ظواهر نصوص القرآن من ناحية ولإجماع الأمة على ذلك من ناحية ثانية ، وسواء أكان الإعجاز متعلقاً بالمبني أو متعلقاً بالمعنى أو هما معاً عند التناول فإنه لم تظهر أي محاولة لنقد تركيب النص أو طعن في معنى من قبل المنصفين ، وإذا كان المستشرقون قد اهتموا بذلك كثيراً وبذلوا كل جهد ممكن للطعن في سند القرآن ومتنه ، فإنهم لم يقولوا بدعاً من القول ، وأسلافهم قد طعنوا في الأمرين معاً وقد ذكر القرآن الطعون ورد عليها ..

وما التعارض الظاهر بين نص القرآن وما يسمى علماً إلا ناتج تضييق معنى النص ، أو توسيع الدلالة العلمية ، أو كون الأمر نظرية لا حقيقة أو خلاف شخصي بين علماء الدين ورجال العلم أو كون

---

(١) سورة المائدة (٨٢: ٨٥) .

الحقـيقة لـم يأذن الله بكشفها في الوقت الذي يزعم فيه الباحثون أنهم انتهوا إلى المرحلة الأخيرة في البحث .

إن غـير المسـلمين ليعيدون النظر بين الحين والحين في كتبهم المقدسـة ، فيضـيفون ويحذفون ، ويعدلون في الأساليب والصياغة ، ومـن يقرأ الكتاب المقدس طبعة العيد المئوي ١٩٨٣ م. سيجد في أول ورقة من خلفها " تنبيه" اعلم أن الحرف (ي) يشير إلى اليونانية ، والحرف (عـ) يشير إلى العبرية ، والحرف (ق) يشير إلى القبطية ، والحرف (ز) تعبير عن زائد ... الخ مما يدل على الانتقاء والاختيار والمراجعة .

إن الـتحدي بالقـرآن لا يزال قائماً ، وكل يوم يتلى فيه النص القرآنـي : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢)، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٣) يقع فيه التحدى .

إن هذه النصوص تخاطب البشرية جمعاء كل يوم متحدية إياهم والدليل على العجز لا يفتقر إلى برهان .

---

(١) سورة الإسراء (٨٨).
(٢) سورة هود (١٣).
(٣) سورة البقرة (٢٣، ٢٤).

وأمـــا مـــا ورد من طرائف ومهازل حول معارضة القرآن فإن مبناه يدل على معناه لكل ذي لب ، ومن ذلك قول بعضهم :

الفـــيل مـــا الفيل وما أدراك ما الفيل ، لـــه ذنب وبيل وخرطوم طويـــل إن بطش ربك لقليل وحيث جاءت سجاح إلى مسليمة فقالت له مـــا أوحى إليك ربك ؟ فقال : ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى ؟ قالت : وماذا أيضاً قال : إن الله خلـــق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن أزواجاً فتولج فيهن إيلاجا ، ثم تخـــرجها إذا نشاء إخراجا فينتجن لنا سخالا إنتاجا . قالت : أشهد أنك نبى .. الكامل فى التاريخ ٣٥٦/٢ .

وقول آخر : إنا أعطيناك المقعق . فصل لربك وازعق . إن شانئك هو الأبلق .

وقول ثالث : والمبذرات ذرعاً والحاصدات حصداً واللاقمات لقما .

وقول رابع (١): ياضفدع نقي ، ما تنقين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين .

وقول له : لقد فضلتم على أهل المدر ، وما سبقكم أهل الوبر ، رفيقكم فامنعوه والباغى فناوئوه .

وقـــول سادس : لقد خلق الله النساء لنا أفواجاً وجعل لهن أفراجا فنحن نولج فيهن إيلاجا .

ومن أقوال طلحة : والحمام واليمام والصرد والصوالم ، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام . (٢)

---

(١) من أقوال مسيلمة الكذاب . الكامل فى التاريخ ٣٦١/٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٤٨/٢ .

إننـــي لا أريد أن أكثر من ذكر هذه الأمثلة ومن أراد الاستزادة فلـيرجع إلـى كتاب : الإتقان للسيوطي ، البرهان للزركشي ، مناهل العرفان للزرقاني ، النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ، وكتب التاريخ وبخاصـة فـترة حروب الردة وما قاله المتنبئون مما زعموه قرآناً ، وأخـص هـذه الكتب بالذكر تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري والكامل في التاريخ لابن الأثير والمفصل في تاريخ العرب لجواد علي .

٨- وحـدة المضـمون ، فالقرآن في مشارق الأرض ومغاربها يبدأ بسـورة الفاتحـة وينتهـي بسـورة الـناس ، وجوهر السور واحد ، والاخـتلاف في القراءات القرآنية مرده إلى السماع لا الابتداع ، وكل محاولـة لإثبات زيادة في مضمون أو حذف شيء منه لم تحدث ، وما وردت الإشـارة إلـيه مـن وجـود معان أو إيضاحات أو أدعية في مصاحف بعض الصحابة ، فقد كتب على هامش المكتوب خشية نسيان البـيان النـبوي ، وبخاصة أن الرسول ﷺ كان ينهاهم عن كتابة شيء غـير القـرآن ومـن كتب شيئاً فليمحه ، فمحا كلٌ ما كان مدرجاً في الـنص ، وأخرجه إلى الهامش فكان الوصف للسفينة بأنها (صالحة) ، كمـا كتـب ابن مسعود بعض الأدعية وأسقط بعض السور لتمكنه من حفظها واستغنائه بالحفظ عن الكتابة لمشقتها في ذلك الوقت .

وأمـا ما ينسب إلى وجود مصاحف لدى الشيعة فيها من القرآن مـا ليس في مصحف أهل السنة فهو كلام يفتقر إلى دليل ، ولعله من وضـع أناس حاقدين عندهم وقام بنشره أناس يبغون الفتنة عندنا ، لقد نسـب ذلك لكثير من الشيعة (المصحف الإمام) وكانوا من أهل العلم وأنكـروا ذلـك تمامـاً ، ولقد وقع في يدي كثير من مصاحف طبعها

الشـيعة أو هـي معهم أثناء عملي في بعض الدول العربية ، فوجدت المصحف مكتوبا باللغة العربية ، وله شروح في الهامش باللغة الأردية دون زيادة أو نقص في النص المكتوب .

وأما الكتب الأخرى فإنها تفقد هذه الخصوصية ،

فالـتوراة منها نسختان : إحدهما بابلية والثانية سامرية ، وبينهما خـلاف تـام في المحتوى فالأولى تسعة وثلاثون سفراً والثانية خمسة أسـفار فقط ، وكل من الطائفتين لا يسلم بصحة النسخة الثانية ، بل إن الأسفار الخمسة الأولى ، المتفق على عناوينها بين البابليين والسامريين (تكويـن – الخـروج – العـدد – اللاويين – التثنية) تختلف كذلك في مضـمونها ، وقـد أحسن معالجة هذه الأمر المرحوم الدكتور / أحمد حجازي السقا ، في كتابه الذي نشره (التوراة السامرية) .

وأما الإنجيل فالحديث عن تعدده (متى – مرقس – لوقا – يوحنا) فضـلاً عن الأناجيل الأخرى التي لم يعترف بها المؤتمرون في نيقية سنة (٣٢٥م) وتصريح لوقا بأنه قد قرأ أناجيل كثيرة وأنه حرص على تنقـية المكـتوب وتألـيف إنجيله كما قال " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتألـيف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقـيق أن أكتـب علـى التوالي إليك أيها العزيز ثاو فيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " .

هـذا عن اختلاف مضمون التوراة واختلاف مضمون الإنجيل ، ومـا هـو أوسـع دلالـة من هذا ، إن الطوائف المسيحية مختلفة في مضمون الكتاب المقدس سواء أتعلق الكلام بالعهد القديم أم تعلق بالعهد الجديـد ، فـالأرثوذكس والبروتستانت يرون غير ما يراه الكاثوليك ، الذيـن اعـتمدوا سبعة أسفار في نسختهم يراها آخرون "أبوكريفا" أي غير قانونية أو محذوفة ، وقد أحسن في ذلك وأجاد المرحوم أحمد عبد الوهاب في كتابه "اختلافات في تراجم الكتاب المقدس .

إن الوحدة في معالجة بعض القضايا في العهد الجديد لتؤكد عدم الكـتابة بين يدي المسيح ومن يأخذ القضايا الثلاث الجوهرية عندهم : التثليث – الصلب والفداء – العشاء الرباني . ليرى اختلاف المضمون فـي كثير من جوانبه ، فضلاً عن أن قضايا معينة قد ذكرت في الأناجيل الأربعـة وذكرت أخرى في ثلاث ولأخرى في اثنين وانفرد كل إنجيل ببعض القضايا التي لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى .

٩- استقامة محـتواه مكـيا كان أو مدنياً : فمن خصائص النص القرآنـي أنه لا يتعارض مع بعضه ولا يتناقض ، وكل محاولة لإثبات ذلك قد باءت بالفشل ، ولا يستطيع غير المتخصص أن يفرق بين مكية ومدنـية ، لـولا جهود السابقين ورعاية الأمة وعنايتها بهذا الكتاب ما عـرف المكي من المدني ، مع أن نزوله قد استغرق من الزمن قرابة ثلاثـة وعشـرين عامـا ، ولـو لـم يكن وحياً ما سلم من خلل ما ، والـتعارض الظاهـر بيـن بعض النصوص هو ناتج الجهل بأسلوب القـرآن أو بقواعد اللغة العربية أو بتداخل الزمن أو بلهجات العرب أو بأسـلوب الخطـاب العربـي كدلالة كلمة أخ على الشقيق والصاحب والشبيه والرفيق والإنسانية والحمى والنظير مثلاً .

وقد أحسن معالجة ذلك الشيخ محمود شاكر في أباطيل وأسمار ، والعقـاد فـي حقـائق الإسلام ، والقاضي عبد الجبار في كتابه تنزيه القـرآن عن المطاعن ، وعلى شاهين في كتابه الأعلام بنقض ما جاء في كتاب جرجس سال : مقال في الإسلام

أما الكتب الأخرى فإن مضمونها متفاوت ومتعارض ، وقد سلك المسـلمون مسالك في نقدها ، وإن كنت أرى عدم الصواب في مسلك كثيريـن منهم ، وقد يسر الله لي الأسباب حين وضعت المنهج العلمي لنقد الكتاب المقدس وأشرت إلى سبيلين في ضوء القرآن الكريم :

١- السبيل الأول : نقد سند الكتاب المقدس .

٢- السـبيل الثاني : نقد متن الكتاب المقدس . وأشرت في ذلك إلى أسس منها :

أ- نقد متن العهد القديم .

ب- نقد متن العهد الجديد .

جـ- نقد متن العهدين .

وذلك كما سبق بيانه .

١٠- النسبة إلى الله وحده دون سواه ، الناظر في مسمى الكتب السابقة يجدها غير مضافة إلى الله ، بل إن أهلها قد قطعوا بنسبتها إلى غير الله ، فعندنا التوراة السامرية والتوراة البابلية ، وعندنا إنجيل متى ومرقس ويوحنا ولوقا ، وأعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا اللاهوتي ... الخ .

كما أطلق مسمى العهد القديم على التوراة البابلية وما يتبعها من أسفار يصل عددها إلى ٣٩ عند البروتستانت والأرثوذكس وست وأربعين عند الكاثوليك ، وأطلق مسمى العهد الجديد على الأناجيل الأربعة مضافاً إليها أعمال الرسل ورسائلهم ورؤيا يوحنا اللاهوتي ، ومجموع ذلك كله قد أطلق عليه الكتاب المقدس ، كل هذه المسميات لم ترد فيها إضافة إلى الله ، وإن وردت بعض المسميات الإلهية دون النسبة لله ، أما القرآن الكريم فإن الحق قد سماه وأضافه إلى نفسه في كثير من آياته ، ولم يسمه المسلمون بأي اسم لم يرد في القرآن ، لأن أسماءه توقيفية كما هو رأي جمهور المسلمين .

١١- الجمع والنسخ عن طريق لجنة علمية :

الكتب السابقة لم يعرف لها مدون ابتداءً ، وما عرف ناسخوها إلا في مرحلة متأخرة من الزمن ، والنسبة إلى المدونين أقرب ما تكون إلى النفي منه إلى الإثبات ، وهذا ما عليه كاتبوا العهد القديم والجديد ولما القرآن الكريم فمن اللحظة الأول للتنزيل وكتابته ثابتة بين يدي الرسول ﷺ والمكتوب ثم على الجلد والعظم والرقاق وسعف النخيل ..الخ .

وبعد ملاقاة الرسول لربه ، خرج المسلمون لحرب المرتدين ، وقتل من الصحابة سبعون في معركة اليمامة وكانوا من خيرة الحفاظ للقرآن ، وخشي عمر ﷺ أن يستحر القتل في أصحاب الرسول فيضيع القرآن بضياعهم فاقترح على أبي بكر أن يكتب المصحف في نسخة

واحدة تحفظ عند الخليفة ، وتحاوروا في الأمر واستقر الرأي على كتابة القـرآن فـي مصحف واحد ، وكلف بذلك زيد بن ثابت واعتمد على بعض الحفظة والكتبة معه ، ولم يكتب إلا ما وجد له مصدران :

الحفظ في الصدور .

الكتابة في السطور .

وكـان يبحـث عما يجده مكتوباً في صدور الحفظة وعما يجده محفوظـاً في الصدور في سطور الكتبة ، ثم ترك المصحف عند أبي بكر ، ومن بعده أخذه عمر بن الخطاب ، ومن بعده أخذته حفصة بنت عمر وزوج الرسول ﷺ .

وفـي خلافـة عـثمان ﷺ كانت الفتوحات قد اتسعت وامتدت والصـحابة تفرقوا ووقع اللحن في القراءة ، والخطأ في النطق من قبل المسـلمين الجدد ، سمع ذلك حذيفة بن اليمان ، فأخبر عثمان ﷺ بالأمر ، واقـترح علـيه أن ينسخ عدداً من الصحف ويرسلها إلى العواصم في ذلـك الوقـت لحمـل الـناس على مصحف واحد خال من الشروح والتفاسير والأحكام والأدعية التي سمعت من الرسول ﷺ ، واستجاب عـثمان للـرأي وأرسل إلى حفصة ﷺ طالباً المصحف الذي عندها ، وشكل لجنة علمية على رأسها زيد بن ثابت ومعه عبد الله بن الزبير ، سـعيد بـن العـاص ، عـبد الرحمن بن الحارث ، فنسخوا عدداً من المصـاحف وأرسـلوها إلى عواصم البلدان الإسلامية واستبقى عثمان لنفسـه نسخة وأعاد النسخة التي أخذها من حفصة وارتضى المسلمون هذا العمل والتزموا به حتى وقتنا هذا وإن أضافوا إلى جوهر المكتوب مـا يسـاعد علـى ضـبطه عـند التلاوة مثل النقط والشكل والترقيم والتحزيب والتعشير والعلم بالمكي والمدني .. الخ .

ومـن خصائص هذه اللجنة العدالة والضبط التام وانتفاء الجهالة فضلاً عن الشعور بالمسئولية .



معايير القبول والرد لنص الكتاب المقدس

يتطلب هذا العنوان إيضاح أمرين :

الأمر الأول : تحليل جملة (الكتاب المقدس) وبيان مضمونه.

الأمر الثاني : معايير القبول والرد لنصوص الكتاب المقدس .

ولإيضاح الأمر الأول أقول :

الأمر الأول : تحليل التسمية وبيان المضمون :

كل ما يكتب يسمى كتاباً كما سبق بيانه ، ونحن أمام مكتوب إذا دعوناه كتاباً ما خالفنا الدلالة اللغوية .

وأما كلمة (المقدس) أي المطهر كما هو مدلول الكلمة في اللغة ، فهو وصف أطلقه النصارى على هذا الكتاب وبمقياس الشرع والعقل لا تستقيم هذه الصفة ، لأنه لم يسلم من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير حتى إن النصوص المتعلقة بذات الله وشخص الرسل لتؤكد بطلان هذه الصفة .

الكلمة المركبة (كتاب مقدس) بين حلّ الاستخدام وحرمته :

يـــرى بعــض العلماء أن إطلاق هذا الاسم حرام شرعاً ، وأن الصواب القول كتب أهل الكتاب ، أو الكتاب غير المقدس .....الخ

وهذا الاتجاه تغلب عليه العاطفة دون العقل ، لأن هذه التسمية اصطلاحية عند النصارى وصارت علماً بالغلبة على هذا الكتاب ، فهو مقــدس عندهم غير مقدس عندنا ولا حرج في استخدام هذه التسمية ، مثلاً كمثل من سُمّي صالحٌ وعندما بلغ أشده صار من أفسد خلق الله ، لــيس بالإمكـــان إلا أن ندعوه صالحاً ، ومثل فتاة دعيت بجميلة عند الـــولادة ، فلمـــا بلغـــت أشدها ظهرت دميمة وليس لنا مع هذا إلا أن ندعوها جميلة لأن أهلها قد دعوها بذلك .

هذا عن التسمية (الكتاب المقدس) .

وأمـــا المضمون فإن النصارى قسموه على أساس من الزمن ، ودعَوْا كل قسم باسم صار علماً عليه .

فمـــا كان من زمن موسى وأوحى إليه به وما أوحى به إلى من بعده حتى مبعث المسيح ﷺ دُعِي بالعهد القديم .

والعلاقـــة بين مسمى العهد القديم والتوراة هي علاقة بين الكل والجزء أو الأعم والأخص ،

فـــالعهد القديم يطلق عند البروتستانت والأرثونكس على تسعة وثلاثين سفراً [1] ويلحق بها سبعة أسفار عند الكاثوليك .

وقد قسمت بحسب الأسفار إلى أقسام هي :

١-الـــتوراة أو أسفار موسى الخمسة أو الأسفار الناموسية وإطلاقها على هذه الأسفار الخمسة إطلاق حقيقي وإطلاقها على باقي الأسفار إطلاق فيه توسع أو مجازي .

وهذه الأسفار هي :

أ- التكوين : وتحدث عن بدء الخلق حتى وفاة يوسف ﷺ .

ب- الخروج : وتم الحديث فيه عن بني إسرائيل بعد يوسف حتى خروجهم من أرض مصر إلى سيناء .

جـــ- اللاويين : وفيه رسم كافة الطقوس الدينية ، وقد عهد بها إلـــى أبـــناء لاوي بـــن هـــارون ، كما يتضمن كثيراً من الأحكام الشرعية.

---

(١) كلمة سفر مثل كلمة سورة عندنا .
كلمة إصحاح مثل كلمة ربع عندنا .
كلمة فقرة مثل كلمة آية عندنا .

د - العـدد ، وفـيه إحصاء للشعب مع تضمنه لكثير من الأحكام الشرعية.

هـ- التثنـية : وتعني التكرار . أي تكرار الأحكام الشرعية مرة ثانـية مـع التذكـير بأوامر الله ونواهيه وذكر بعض الحروب وموت هارون ، ثم موت موسى وعقد مقارنة بينه وبين من بعده من الرسل .

٢- الأسفار التاريخية وعددها ١٢ اثني عشر سفراً ، وسميت بما يـدل على محتواها ، وهي على الترتيب : يشوع - القضاة - راعـوث - صـموئيل الأول - صـموئيل الثاني - الملوك الأول- الملـوك الثانـي - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني - سفر عزرا - سفر نحميا- سفر أستير .

٣- الأسـفار الشـعرية وعددها خمسة وهي : (أيوب - مزامير داود- أمـثال سـليمان -سفر الجامعة - سفر نشيد الإنشاد) وهـذه الأسـفار هي التي تؤدى بها الطقوس الدينية والشعائر التعـبدية وبخاصة مزامير داود ، وأما نشيد الإنشاد فهو سفر ماجن فاسد يتحدث عن العشق والعهر والفساد الخلقي ، ولكن اليهود يعتبرونه رمزاً صوفياً لا يفهمه إلا الصفوة منهم .

٤- أسفار الأنبياء وعددها ١٧ سبعة عشر سفراً هي :

أشـعيا - أرميا - مراثي أرميا - حزقيال- دانيال - هوشع - يوئيل - عاموس- عوبديا- يونان - ميخا- ناحوم- حبقوق - صفنيا- حجي - زكريا - ملاخي -

وقد ألحق الكاثوليك بهذه الأسفار سبعة أخرى هي :

(بـــاروخ – طوبيا – يهوديت – الحكمة – يشوع بن سيراخ – المكابيين الأول– المكابيين الثاني)

وبهـــذا يكون مضمون العهد القديم مختلفاً عند الكاثوليك مع ما يؤمن به البروتستانت والأرثوذكس .

ويهود السامرة لا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة الأولى ، ويرى رحمة الله الهندي أنهم يقبلون سفرين آخرين هما يشوع ، والقضاة .

وأما العهد الجديد فإنه يطلق على ما أوحي به إلى عيسى عليه السلام ومـــا ألهمه حوارييه وما عملوه من بعده فضلاً عن رؤيا رآها يوحنا فأخبر بها وعدد مكوناته سبعة وعشرون سفراً هي :

١– الأناجيل الأربعة وتنسب إلى (متى – مرقس – لوقا– يوحنا).

٢– أعمال الرسل .

٣– رسائل بولس وعددها أربعة عشر إلى :

رومية ، كورنثوس الأولي ، الثانية ، غلاطية ، أفسس ، فيلبي ، كولوســـي ، تســـالونيكي الأولى ، تسالونيكي الثانية ، تيموثاوس الأولى ، الثانية ، تيطس، فليمون ، عبرانيين ،

٤– الرســـائل السبع الكاثوليكية وهي رسالة يعقوب ، رسالة بطرس الأولى والثانية ، رسالة يوحنا الأولى ، الثانية ، الثالثة ، رسالة يهوذا .

٥– رؤيا يوحنا اللاهوتي .

<u>ويلاحظ على المضمون السابق الذكر ما يلي</u> :

١– نسبة كثير من المحتوى إلى غير موسى وعيسى عليهما السلام.

٢– نسبة بعض الأسفار إلى بعض الزناة كسفر أستير .

٣- نسبة أحد الأسفار إلى رؤيا منامية رآها أحد الرهبان .

٤- اختلاف المضمون بين الفرق المسيحية .

٥- عدم اعتراف اليهود بالعهد الجديد لأنهم لا يؤمنون بالمسيح ابتداءً فكيف يؤمنون بكتاب ينسب إليه .

٦- الاختيار من بين البدائل ، فالعهد القديم كتب على أساس من الانتقاء والعهد الجديد قد تم اختيار مضمونه من عشرات الكتب سنة ٣٢٥م ومن يراجع تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري يدرك ذلك ، وكذلك كتاب تاريخ الأقباط ، وكتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي .

٧- لم يتول طبع هذا الكتاب ونشره إلا المسيحيون وأما اليهود فلا يشغلهم هذا الأمر من قريب أو بعيد ، وعلة نشر النصارى للعهد القديم هو إيمانهم بأن العهد القديم هو أول مصدر للتشريع عندهم وهو ما يبين في حينه - إن شاء الله -

أثر العلم بهذا المضمون في ثقافة المسلم :

في تاريخي العلمي والعملي رأيت من يقول : يحرم شرعاً القراءة في الكتاب المقدس ، واستشهد لهذا بحديث المصطفى ﷺ : "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب . لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي"

فأخذوا من ظاهر النص القول بالنهي ، ونسي هؤلاء صدر الرواية وسبب ورود الحديث وهو : مرور الرسول ﷺ على عمر بن الخطاب يقرأ في نسخة من التوراة قد أعجبته ، لهذا كان النهي ، وختم الحديث بقول الرسول ﷺ " لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى ابن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي " إذن فالنهي عن القراءة بسبب .

والصواب جواز القراءة في هذا الكتاب للأسباب الآتية :

السبب الأول : الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين في معرفة الدلائل الدالة على التحريف .

السبب الثاني : معرفة مواطن النقل عن أهل الكتاب بالنسبة لكتب تفسير المسلمين ، وبخاصة ما يتعلق بقصص الأنبياء والمرسلين .

السبب الثالث : بيان مصادر الحديث عن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ وبخاصة تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري والكامل في التاريخ لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير والبدء والتاريخ للمقدسي ، ودون أن يرد لهم ذكر في القرآن الكريم .

السبب الرابع : بيان مصدر الحديث عن قصص الأنبياء الوارد في قصص الأنبياء للثعلبي ، قصص الأنبياء لابن كثير وغيرهما مما لم يرد له ذكر في القرآن الكريم .

السبب الخامس : بيان مدى تأثر الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات ، وإقامة الدليل العملي على أن الإسلام لا يحول دون المعرفة مع قواعد للقبول والردّ حتى تكون المعرفة حقاً وهادفة .

السبب السادس : النزول على الإذن النبوي الشريف " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " فكيف يكون الحديث عنهم دون الوقوف على كتبهم.

السبب السابع : أن قراءة الكتاب المقدس تمكن من الجدل بالتي هي أحسن وتمكن من مقارنة الأديان ومن نقد المعتقدات الأخرى على بصيرة .

السبب الثامن : فيه اتباع لهدي السلف الصالح ومن يقرأ كتاب الأجوبة الفاخرة للقرافي ، والمنتخب الجليل للمسعودي ، والإعلام بما في ديـن النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم والفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن الباجه جه زادة ، والسؤال العجيب في الرد على عباد الصليب ، للـباجه جـه زادة ولامية البوصيري في الرد على النصارى ، يدرك أن هؤلاء جميعاً كانوا يحفظون ما يسمى بالكتاب المقدس .

ولعـل المـناظرات التي ألقاها المرحوم الشيخ احمد ديدات فيها خـير بـرهان على هذا وكذلك مناظرات الشيخ رحمة الله الهندي التي دونهـا فـي كتابه : إظهار الحق والمناظرات التي ألقاها كل من ل.م / أحمـد عبد الوهاب ، والشيخ أحمد حجازي السقا والشيخ جميل غازي والتي طبعت ونشرت توضح أن العلم بمضمون الكتاب المقدس قيد لابد مـنه فـي كل محاضرة أو مناظرة أو دراسة نقدية أو دراسة جدلية أو دعوة لكتابي لاتباع الإسلام .

الأمر الثاني : معايير القبول والرد لنصوص الكتاب المقدس :

الـنص الـوارد فـي الكـتاب المقدس إما أن يتعلق بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق.

فـإن تعلق النص بعقيدة فكل مخالفة فيه لنص القرآن أو صحيح السـنة فهـو محـرف ، لأن العقـائد من الثوابت ، ولأنها تقوم بغير المتغـيرات (الله – الملائكة– الكتب – الرسل– اليوم الآخر) وما تعلق بالثابت فهو ثابت .

وأمــا إذا طــابق النص العقدي في الكتاب المقدس نصاً قرآنياً ، نقــول فيه دلالة على أنه بقية من حق ، وفرق بين أن نقول : إنه وحي وبيــن أن نقول إنه بقية من حق ، لأن الوحي لا يترجم فإن ترجم صار معــنى لــنص الوحي دون أن يوصف بالوحي ، وذلك مثل ما ورد في الــتوراة (أنا الرب إلهك لا يكن لك رب غيري) وما ورد في الإنجيل عندما طلب الشيطان من المسيح أن يسجد له حتى يملكه جميع الممالك التي أراه إياها فقال له المسيح "اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) متى ٤/١٠.

وإن تعلــق الــنص بخُلُقٍ فإن حسّن الحسن وقبّح القبيح فهو بقية مــن حــق كذلك ، لأن الأخلاق من الثوابت عبر تاريخ البشرية ومنها الفطــري ومــنها المكتســب . ومع هذا لم يجر عليها تغيير ، فالأمانة محمــودة والخــيانة مذمومة والصدق فضيلة والكذب رذيلة وبهذا ورد الحديث الشريف " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"

وأما تعلق النص بالقضايا التشريعية (العبادات - المعاملات - الأنكحة - الحدود - الجنايات - الجهاد والسيَر) فهو محل خلاف .

فمــن قال بتطور الشرائع فقد أخرجه من دائرة الحكم عليه ومن قــال بثــبات أصولها - كما هو ظاهر النص - فقد جعل القرآن حكماً علــيها ، والصواب أن نصوص الشريعة تقاس بالقرآن وصحيح السنة النبوية وبخاصة ما ورد فيه نص يتعلق بالتحليل والتحريم كما في قوله تعالى : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران (٩٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية .

وخلاصة القول : إن القرآن وصحيح السنة هما المعياران الدالان على صحة وفساد وصواب وخطأ النص الوارد في الكتاب المقدس أخذا من قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ .. ﴾ (٢)

وأما النصوص المتعلقة بالكونيات والإنسانيات والتاريخ ، فمعيار القبول والرد فيها يعد القرآن هو العقل والعلم من قبل أهل الاختصاص .

شبهة :

يدعى أهل الكتاب سلامة النص الوارد عندهم ويستدلون على ذلك بـ :

١- أمر الرسول بدعوة أهل الكتاب لتلاوة ما عندهم : ﴿ .. قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

٢- أمر الرسول ﷺ بالاحتكام إلى ما عندهم : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ (٤)

٣- أمر الرسول ﷺ بسؤال أهل الكتاب ، فكيف يسألهم ما لم يكن عندهم علم : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ

---

(١) سورة النعام (١٤٦).

(٢) سورة المائدة (٤٨).

(٣) سورة آل عمران (٩٣).

(٤) سورة المائدة (٤٣).

يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١)

٤- كما يزعم النصارى أن الله ما كان ليأذن بضياع كتابه وترك وحيه ولهذا ألهم من اختارهم لكتابة وحيه من أتباع رسله ليحفظه بهم .

الإجابة على هذه الشبهة :

من يفقه النصوص التي تحدثت عن التحريف يدرك أن القرآن لم يقطع بالتحريف جملة وتفصيلاً ، بل أشار إلى وقوع تحريف في كتب أهل الكتاب ، وفرّق بين القول بالتحريف الكلي والقول بوقوع تحريف ، لأن الأول يراد به أنه لا يوجد نص واحد صحيح في الكتاب المقدس ، والثاني يراد به تحريف البعض وبقاء البعض غير محرف ، وفي وقت نزول القرآن وكما هو موجود الآن لا تزال بعض النصوص ناطقة بالحق مثل نصوص وحدانية الله وتنزيهه عن الشبيه والشريك والصاحبة والولد - كما ورد في كتاب الفارق بين المخلوق والخالق -

ومن ذلك أيضاً بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالحدود ، وهذا ما دعا اليهود إلى الاحتكام عند الرسول ﷺ بشأن المرأة التي زنت فنزل الوحي يخبره أن عندهم بقية من الوحي تصرح بوجوب رجم الزاني المحصن ، فدعا عبد الله بن سلام وسأله : أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر هل تجدون الرجم في كتاب الله على من زنى وأحصن ؟ قال : نعم ....

---

(١) سورة يونس (٩٤).

إذن فالدعوة إلى الرجوع لا تعني التسليم بالكل بل قبول البعض ورد البعض الآخر.

وأمـــا دعـــوى حفـــظ الله لوحيه ، فهذا قرين الدوام والتأبيد لا الانقطاع والتأقيت . وكل الرسالات السابقة كانت موقوتة ولهذا لم يحفظ الله كتـــبها ، ومن أبلغ الأدلة على هذا أن النص الوارد فيها منها ما هو صـــحيح ومنه ما هو باطل ، ولو كان الله حافظاً وحيه السابق في غير القـــرآن ، ما وجدنا تعدد نسخ التوراة وتعدد الأناجيل واختلاف الكل في الكم والكيف ، وفرق بين الإملاء والذي لا ينتج إلا وحدة في المكتوب ، حتى إن الخطأ في كلمة واحدة أو حرف واحد ليدرك على وجه السرعة ، وبيـــن ســـماع أمر من الأمور أو موضوع من الموضوعات ثم الكتابة عـــنه مـــن بـــنات الخواطـــر ، عندها يأتي المكتوب متأثراً بالعواطف والخواطر والثقافات السائدة والواقع الاجتماعي ...



البشارات الواردة فى الكتاب المقدس بين العقل والعاطفة وبين الدلالة القطعية والدلالة الظنية .

عِلْمُ أهل الكتاب بالرسول محمد ﷺ ثابت ونصوص القرآن قطعية الدلالة فى هذا ، ومن يقرأ سورة البقرة والأنعام والأعراف والصف وغيرها من السور يدرك ذلك غاية فى الوضوح .

وقد كان لهذه النصوص كبير الأثر فى دفع علماء المسلمين إلى تناول نص الكتاب المقدس بالبيان لإقامة الدليل الملزم لليهود والنصارى على علمهم بأمر محمد ﷺ من ناحية ، ولتقوية العاطفة الدينية لدى المسلمين من ناحية دينية .

وبقدر علمي وجهدى فى البحث تبين لى أن أول من كتب قدراً كبيراً من البشارات مجموعة إلى بعضها هو على بن ربن الطبرى فى كتابة " الدين والدولة فى إثبات نبوة الرسول ﷺ وعلى أثره سار كثيرون ، وعلىٌّ هذا كان مسيحياً وأسلم فى القرن الثانى الهجرى ثم تبعه فى كتابة البشارات وتأثر به ابن حزم والقرطبى والقرافى ، وأبو عبيدة الخزرجى والغزالى ، والمسعودى ، وابن تيمية وإبن القيم ورحمة الله الهندى وعباس إدريس أحمد ، أ.د رؤف شلبى ، زكى الدين طهطاوى وإبراهيم خليل أحمد وأحمد حجازى السقا ، وغيرهم .

فما حجية هذه النصوص وما دلالتها ؟

يمكن القول إن الدلالة على نبوة الرسول ﷺ فى كل مواطن الورود فى الكتاب المقدس ظنية ، لأن النصوص فى ذاتها ثبوتها ظنى ، والطعن فى سند الكتاب المقدس قائم ،وما نراه دالاً على نبوة محمد ﷺ يراه غيرنا دالا على نبوة عيسى عليه السلام ، وحساب الجمل دلالته

احتمالية ، والتعويل على ذلك فى الدعوة غير مجد والقرآن قد كفانا هذا الأمر ، كما ورد فى بعض كتب السنة بعض البشارات المتعلقة بالرسول ﷺ ومن يطلبها الآن من الكتاب المقدس لا يجدها ، والمتأخرون من علماء الإسلام الذين هدوا إليه بعد النصرانية كتبوا بعض الدلائل الدالة على النبوة من خلال تحليلهم لبعض الألفاظ مثل – البارقليط ، المعزى ، روح القدس ، يتكلم من فيه ، وحى من جهة العرب ، فاران ، ماد ماد ، وغيرها من المفردات التى تدل فى سياقها على نبوة محمد ﷺ وأخص هؤلاء بالذكر ، عبدالأحد داود فى كتابه "محمد فى الكتاب المقدس" و"الإنجيل والصليب" وعبدالله الترجمان فى كتابه " تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب " وزكى الدين الطهطاوى فى كتابه " المنارات الساطعة فى ظلمات الليل الحالكة ، وإبراهيم خليل أحمد فى كتابه " البشارة بنبى الإسلام " وقد نص على البشارة المرحوم عبدالوهاب النجار فى كتابه " قصص الأنبياء " من خلال حواره مع أحد النصارى حول كلمة " البارقليط " فلتراجع لمن شاء المزيد .

الحركة النقدية للكتاب المقدس بين العقل والعاطفة .

من التخصصات النادرة فى العالم الإسلامى تخصص " مقارنة أديان " ، وعلم الأديان وقد نسب كثيرون أنفسهم إلى هذا التخصص وإن لم يكونوا على صلة به إلا عرضا لأن رسائلهم فى الماجستير والدكتوراة لم تكن ذات صلة بهذا التخصص بل هذا التخصص لا صلة له بقسمهم العلمى ، ومع هذا نرى هذا الإدعاء ، وحتى تبرأ الذمة ونخرج من عداد كاتمى العلم فنأثم ، نقول .

إن تحديد المفاهيم قيد لابد منه حتى تكون النتائج طيبة ومن هذه المفاهيم ما يلى :

١- علم مقارنة الأديان : هو علم يبحث فى أمر ما من أمور الدين ذاكراً رأى دينين فأكثر فى الموضوع محل التناول دون ذكر النتيجة ، ويشترط فى المشتغل بهذا العلم أن يكون محيطا بالأديان محل المقارنة من كافة الجوانب وأن يكون موضوعياً حتى لا تسيره العاطفة ويغلبه الهوى وأن لا يصدر حكماً بل يذكر المقدمات ويترك النتائج لفطنة القارئ أو لأن طبيعة المقدمات ستؤدى إلى النتائج المرجوة ولابد من علمه بتاريخ الأديان ،

وهذا اللون من المعرفة قديم قدم الإنسانية ، وقد ذكر القرآن نماذج شتى منه وبخاصة ما كان فى حياة إبراهيم عليه السلام حين قارن بين الدين الذى يدعو إليه وبين الأديان التى يتبعها قومه ، وذلك وارد فى سورة البقرة وسورة الشعراء والأنبياء والصافات وغيرها من السور مع تركيزه على الألوهية .

كذلك الرسول ﷺ حين قارن بين الإله الذى يدعوا إليه والآلهة التى يعبدها القوم من دون الله ، كما فى سورة الأعراف والبقرة والحج والنمل والقصص وغيرها من السور .

ويرى بعض العلماء أن المقارنة يمكن إطلاقها على تتبع أمر واحد فى دين واحد من النشأة فالظهور حتى وقت المقارن ، وهذا الرأى يخرج عن مفهوم المقارنة ودلالتها فى اللغة والاصطلاح .

٢- علم تاريخ الأديان : وهو مَعنِيٌ بنشأة أى دين منذ بزوغه فظهوره فأفوله إن كان وحاضره إن كان قائماً ، وليس بقاصر على تاريخ الكتب المقدسة بل يشمل كذلك كل ما يتعلق بالدين من مصادر تشريع وحركة النشر والاتباع وهذا العلم يمكن الاستعانة به فى مقارنة الأديان دون الاستعانة بمقارنة الأديان فى تاريخ الأديان .

٣- علم الأديان : وهو اسم شامل للعلمين السابقين .
٤- الملل والنحل : وهو علم يبحث فى الديانات السماوية والديانات الوضعية معاً وهو خادم للعلم الأول والثانى من هذه المسميات .

كُتب المسلمين فى هذه الاتجاهات :

لدينا كثير من كتب علماء الإسلام الذين اشتغلوا بعلم الأديان ، وهذه الكتب جاءت خليطا فى مضمونها و جمعت بين الدراسة الوصفية والدراسة النقدية والدراسة التحليلية والدراسة التاريخية ، وأدخلت فى بعض مضامينها ما ليس منها كالحديث عن الأشخاص وطبعهم وتكوينهم ... وعلى نهج السابقين سار المتأخرون ويمكن تصنيف هذه الكتب بحسب مضمونها على النحو التالى :

١- كتب فى مقارنة الأديان ، وهى الكتب التى عنيت بالمقارنة بين أمرين فى دينين أو أكثر و من هذه الكتب : الإعلام بمناقب الإسلام للعامرى والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافى تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث لابن كمونة ، وبين الإسلام والمسيحية ، (الفاصل بين الحق والباطل) لأبى عبيدة الخزرجى ، محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل ، والإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى ، والنبوة والأنبياء فى اليهودية والنصرانية والإسلام لأحمد عبد الوهاب ، ولأخصها بالوصف الكتاب الأول .

٢- كتب فى تاريخ الأديان : وهى الكتب التى عنيت بنشأة دين ما من الأديان وما تفرع عنه من ملل ونحل ، ولأخص هذه الكتب بالذكر الديانات القديمة للشيخ أبى زهرة ، الملل والنحل الشهر ستانى ، والفصل فى الملل والنحل لابن حزم ، والفرق بين الفرق للخطيب البغدادى ،

واليهودية والمسيحية لأحمد شلبى ، وتحقيق ماللهند من مقولة للبيرونى ، والديانات والعقائد فى مختلف العصور لأحمد عبد الغفور عطار.

٣- كتب فى نقد الأديان وبخاصة اليهودية والنصرانية وأخصها بالذكر الجواب الصحيح لابن تيمية ، وإظهار الحق لرحمة الله الهندى ، والفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن الباجة جه زادة ، ومحاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ، والرد الجميل للغزالى ، والمنتخب الجليل للمسعودى ، يا أهل الكتاب تعالوا للدكتور رؤف شلبى ، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف العلمية الحديثة لموريس بوكاى[١] .

الحركة النقدية فى ضوء العاطفة :

أكثرُ مَنْ نقد الكتاب المقدس اعتمد على العاطفة أكثر مما اعتمد على العقل وجاءت أدلة النقد قابلة للرد بل ويمكن رد الدليل على المخالف فى ضوئها ، فعندما نقرأ الفصل فى الملل والنحل لابن حزم وهو يوجه نقده للعقيدة اليهودية فى ضوء الكتاب المقدس ، وعندما نقرأ صفات الإله فى إظهار الحق لرحمة الله الهندى نرى قولهم : إن الكتاب المقدس قد وصف الله بصفات البشر فذكر له الوجه واليد والبطن والصعود والنزول وغيرها من الصفات البشرية ، ومثل هذا الكلام يمكن الرد عليه بأن مثله فى القرآن كالتعبير باليد والوجه والمجيء والمعية والحلول ، كما ورد فى القرآن – بظاهر النص – نسبة المكر إلى الله ونسبة الخداع وغيرها من الصفات التى لا تليق بذاته ، فإن قلنا بالمجاز قالوا به وإن قلنا لا نقبل منكم التأويل قالوا لنا مثل ذلك ، فيكون النقد علينا لا لنا ، والصواب فى مثل هذا الموطن أن يؤتى بالنصوص

---

(١) ذكرت فى هذا التقسيم الكتب التى كتبها علماء الإسلام ولم أذكر الكتب التى كتبها المبشرون والمستشرقون فى نقد الإسلام أو مقارنته بغيره .

صريحة الدلالة التي لا تقبل تأويلاً وليس لها مقابل في النص القرآني ، مثل " عاين موسى الرب وجهاً لوجه كما يعاين الرجل صاحبه " وعندما تحدث عن السبعين المختارين ذكر نزول الرب على جبل سيناء وهناك عاينه هؤلاء وجها لوجه ، وهناك من النصوص الكثير الذي لا يقبل التأويل .

إن العقل يتطلب في حال النقد ألا نلجأ إلى المجاز ونعدل عن الحقيقة وأن لا ننقد المتشابه بل المحكم وأن لا نأخذ بظواهر النصوص ما دامت هناك قرينة مانعة من الأخذ بظواهر النصوص ، وقد سلك هذا المسلك رحمة الله الهندي في بعض ما كتب ، والشيخ أحمد ديدات في بعض ما ترك من آثار علمية ومناظرات – وغاب ذلك عن ابن حزم في الفصل ولم يتعرض له الشهرستاني في الملل والنحل .

إن كثيرين من علماء الإسلام قد غاب عنهم النص الكريم " ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..﴾ [1] وقول الحق : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..﴾ [2] إن النص لم يقل بالحسنى بل بالتي هي أحسن بأسلوب التفضيل وهو ما يتطلب عمقاً في الفهم وقوة في الدليل وحكمة في سوقه ودقة في صياغته وإلزاماً عند طرحه ، حتى تكون الغلبة للمجادل المسلم ، كما يتطلب الأمر تقديم العقل على العاطفة ، لأن العاطفة تدفع إلى السباب والشتم وهو كثير في كتب علماء الدين ، وما دروا أن غيرهم سيسلك هذا المسلك ولهذا كان النهي واضحاً وصريحاً ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ..﴾ [3] ومن هنا تكون المقارنة ويكون النقد قائمين على أساس من الخلق الحسن والنية الصادقة والرغبة في إظهار الحق ﴿.. لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ..﴾ [4].



---

(١) سورة النحل من الآية (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت (٤٦) .

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٠٨) .

(٤) سورة الأنفال من الآية (٤٢) .

ميادين مقارنة الأديان

صرح القرآن ببعض جوانب المقارنة فى المعتقدات ومنها :

١- المقارنة بين تأليه المخلوق وتأليه الخالق ، كما في ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١)

٢- المقارنة بين تأليه الكواكب والنجوم وتأليه مكوكبها كما فى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢)

٣- المقارنة بين تأليه الأوثان والأصنام وتأليه الحق سبحانه كما فى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۞ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة (٢٥٨).

(٢) سورة الأنعام (٧٤إلى٧٩).

(٣) سورة الأعراف (١٩١ :١٩٦).

٤- المقارنة بين تعدد الأرباب وتنوعها على ضعفها وبين ألوهية الواحد القهار كما في ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).

٥- المقارنة بين قدرة الخالق وعجز المعبودين من دونه كما في ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۞ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۞ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٢)

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٣)

---

(١) سورة يوسف (٣٩) .

(٢) سورة الأنبياء (٥١ إلى ٧٠) .

(٣) سورة الشعراء (٦٩ إلى ٨١) .

٦- المقارنة بين عجز الآلهة المزعومة وقدرة الله المطلقة كما في ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١)

٧- المقارنة بين ربوبية فرعون وربوبية الحق سبحانه كما في ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۞ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۞ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۞ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۞ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (٢)

٨- المقارنة بين بعض معتقدات اليهود والنصارى ومعتقد المسلمين كما سيتضح في بعض الجوانب الآتية في هذا العمل

قلبة الدراسات المقارنة على اليهودية والنصرانية والإسلام

إذا كان القرآن قد ذكر نماذج شتى للمقارنة ، فإنها في مؤلفات المسلمين وأهل الكتاب قد اقتصرت على المقارنة بين أتباع الرسالات الثلاث وسبب ذلك ما يلي :

أولاً : إيمان النصارى بعالمية دينهم وإيمان المسلمين بعالمية دينهم قد جعل كلاً منهم يقارن معتقده بمعتقد غيره بهدف جلب أتباع .

ثانياً : الصراع بين اليهود والنصارى والمسلمين جعل أتباع الرسالات الثلاث يجرون مقارنة بهدف التشكيك في معتقد الآخر وإن لم تكن اليهودية ديانة عالمية في نظر أتباعها وفي عقيدتنا كذلك إلا أن التشكيك شأن الأحبار بهدف صرف اليهود عن اعتناق الإسلام أو التنصر إلا لضرورة سياسية .

---

(١) سورة الحج (٧٣إلى٧٤) .

(٢) سورة الشعراء (٢٣إلى ٣٠) .

ثالثاً : تعايش أتباع الرسالات الثلاث فى ديار واحدة دفع بالدراسات المقارنة إلى حيز الظهور

رابعاً : موقف اليهود العدائي وموقف بعض النصارى الاستفزازي من الدعوة الإسلامية كان سبباً من أسباب نشاط الدراسات النقدية والدراسات المقارنة فى الإسلام ،

والأمر يتطلب تعريفاً بكل معتقد من حيث النسبة ومصادر التشريع، والخصوص والعالمية ، ثم نماذج للمقارنة فى بعض جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق ، وهذا البيان :

أولاً : اليهودية(١)

سبق بيان النسبة وعلة التسمية وهى من الديانات التى يزعم أهلها بأن مصدرها الوحي الإلهي ، وقاصرة على بنى إسرائيل وليس لغيرهم حق فى مشاركتهم فيها ، وإنما يقبلون ذلك لضرورة كتسب أو كسب سياسي فقط ، وكلمة اليهودي أعم من كلمة إسرائيلي ، فالأولى وصف للمعتقد والثانية قاصرة على الدم مع المعتقد ، وبين اليهود خلاف فيمن يستحق الوصف بكلمة يهودي ، أكل من دان باليهودية أم من كانت أمه من بنى إسرائيل وقد تم إرجاء عرض ذلك على الكنيست الإسرائيلي لدرء الفتنة داخل إسرائيل وهو ما جعل المرحوم محمد عزة دروزة يتنبأ بفتنة داخلية داخل إسرائيل لهذه العلة .

لمحة تاريخية من اليهود

نظرا لزعم اليهود أحقيتهم فى أرض فلسطين أرى لزاماً على أن ألقى الضوء سريعاً على نشأة القوم وإتيانهم إلى مصر ثم خروجهم منها إلى سيناء ففلسطين حتى خروجهم منها فى القرن الثاني الميلادي وهذا هو البيان :

---

(١) التقديم مراعاة للترتيب الزمنى فقط .

تزوج إبراهيم عليه السلام بالسيدة سارة وتسرى بالسيدة هاجر وذكرت التوراة أن له زوجة ثالثة تسمى قطورة [1]، وقد أنجب من سارة إسحاق عليه السلام جد بني إسرائيل ، ومن هاجر جاء إسماعيل جد العرب ، ولم تذكر التوراة شيئاً عن أولاد قطورة سوى أن إبراهيم منحهم عطايا قبل وفاته وحرمهم من الميراث [2].

وقد صرح القرآن ببشارة الملائكة له ولزوجه بإسحاق ، ومن ورائه يعقوب . قال تعالى : ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [3]. وقد أنجب يعقوبَ اثنى عشر ولداً ذكراً[4] كانوا رؤساءَ قبائل وتفرع منهم سائر ولدهم .

وقد صرحت التوراة أن لقب "إسرائيل" منح أول ما منح ليعقوب -عليه السلام ـــ على أثر صراع بينه وبين الرب تجلت قدرة يعقوب من هذا الصراع بمغالبة الملاك من أول الليل حتى طلوع الفجر فخلع عليه هذا اللقب[5] . وهو خير لقب عند الإسرائيليين . وقد ناداهم القرآن به أكثر من مرة ليأتلف قلوبهم[6] وإن كان العوج القائم بهم قد حال بينهم وبين الاستجابة ـــ إلا من هدى الله ـــ وقد أشار القرآن إلى أن الحقد يسيطر على كثيرين منهم كما أنهم لا يميلون إلى أن ينال غيرهم أكثر منهم . وهذا ما جعل إخوة يوسف يترددون بين قتله أو إبعاده عن أبيه لأن له من الحظوة عنده ما ليس لهم . ثم رجح عندهم إلقاؤه فى البئر تخلصاً منه ليتحقق مراد الله فى أن ينزل به بعض التجار على مصر بعد

---

(١) راجع سفر التكوين : ١/٢٥ .

(٢) راجع سفر التكوين : ٦/٢٥ .

(٣) سورة هود (٧١) .

(٤) اقرأ سورة يوسف ، آية (٤) .

(٥) راجع سفر التكوين : ٢٤/٣٢ – ٢٨ .

(٦) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وقد بلغ عدد الآيات أربعين آية .

التقاطه من البئر بائعين إياه " بثمن بخس دراهم معدودة"(١) وقد شاءت الأقدار أن يلى يوسف أمر الخزانة بعد ذلك بمصر وأن يحسن تدبير الأمور المالية حتى أنقذ شعب مصر من هلاك محقق لولا سياسته الرشيدة . وفى هذه الفترة من الزمن أصاب بلاد الشام قحط ترتب عليه توجه أهله إلى طلب سبيل العيش من البلدان المجاورة وخاصة مصر . وقد علم يوسف بأمر إخوته ويسر لهم سبيل الإقامة بعد أن اشترط عليهم استقدام أبيه وأهليهم وقد أبقى أخاه رهينة عنده، وقد تحقق له ولهم ما يريدون .

ولم يشر القرآن إلى الفترة الزمنية التي أقامها بنو إسرائيل فى مصر ـ (محددة بالسنين) بينما ركزت التوراة على ذلك . وعنها أخذ بعض المؤرخين تلك السنين(٢) . كما أنها أشارت إلى نمو عدد بنى إسرائيل إلى حد جعل المشتغلين بالدراسات الدينية يردون ذلك بوجوه مقبولة(٣).

إلا أن نصوص القرآن يفهم منها أن بنى إسرائيل كانوا طائفة مستقلة فى الروابط الاجتماعية غير منخرطة مع بقية الشعب محافظين على هويتهم وقد أدرك المصريون سوء صنيعهم وفساد طبعهم فأذلوهم واستعبدوهم "بعد أن كثر عددهم وزاد ثراؤهم وتدخلوا بذلك فى اقتصاديات البلاد فأوجس المصريون منهم خيفة حتى إذا خلف "منفتاح" أباه رمسيس أمعن فى اضطهاد هؤلاء الدخلاء وتسخيرهم . وقد أشار القرآن إلى ذلك . قال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف الآيات من (٨-٢٠).

(٢) خروج : ١٢/٤٠(٤٣٠سنة) .

(٣) خروج : ١٢/٣٧، ٣٨ .

(٤) سورة القصص (٤).

وقد شاء الله أن يرسل إلى بنى إسرائيل نبياً منهم هو "موسى" عليه السلام كي ينقذ هؤلاء القوم من ذلتهم وهوانهم [1]. ويحررهم من سلطان الفراعنة ليردهم إلى الدين الحق الذي أتى به إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليه السلام .

وقد أدرك موسى عوج القوم وخبثهم وسوء صنيعهم وطباعهم المادية فطلب من ربه أن يرسل معه هارون أخاه ليعضده فى مواجهة فرعون وفى محاجة القوم . وفى خلافته عليهم فى أمر النبوة والرسالة[2] . وقد استجاب الله له وأعطاه سؤله ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا . .﴾ [3] ﴿ . . وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] ونصوص القرآن تصرح بأن موسى عليه السلام قد كلف بأمرين :

الأمر الأول : إنقاذ بنى إسرائيل من حكم فرعون بعد أن سامهم سوء العذاب وقد أشار القرآن إلى ذلك فى إطار إظهار نعمة الله عليهم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[5] ولذلك صرح موسى طالباً من فرعون ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[6] .

---

(١) القصص (٥) .

(٢) اقرأ من الآية ٢٩ إلى ٣٢ من سورة طه ، الفرقان (٣٥) ، سورة القصص (٣٤، ٣٥) .

(٣) سورة القصص (٣٤ ، ٣٥) .

(٤) سورة الأعراف (١٤٢) .

(٥) سورة البقرة (٤٩) .

(٦) سورة الشعراء (١٧) .

الأمر الثاني : دعوة فرعون إلي الإيمان بالله الخالق حتى يلزمه الحجة ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[1] وقد مكن موسى من إقامة الدليل على نبوته ورسالته أمام فرعون ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾[2] وقد كان للأمر الثاني أثره على حاكم مصر وإلاهها في ذلك الوقت فاشتغل بمحاورة موسى وطلب منه بيان أمر الإله الذي يدعو إليه ،[3] ثم استشار خاصته في أمر موسى . وكان اللقاء العام بين موسى والسحرة بهدف إقامة الدليل على كون موسى ساحراً شأنه شأن غيره من السحرة حتى لا تثمر دعوته . إلا أن اللقاء قد حسم لصالح موسى بإعلان السحرة أن ما عليه موسى ليس بسحر ولا عمل ساحر بل هو آيه من الآيات التي يؤيد بها الله الأنبياء حين يرسلهم ولذلك أعلن السحرة قولهم ﴿ . . آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[4]. وقد اتخذ فرعون قراره ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5] . إلا أن السحرة قد استعذبوا العذاب بعد أن أدركوا الإيمان بالله على وجهه الصحيح فلم يترددوا عن مواجهة فرعون متحدين ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[6] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[7].

---

(١) سورة النازعات (١٧، ١٨ ، ١٩) .

(٢) سورة النازعات (٢٠، ٢١) .

(٣) سورة الشعراء (٢٣، ٢٤) .

(٤) سورة الشعراء (٤٧ :٤٨).

(٥) سورة الشعراء (٤٩).

(٦) سورة الشعراء (٥٠).

(٧) سورة الأعراف (١٢٥ :١٢٦).

وإذا كانت فترة إقامة موسى وهارون بمصر بعد النبوة غير محددة المقدار إلا أن القرآن قد أشار إلى أن الاستجابة للدعوة كانت محدودة للغاية ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١) وقد فزع فرعون بصورة أكبر من ذي قبل لخطر تلك الجماعة بعد أن دانت قلة منها بالرسالة الجديدة ، فبدأ يحذر من مخاطرها ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (٢).

وقد استجاب الحاشية لدعوة فرعون بل حذرته من ترك تلك الجماعة لأنها تمثل خطراً من وجهة نظرهم على سلطانه ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٣) . وقد أشارت بعض الآيات إلى احتدام الصراع بين الطرفين ، فأوحى الله إلى موسى أن يجتاز ببني إسرائيل البحر الأحمر (بحر القلزم في ذلك الوقت) متوجهاً إلى أرض سيناء . وقد خرق لهم العادة وذلك بضرب موسى ماء البحر بعصاه فتجمد الماء حتى تمكن القوم من عبوره أو نشأت طرق بصورة غير معهودة للقوم استطاع من خلالها اجتياز البحر الأحمر (٤) حتى إذا هم فرعون أن يجتاز البحر ويدرك القوم عاد الماء إلى ما كان عليه ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً . .﴾ (٥)

---

(١) سورة يونس (٨٣).

(٢) سورة الشعراء (٥٣ :٥٦).

(٣) سورة الأعراف (١٢٧).

(٤) سورة طه (٧٧) ، وسورة الشعراء (٦٣) .

(٥) سورة يونس (٩٠ :٩٢) .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾(1) ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾(2) .

وبهذا تحقق لبنى إسرائيل النجاة من أذى فرعون ، وخرجوا من الديار التي أتوا إليها ضيوفاً فما راعوا لها حرمة ولا لأهلها كرامة ، بل كانوا حريصين كل الحرص على السلب والنهب كما تصور ذلك التوراة .

ورد فى الخروج أن الله أوحى إلى موسى بقوله : { تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب . وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين ..} خروج ١٠/٢ ، ٣.

وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى . طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين... " خروج ١٢/٣٥ ، ٣٦ وهم يعتبرون ذلك تحقيقاً لوعد الله لإبراهيم عليه السلام { ثم الأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة ..} تكوين : ١٥/١٤ .

"وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ..." خروج ٣/٢١ :٢٢.

وهكذا كان جزاء معروف المصريين فى بنى إسرائيل . وقد دعا موسى بنى إسرائيل . إلى دخول الأرض المقدسة فأبوا خوفاً على أنفسهم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

---

(1) سورة طـــه (٧٨) .

(2) سورة الشعراء (٦٥ :٦٦) .

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(١) . أبَوْا الاستجابة وظلّوا فى أرض سيناء عرفت بسنوات (التيه) نَسى القوم فيها نعم الماضي وكفروا بنعم الحاضر (المن ــ السلوى ــ انفجار الحجر بالماء...)

وفى هذه الفترة من الزمن ارتد بنو إسرائيل عن التوحيد وعبدو العجل(٢) . وآذوا موسى فى نفسه ورسالته وتسببوا فى الوقيعة بينه وبين هارون أخيه (٣). كما زعموا أن الذى صور لهم عجلاً ليعبد هو هارون(٤) ــ عليه السلام ــ وقد ورد ذلك فى التوراة ــ وهو منه براء ــ بينما ذكر القرآن أن السامري هو صانع ذلك(٥) . وقد تمكن بنو إسرائيل من دخول أرض فلسطين فى عهد يوشع بن نون (٦) وطال عهدهم فى هذه الأرض قرابة ١٤٠٠ سنة لم يسلم أهل تلك الأرض من آذاهم أو شرهم . وقد استمرت الحروب بينهم وبين السكان الأصليين بلا توقف ، وكلما أتيحت لهم فرصة لقتل الرجال والنساء والأطفال فعلو كما تشير إلى ذلك التوراة . وبالوقوف على تاريخ بنى إسرائيل فى تلك

---

(١) سورة المائدة (٢٠ : ٢٥).

(٢) سورة طه (٨٥ : ٩٦).

(٣) سورة الأعراف (١٥٠) .

(٤) خروج : ٣٢/١ - ٦ .

(٥) سورة طه (٩٥ – ٩٦) .

(٦) الطبرى ٤٣٥/١ – ٤٤٢ وابن الأثير ٢٠٠/١ – ٢٠٣ والبداية والنهاية ١/ ٣١٩-٣٢٤ .

الديار منذ غزوها حتى خرجوا منها يتضح أن " الفترة الزمنية لحكمهم بدأت بتأسيس مملكة داود سنة ١٠٩٥ ق .م واستمر ملك داود ٤٠ سنة جاء من بعده ابنه سليمان فحكم أربعين سنة أخرى انتهت بوفاته فخلفه ابنه رحبعام الذي انقسمت مملكة اليهود فى زمنه إلى قسمين :

١- مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها "السامرة" .

٢- مملكة يهــوذا في الجنوب وعاصمتها "أورشليم".

ودامت مملكة الشمال نحو ٢٥٠ سنة وانتهت سنة ٧٢١ ق.م. حينما غزاها سرجون ملك آشور واستولى على السامرة وسبى الأسباط وأجلى اليهود إلى ما وراء نهر الفرات وقضى على تلك المملكة فلم تقم لها قائمة بعدها . وأما مملكة يهوذا فقد عاشت أكثر من أختها إسرائيل ، وتعرضت إلى غزوات عديدة من الشرق ومن الجنوب غزاها الأشوريون ٦٧٧ ق. م. وتغلبوا عليها وأسروا ملكها (منسي) ونقلوه إلى بابل . وفي سنة ٦١٠ ق.م.اجتاحها "نخو" فرعون مصر وغلب جيشها وقتل ملكها (يوشيا) . ثم جاءت نهايتها على يد (نبوخذ نصر) ملك بابل الذى غزاها سنة ٦٠٦ ق.م. وتغلب عليها ودفعت له الجزية . ثم ثارت عليه فأعاد الكرة سنة ٥٩٩ ق.م. فسبى من شعبها عشرة آلاف أسير من بينهم أعيانها وأشرافها وكنوز الهيكل ، وثارت عليه سنة ٥٩٣ ق. م فأتاها في هذه المرة سنة ٥٥٨ ق.م.وهدم أسوارها وأحرق الهيكل وسبى الشعب إلى الأسر في بابل . ثم أعيد اليهود من السبي سنة ٥٣٦ ق.م. على يد "كورش" الذى تولى ملك فارس وغدت يهوذا ولاية من ولايات الفرس حتى سنة ٣٣٢ ق.م. حيث انتقلت إلى ملك الاسكندر المقدونى بعد أن هزم الفرس واحتل سورية وفلسطين .

وبعد وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ق.م. اقتسم قواده المُلك فحكم سلوقس سورية وأسس فيها دولة السلوقيين وحكم بطليموس مصر وأسس فيها دولة البطالسة وكانت يهوذا من نصيب البطالسة . وحكم بطليموس اليهود رغم مقاومتهم العنيفة التي أكرهته على هدم القدس ودك أسوارها

وإرسال مائة ألف أسير من اليهود إلى مصر سنة ٣٢٠ق.م. وفى سنة ١٦٨ ق.م. انتقلت يهوذا إلى حكم السلوقيين حينما أحتلها "أنطوخيوس" وهدم أسوارها ونهب هيكلها وقتل من اليهود ٨٠ ألفاً فى ثلاثة أيام . وفى تلك الأثناء برز فريق من اليهود اتصفوا بالحنكة وسعة الحيلة والشجاعة ويدعون "المكابيون" استفادوا من الخلافات التى وقعت بين البطالسة والسلوقيين فاستقلوا بحكم يهوذا "أورشليم" مرة ثانية . بيد أن حكمهم لم يدم طويلاً ودب بينهم الخلاف وضعف مركزهم فتدخلت روما واحتل الجيش الروماني بقيادة "بومبي" سنة ٦٣ق.م. مدينة القدس واستباح الهيكل وفتك بالسكان . وجاء من بعده يوليوس قيصر٤٩ق.م. فعامل اليهود بالحسنى ثم ولت روما "هيرودس" ملكاً على اليهود سنة ٣٧ ق.م. وكان من أصل أدومى اعتنق الديانة اليهودية . وكان حاقداً على المكابيين الذين قتلوا أباه فحاربهم وقضى عليهم وحكم القدس مباشرة لحساب روما .وبنى هذا الحاكم قلعة القدس الكائنة بباب الخليل وصك النقود وأجرى بعض الإصلاحات العمرانية لتشغيل العمال العاطلين .

وفى زمنه ولد السيد المسيح فى بيت لحم ، وبعد وفاته في سنة٤م. تعاقب على الحكم ولاة رومانية منهم : كوبونوس (٦ــ٩م) وماريــوش (٩ــ١٢م) ولينوس رونوس(١٢ــ١٤م) وفالريوس غرانوس (١٤ــ٢٦م) وبيلاتوس بونتيوس (٢٦ــ٣٦م) وأشهرهم فى التاريخ هذا الأخير الذي تمت فى عهده حادثة صلب المسيح ــ علية السلام ــ كما يدعون ــ وجاء من بعد بيلاتوس مرشلوس (٣٧م) ثم هيرودس حفيد هيرودوس الكبير (٣٧ــ٤٤م) وكسبيوس فادوس (٤٤م) وطيباريوس إسكندر (٤٦م) وفومانوس (٤٨م) وقلويــوس ونستتوس (٦٠م) وفلورس (٦٥م) فسبسيان (٦٧م) وتيطس (٧٠م) وفى عهد هذا القائد الرومانى تم تدمير أورشليم وهيكلها وذبح اليهود فيها وأسر من أسر من شعبها وذاق اليهود على يد تيطس الذل والهوان .

وفى عهد الإمبراطور تراجان (١٠٦م) عاد بعض اليهود إلى القدس وأخذوا فى الإعداد للثورة وأعمال الشغب من جديد ، فلما تولى أدريانوس عرش الرومان (١١٧ـ ١٣٨م) حول المدينة إلى مستعمرة رومانية ، وحظر على اليهود الاختتان وقراءة التوراة واحترام السبت وثار اليهود بقيادة باركوخيا (١٣٥م) وأرسلت روما والياً حازماً هو يوليوس سيفيروس فاحتل المدينة وقهر اليهود وقتل باركوخيا وذبح من اليهود فى تلك الموقعة ٥٨٠ ألف نسمة وتشتت الأحياء من اليهود تحت كل كوكب . ولكى ينسى اليهود "أورشليم" دمرها أدريانوس وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها "إيليا" (١) .

وقد ترتب على طردهم وهزيمتهم المتكررة فرارهم من الأرض التى نزلوا بها مستعمرين إلى بلدان عدة منها المناطق المجاورة لهم فى الأطراف الشمالية للجزيرة العربية (المدينة المنورة ـ خيبر ـ فدك ـ تيماء) ، والأطراف الجنوبية بخاصة اليمن وحمير فضلاً عن بعض البلدان الأخرى والتى تعرف باسم أوروبا الشرقية وأوربا الغربية الآن .



---

(١) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبدالله التل ص ٢٣- ٢٦ والأسفار المقدسة ٦-٩ ومقدمة ابن خلدون ٢٠٥ - ٢٠٧ ط الشعب .

مصادر التشريع عند اليهود

لم يرسل الله إلى أمة من الأمم عدداً من الأنبياء مثل ما أرسل بني إسرائيل فقد ذكر القرآن منهم : (يعقوب ـ يوسف ـ موسى ـ هارون ـ داود ـ سليمان ـ أيوب ـ يونس ـ إلياس ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى) وآخرين فضلاً عن غيرهم ممن أمسك القرآن عن ذكرهم وإن ادعوا ذلك في العهد القديم . وإذا كانت رسالتا يعقوب ويوسف ـ عليهما السلام ـ لم تردا في الكتب المقدسة فقد أشار القرآن إلى أن يوسف ﷺ قد أتى برسالة إلى قومه دون أن يذكر شيئاً عنها إلا عرضاً ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾(١) .

وقد ذكرت سورة يوسف بعض الملامح الدعوية وبخاصة قضية التوحيد ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢) .

ويبدو أن حركة التدوين قد بدأت بما يدعى أنه قد أوحى به إلى موسى ﷺ وإن تأخر زمن التدوين عن زمن النزول . وقد صرح القرآن بأن موسى ﷺ قد أوتي رسالة سميت ووصفت بقول الله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ . . .﴾(٣) .

---

(١) سورة غافر (٣٤) .

(٢) سورة يوسف (٣٩ : ٤٠) .

(٣) سورة المائدة (٤٤) .

كما تلقى موسى جانباً من التشريع أوحى إليه به جملة واحدة ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ...﴾[1] . كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين[2] .

ويبدو أن التلقي كانا خاصاً بموسى ﷺ وأن البلاغ كان مشتركاً بين موسى وهارون ــ عليهما السلام ... وبملاقاة هارون وموسى لربهما تتابع بعث الأنبياء بعدهما وتتابعت الرسائل مع الالتزام بما تركه موسى وهارون مما بقى من أثر الوحى .

وقد جمعت تلك الرسالات ــ كما يدعى اليهود ــ وضمت إلى بعضها وعرفت باسم :

العهد القديم :

وهو المصدر الأول للتشريع وقد سبق بيان محتواه .

التلمود :

وهو المصدر الثاني من حيث المنزلة الدينية فى الظاهر والأول من حيث الالتزام والتطبيق ، ومحتواه عبارة عن تعاليم وضعها الحاخامات عبر فترة زمنية لاقى اليهود فيها الهوان ما لاقوا وبخاصة بعد استذلالهم من قبل غيرهم وتفرقهم من فلسطين إلى سائر البقاع فلعبت البقية الباقية دورها فى وضع تلك التعاليم لجمع شتات اليهود ثانية . ولإحياء نزعة العنصرية ، ولرسم منهج للسلوك يحقق ما يرجون للشعب اليهودي ، فضلاً عن تفاصيل تتناول جوانب السياسة والاقتصاد والاجتماع والعقيدة والأخلاق .

وقد قسم علماء اليهود محتوى التلمود إلى قسمين :

الأول : "المشناة" وهى كلمة تعنى الأصل أو المتن أو الجوهر أو الصلب . ومحتواها عبارة عن جملة من التعاليم الشفوية التى كانت تنتقل

---

(١) سورة الأعراف (١٤٥) .

(٢) جامع البيان ١٠/٤٤ – ٤٧ ، وابن كثير ٢/٢٤٦ .

شفاها على ألسنة الساسة وقادة التوجيه ثم بدا لهم التدوين فى أواخر القرن الأول ومطلع القرن الثاني الميلادي . وقد جمعها "يهوذا ها ناسي" بين سنة ١٩٠ ، ٢٠٠ ميلادية .

الثاني : "**الجُمَّارة**" وهى شروح للنصوص السابقة وقد نمت تلك الشروح فى منطقتين . أولاهما : فلسطين وهى الأقدم والأقل حجماً ، وثانيتهما : فى بابل وهى تبلغ حداً كبيراً فىْ الحجم . وقد كان للشروح أثرها فى وجود تلمودين .

الأول : تلمود فلسطين أو أورشليم ، الثاني : تلمود بابل وهو المراد عند الإطلاق (١) .

هذا ويدعى بعض اليهود أن "المشناة" قد أوحى بها إلى موسى شفاها فى طور سيناء محاولين لَيِّ بعض النصوص لإثبات ذلك . (خروج ١٢/٢٤) . وأن أربعين من علماء اليهود قد تناقلوا تلك التعاليم عن موسى جيلاً بعد جيل زمن وجود الهيكل ، فلما هدم دونت تلك التعاليم لتكون وسيلة لجمع شتات اليهود .

وتشتمل المشناة على ستة مباحث تتعلق بــ "لوائح الزراعة ــ لوائح الأعياد والصيام ، قوانين الزواج والطلاق والنذور وعلاقة اليهود بغيرهم ــ القوانين المدنية والجنائية ، قوانين الصلاة ، قوانين الطهارة والنجاسة) كما يلحق بها بعض الرسائل الأخرى (٢) .

وقد اعترى التلمود ما اعترى العهد القديم من زيادة ونقصان وتصحيف وتحريف وقبول ورد .. الخ منذ بدأت حركة تدوينه في القرن الثاني الميلادي حتى القرن السابع الميلادي وفى القرن الخامس عشر الميلادي أجرى اليهود بعض التعديلات فيه وذلك بحذف بعض

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه – ظفر الإسلام خان ص١١، ١٢ والكنز المرصود فى قواعد التلمود ص٤١ ،٤٢ .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص١٥ – ١٧ .

النصوص المتعلقة بلعن المسيح وسبه وسب أتباعه حتى لا يكون ذلك وسيلة فى إيذاء نصارى الغرب لهم .

وقدسية التلمود آكد وأشد من قدسية التوراة ، وأقوال الحاخامات أعلى قدراً من نصوص الوحي[1] ــ كما يزعمون – بينما يرى آخرون أنه ليس مقدساً وإن أدى خدمة لليهود أعظم قدراً من التوراة[2] وأخص الفرق اليهودية فى عدم تقديس التلمود فرقة الصدوقيين والقرائيين والسامريين .

قرارات مجامع السنهدرين :

أو مجلس السنهدرين الأعلى وهى المصدر الثالث للتشريع .

وهى تختص بالقضايا التى لم يرد فيها نص وتخضع لاجتهاد العلماء وقرارات المجمع ملزمة لجمهور اليهود .

هل القابالا من مصادر التشريع عند اليهود ؟

هذا غير صحيح من الناحية العلمية وإن وقع بعض العلماء فى الخطأ حين قال بهذا ، لأن القابالا أو الكابالا مثل دلائل الخيرات عند المسلمين ، فهى نصوص روحية لليهود ، دون أن تكون مصدراً للتشريع .

أزمة الفكر الإسلامي بهذا الصدد .

من يوسع دائرة البحث العلمى يدرك أن كثيرين من علماء الإسلام قد عجزوا عن التمييز بين مصادر الفكر اليهودى ومصادر التشريع اليهودى وناتج العقلية اليهودية ، وقد ترتب علي العجز فى التمييز بين هذه العبارات الثلاث وقوع خلط بَيِّن فى مؤلفات المسلمين وهو ما يتطلب بيان هذه الأمور حتى لا يكون الخلط فيما هو آت – إن شاء الله – فأقول :

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه صـــ٢٩،والكنز المرصود من صـــ٤٤ : ٤٨ .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه من صـــ٢٨ : ٣٩ .

أولاً : مصادر التشريع عند اليهود هى (التوراه – التلمود – قرارات المجامع) على خلاف فى الكم والكيف حسب الفرق اليهودية .

ثانياً : مصادر الفكر اليهودى تعتمد على الوحى وما بقى منه والأماكن التى نزلوا بها والثقافات السائدة فى عصرهم والوقائع التى نزلت بهم ومدى تأثيرها عليهم وهذا أوضح ما يكون فى تدوينهم للتوراة والتلمود فقد مزجوا الوحى بالثقافة السائدة وجاءت النتائج متأثرة بهذا .

ثالثاً : ناتج العقل اليهودى ، وهو أوضح ما يكون فى بروتوكولات حكماء صهيون ، وهى أشبه ما تكون بالدستور فى مصر ، فهى وإن لم تكن دينية الصبغة إلا أنها مقدّمة فى الالتزام على التوراة والتلمود .



أضواء على اليهود
من ناحية العقيدة - الشريعة - الأخلاق
من نصوص الوحي عندهم

أولاً : فى مجال العقيدة :

إن مجرد الإيمان بالله غير كاف فى ميدان العقيدة ، بل لابد من لازم لذلك الإيمان وهو ما يعبر عنه العلماء بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال والتنزيه عن الشبيه والشريك والصاحبة والولد والحلول والاتحاد والإفراد فى القصد والمراقبة والقيام بالتكاليف الشرعية الصادرة عن الخالق على لسان الأنبياء...

ولذلك بعث الله الأنبياء وأرسل الرسل ، وكلما دُرِسَت رسالة من الرسالات السابقة ومحيت أصول عقيدة التوحيد ولازمها بخاصة كان بعث نبى جديد . ولو كان الإيمان بالله الموجود الخالق للكون كافياً للنجاة لنجى العرب قبل غيرهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ..﴾[1]. وقالوا عن أصنامهم ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ..﴾[2]

وقد عرف المسلمون العقيدة ككلمة مرادفة للإيمان فى أغلب الأحيان وجعلوا أركانها أركان الإيمان الواردة في الحديث النبوى الشريف { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره ...}[3] الحديث .

فإذا ما طلبنا موقف اليهود من تلك الأركان من خلال كتبهم المقدسة تبين ما يلي[4] :

---

(١) سورة الزخرف (٨٧) .

(٢) سورة الزمر (٣) .

(٣) صحيح مسلم : الإيمان حديث رقم ١ .

(٤) النقل من التوراة المزعومة والتلمود المختلق من أجل إلزام الخصم والتعريف بما يعتقده القوم لا تسليماً بأن موسى عليه السلام قد أوحى إليه =

أولاً : الإيمان بالله :

هو أساس الإيمان فيما بقى من آثار فى العهد القديم والتوحيد شرط أساسي لسلامة المعتقد اعتماداً على أولى الوصايا العشر { أنا الرب إلهك لا يكن لك رب غيرى }(١) والإشراك مع الله غيره يوجب القتل ردة سواء أقام ذلك بالأفراد أم بالمدن . ويتم قيام الحد ديانة لأن ترك ذلك يجلب خزياً وعاراً على بنى إسرائيل(٢) ..

إلا أن لازم الإيمان بالله الواحد فى اليهودية مضرب المثل فى الغرابة. ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى :

١- تصور الذات الإلهية كسائر الذوات البشرية من حيث إمكانية الرؤيا والمواجهة والمعاينة وقد وردت نصوص تبلغ حداً فى الكثرة صرح فيها برؤية موسى لله وجهاً لوجه ورؤية السبعين المختارين لله ورؤية بنى إسرائيل لله . ورد فى سفر الخروج أن الرب تكلم مع موسى وجهاً لوجه {ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه}(٣) وقد رأى بنو إسرائيل ذلك (٤).

٢- تقوم العلاقة بين الله والإنسان على أساس من الصراع حيث إن الله يخشى قوة الإنسان وبطشه وزيادة سلطانه على سلطان الله فى الأرض ولذلك ضرب الله ألسن الناس وبلبلها ـــ أى جعل لها لغات شتى

= بذلـــك ، إذا مـــا استثنينا النصوص التى لا تتعارض مع القرآن الكريم خاصة أن ملامح دعوة موسى بادية فى القرآن الكريم.

(١) خروج ٢٠/١ والتثنية : ٦/٥ .

(٢) خروج : ٢٥/٣٢ لاويين :١/٢٦ التثنية : ١/١٣ ، ١٨ ، ٢/١٧ .

(٣) خروج ١/٣٣ .

(٤) خـــروج ٢٢/٢٥ ، ١٨/٣١، ٨/٣٣ ، ١٠ والتثنية:٢٩/٤ ، ١٠/٣٤ والعدد ٨/١٢ ، ٢٧/١٦ والتكوين ٣/٣٢ .

ـ حتى لا يكون التفاهم فيقوى شرهم كما أصدر حكمه أن لا يزيد عمر الإنسان عن ١٢٠ عاماً[١] . ومن النصوص :

" فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه"[٢]. "وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينون أن يعملوا ، هلم ننزل ونبلبل لسانهم"[٣] .

٣- صرحت التوراة بأن الله قد استراح بعد فراغه من خلق السموات والأرض فى ستة أيام فاستراح فى اليوم السابع (يوم السبت) ولذلك فإن العمل فيه محرم عندهم (وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل)[٤] .

٤- يؤمن اليهود بالحلول والاتحاد وتحديد المكان بالنسبة لله ويرون ذلك خاصاً بموسى وبني إسرائيل ، كما يدعون أن الإله قد طلب من موسى أن يبنى له كروبين حتي ينزل الرب بينهما ويكلم موسى وبنى إسرائيل من فوقهما . ورد فى التوراة : " وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلاً فى عمود نار ليضيء لهم ولكي يمشوا نهاراً وليلاً . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب"[٥] .

"وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً . فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله

---

(١) تكوين ٣/٦ – ٧ ، ٦/١١ – ٩ .

(٢) تكوين ٦/٦ .

(٣) تكوين ٧/١١ .

(٤) تكوين ١/٢ ،٣ .

(٥) خروج ٢١/١٣ ، ٢٢ .

فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً ... ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل"[1] .

"وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى" [2]. "فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه كان يسمع الصوت يكلمه من على الغطاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبين فكلمه..." [3] .

"ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر نحو الغطاء يكون وجها الكروبين . وتجعل الغطاء على التابوت من فوق وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة" [4].

ويمكن قراءة الإصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج لمعرفة ما هو الكروبين وكيف يبنى ... الخ كذلك يتأكد أمر الحلول والاتحاد من خلال النصوص التى وردت فى الخروج ٤٣/٢٩ ، ٤٠/ ٣٤ وسفر العدد١٥/٩ ، ٣٣/١٠ .

وفى التلمود وردت نصوص لا يتأتى قبولها عقلاً رغم قبولها ديانة عند اليهود . ومن هذه النصوص : "أنه لا شغل لله فى الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع (اسموديه) ملك الشياطين فى مدرسة فى السماء ثم ينصرف (اسموديه) منها بعد صعوده إليها كل يوم .

---

(١) خروج ١٦/١٩ – ٢٠ .

(٢) خروج ٩/٣٣ .

(٣) سفر العدد : ٨٩/٧ .

(٤) خروج : ٢٠/٢٥ –٢٣ .

يتندم الله على تركه اليهود فى حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل....

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل . كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها وعقص لها شعرها وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكى ويمضى ثلاثة لأجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً :

تباً لي لأني صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى ...

وَلَمَّا يسمع البارى تعالى تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول : ما أسعد الملك الذى يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك ولكن لا يستحق شيئاً من المدح الأب الذى يترك أولاده فى الشقاء[1] ...

وقد ذكر ابن حزم الأندلسى الكثير من معتقدات اليهود ـ الباطلة ـ حول الذات الإلهية[2] .

ثانياً : الإيمان بالملائكة :

وأما تصورهم عن الملائكة فقد أشارت إليه أسفار العهد القديم بما يدل على تناولهم للطعام والشراب كما فى قصة مرورهم على إبراهيم ودعوته لهم لتناول الطعام والشراب فقبلوا الدعوة وأكلوا [3] ... وعندما مر الملائكة بلوط استضافهما فقبلا ذلك فأعد لهما طعاماً وأكلاً [4] ...

كما صارع يعقوب عليه السلام ملاك الرب الذى ظهر فى صورة إنسان فصرعه يعقوب حتى إذا كان قبل الفجر قال له أطلقنى فلم يشأ يعقوب

---

(١) الكنز المرصود : ٤٩ - ٥١ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسى ١ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٣) تكوين ١/١٨ - ٨ .

(٤) تكوين ١٩ / ١ : ٣ .

حتى خلع عليه لقب إسرائيل [١] . وقد أضاف التلمود صفات إلى الملائكة مما هو مضرب المثل فى الغرابة ومن ذلك .

الملائكة قسمان : من لا يطرأ عليه الموت وهو الذى خلق فى اليوم الثانى ، ومن يطرأ عليه الموت وهو قسمان أيضاً :

من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدر له فيه الحياة بأجله وهو الذى خلق فى اليوم الخامس ومن يموت فى يوم خلقه بعد أن يرتل لله ويقرأ التلمود ويسبح التسابيح وهو الذى خلق من النار ، وأما وظائفهم فمنهم من وظيفته حفظ الأعشاب التى تنبت فى الأرض وهم واحد وعشرون ألف بعدد أنواع الأعشاب كل واحد يحفظ النوع الذى نيط به ومنهم الملك (جركيمو) للبرَدَ ، وميخائيل للنار وإنضاج الأثمار ، ومنهم المخصص لفعل الخير وفعل الشر وبث المحبة وبعضهم لحفظ الطيور والأسماك والحيوانات المتوحشة ....

غير أن الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية ، فعلى من يطلب شيئاً أن لا يوجه إليها الخطاب بإحدى هاتين اللغتين [٢] ....

ثالثاً : الإيمان بالكتب :

وردت نصوص فى التوراة تصرح بأن كتاب التعاليم لم يكونوا أهلاً لذلك فضلاً عما قاله المسيح فى حق المشتغلين بتدوين تلك التعاليم . ومن هذه النصوص :

أ- ورد فى "أرميا" وهو يعتب على بنى إسرائيل تصرفهم فى الوحي (وأما وحي الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه . إذ قد حرفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا ..." [٣] .

---

(١) تكوين ٣٢/٢٤، ١٦/١٣ وخروج:٢٤/١١ والتثنية : ٣/١٦ ، ٥/٢٤ .

(٢) الكنز المرصود : ٥٢ ،٥٣ .

(٣) أرميا : ٢٣/٣٣ - ٣٦ .

ب- "هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبئون لكم ، فإنهم يجعلونكم باطلاً يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب ..."[1]

وحسبنا في هذا الأمر اختلافهم فى النظر إلى محتوى النص الموحى به وظهور عدة نسخ والتفاوت فى الكم والكيف ونكرانهم نزول شريعة فى كتاب على عيسى عليه السلام وكذلك محمد ﷺ فضلاً عن تقديرهم التلمود أكثر من نص التوراة المزعوم نسبتها إلى الوحي[2] على ما هى الآن عندهم .

رابعاً : الإيمان بالرسل :

وأما إيمانهم بالرسل فهو مضرب المثل فى الغرابة ، فمع تسليمهم ببعث الله لبعض الأنبياء والمرسلين إلا أنه لم يسلم من أذاهم نبى على وجه الإطلاق يستوى فى ذلك آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون مع غيرهم ممّن ورد اسمهم فى العهد القديم .

وعصمة الأنبياء غير واردة عندهم ولذلك وصف نوح بأنه شريب خمر[3] وإبراهيم تاجر بعرض زوجته من أجل متاع دنيوى[4] وشرب لوط للخمر وزناه بابنتيه فأنجبتا منه موآب وعمون[5] ونسبه الكذب إلى إسحاق وتجارته بعرض زوجته وشربه للخمر[6] ، كما وصف يعقوب بالخداع والكذب على أبيه وتضليله إياه مستغلاً عماه حتى نال البركة

---

(١) آرميا ١٦/٢٣.

(٢) الكنز المرصود ص٤٤ ، ص٤٥ .

(٣) تكوين : ٢٠/٩ -٢٧ .

(٤) تكوين ١٠/١٢ -١٩ ، ١٤/٢٠ -١٧.

(٥) تكوين ٢٠/١٩ -٣٨ .

(٦) تكوين ٧/٢٦ - ١٠ ، ٢٥/٢٧ .

(حق البكورية)[1] وكذلك اتهامه بخداعه لصهره (لابان) وسرقة بعض ماله[2].

والتصريح بقتل موسى للمصري عمداً [3] ، مع حثه الإسرائيليين على سرقة وسلب ونهب المصريين حين الهجرة [4]. وكذلك صنع هارون العجل لبني إسرائيل حتى يعبدوه من دون الله [5] . كما يدعون نبوة شاول الذى لم ينفذ تعاليم الله فارتفعت النبوة عنه ثانية وحل الشيطان عليه [6] . كما وقع خلاف بين شاول النبى وداود النبى حتى حرص كل منهما على قتل صاحبه [7] . وفى العهد القديم كذلك إن داود كان يشرب الخمر [8] . وأمر بشرب الخمر [9] ، وزنا بامرأة أحد جنوده (أوريا الحثى) وقتله بعد ذلك لتبقى امرأته عنده[10] .

وأما سليمان فقد ارتد فى أخريات حياته مجاملة لنسائه وأقرهم على عبادة الأوثان فى بيته [11] كما قتل أخاه لأنه أراد الزواج من خادمة أبيه [12] .

---

(١) تكوين ٢٧/١٣ – ١٧

(٢) تكوين ٣٥/٢١، ٢٢ .

(٣) تكوين ٢/١١، ١٢.

(٤) خروج : ١١/٢ – ٣ ، ٣/٢٢ –٢٣، ١٢/٣٥ –٣٦.

(٥) خروج ٣٢/١ –٦.

(٦) صموئيل الأول : صح : ١٠/٥ – ١٣ ، ١٩/٢٣ ، ١١/٦، ١٣/١٣ –١٥ ، ١٥/١٠ –١٢ ، ١٥/٢٤ – ٢٦، ١٦/١٤ –١٦.

(٧) صموئيل الأول : ١٨/١٠ –١٢.

(٨) صموئيل الأول : ٢٥/١٨ –٣٥ .

(٩) صموئيل الثانى : ١/١٥ .

(١٠) صموئيل الثانى : صح ١١.

(١١) الملوك الأول صح ١١/١ –١٢.

(١٢) الملوك الأول : ١/١٣ –١٦.

وقد ورد الكثير في حق أيوب وآرميا ودانيال وغيرهم من أنبياء العهد القديم كما يدعي اليهود .

خامساً : اليوم الآخر :

ينقسم اليهود في أمر البعث بعد الموت وفي الحياة الآخرة إلى قسمين ، فمنهم من ينكر ذلك بالكلية كالصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة ، ومنهم من يؤمن بذلك ويختلفون في أمر نعيم الآخرة بين الحسي والمعنوي أو المعنوي فقط .

إلا أن جمهور اليهود لم يعرف اليوم الآخر في الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم .. وكل النصوص المتعلقة بالثواب على الصالحات دنيوية تتمثل في البركة في الأموال والأولاد وكثرة الزرع ونماء الضرع واستعباد الآخرين والتمكين في الأرض ...

بينما يكون العقاب للعاصي الذلة والمهانة وقلة المال والولد [1].

وقد تأثر اليهود في فترة متأخرة بقضية البعث بعد الموت حين اتصلوا بالأمم التي تؤمن به .

وقد رأى واضعوا التلمود أن الجنة لليهود فقط وأن جهنم لغير اليهود "ولا يدخل الجنة إلا اليهود . أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين ....

والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم (كناية عن الوضوء عند المسلمين) والذين لا يختتنون (كالمسيحيين)

---

(١) اقرأ النصوص التالية لبيان ذلك : لاويين ٣/٢٦ - ١٤ ، والتثنية : ١٣/١١ - ١٥ وصح ١/٢٨ - ١٤ وحزقيل ٢٧/٣٤ ولاويين ١٩/٢٥ وانظر بين الإسلام والمسيحية تقديم وتحقيق أ.د / محمد شامه ص١٢٦ - ١٤٠ والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص٣٤ وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ٢٤٧-٢٥٤ والأجوبة الفاخرة ٢٢٧، ٢٣٧، ٣٨٠.

الذين يحركون أصابعهم (أى يصلبون على وجوههم حين الصلاة) يبقون هناك خالدين .... (١)

الخاتمة :

يمكن القول إن سكنى بنى إسرائيل بين أناس وثنيين وعيشهم مع أمة ألهت واحداً منها هو "فرعون" وخضوعهم للحكم الروماني (الوثني) وتفرقهم فى بلدان ديانتها فى الغالب وثنية جعل جامعي العهد القديم ومدونيه وكذلك مؤلفي التلمود وشارحيه يصورون الإله بصورة مادية محسوسة . الخ بخاصة أن النصوص صريحة الدلالة لا يتأتى تأويلها فضلاً عن نظرتهم السيئة إلى الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والذي كان له كبير الأثر على سلوكهم .

ثانياً : الشريعة :

يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الشريعة ما تطلق عليه منه كالعبادات والمعاملات والأنكحة والحدود والجنايات ومشروعية القتال وآثاره ....الخ مع قيام تلك المكونات على أركان أساسية أو تضمنها لها .

وقد تضمن العهد القديم والتلمود الكثير من تلك المفردات وأركانها بصورة مفصلة فى بعض الأحيان ويظهر من القراءة الهادئة لمصدري التشريع عند اليهود أن طول الزمن بالعهد القديم فى المرحلة الشفهية ، وكذلك الفترة التى تم تأليف التلمود فيها (ستة قرون تقريباً) كان لهما دورهما فى أن يجمع المدونون والمؤلفون من تراث الإنسانية السابق موسوعة فى كافة شؤون الحياة سواء أكان له صلة بالشريعة أم لا ، حتى إن ما يدعى كونه شريعة هو مثار العجب لا من حيث المحتوى بل من مجرد التدوين . وقد ترتب على ذلك أن تتناقض النصوص فى معظم الجوانب السابقة فقد يفرض الشيء فى مكان ،

---

(١) الكنز المرصود : ص٦٢، ٦٣.

ويرفع في آخر ، وقد يحل في مكان ويحرم في آخر [1] مع أن جمهور اليهود لا يؤمن بالنسخ بدعوى أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وقد ظهرت على لسان موسى ـ عليه السلام ـ كما أن النسخ يعني البداء [2] ، والبداء على الله محال [3] .

والذي يهمنا من جوانب الشريعة في هذه الدراسة ـ أمران هما :

١- المعاملات .

٢- مشروعية القتال من أجل الأرض المقدسة .

ويمكن إلقاء الضوء على هذين الجانبين فيما يلي :

أولاً : المعاملات :

أباحت تعاليم العهد القديم للإسرائيلي أن يسلب من ليس بإسرائيلي ماله وكل ما يمكن سلبه وقد ادعوا نسبة ذلك إلى موسى ـ عليه السلام ـ حين الخروج من مصر [4] .

كما أباحت لليهودي أن يقرض غير اليهودي بالربا [5] وأن لا يقرض اليهودي الفقير بالربا [6] وإنما يقرض الغني وكذلك يسترق غير اليهودي ولا يسترق اليهودي إلا بحد أقصى ست سنوات [7] .

وقد أضاف مؤلفوا التلمود كثيراً من المبادىء المتعلقة بالمعاملات المالية مع غير اليهودي لتيسير عملية السلب والنهب ، بل إن الجنة ـ

---

(١) راجع إظهار الحق باب النسخ ١/٥٠٩ - ٥٤٢.

(٢) البداء أي ظهور الحكمة في أمر لم يكن الله يعلمه قبل وذلك منقصة في حق الله لأن علمه شامل .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ٢ ص١١ -١٢.

(٤) خروج : ١/١١ - ٦.

(٥) تثنية : ٢٠/٢٣ ، ولاويين ٣٤/١٩ ، ٣/١٥.

(٦) تثنية : ١٩/٢٣ ، وخروج ٢٥/٢٢ ولاويين ٣٦/٢٥.

(٧) تثنية : الإصحاح الخامس عشر.

من وجهة نظرهم ـ محرمة على اليهودى الذى يرد مال غير اليهودى إليه . ومن نصوص التلمود :

"إن الله لا يغفر ذنباً ليهودى يرد للأمى ماله المفقود وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب [(١)] . قال (ميمانود) يذنب اليهودى ذنباً عظيماً إذا رد للأمى ماله المفقود لأنه بفعله هذا يقوى الكفرة ويظهر اليهودى بأنه يحب الوثنيين ومن أحبهم فقد أبغض الله[(٢)] .

" لا تظلم الشخص الذى تستأجره لعمل ما إذا كان من إخوتك" أما الأجنبي فمستثنى من ذلك [(٣)] وقال "ميمانود" فى تفسير "لا تسرق" إن السرقة غير جائزة من الإنسان أى من اليهودى . أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة [(٤)] .

كما نقل مترجم الكنز المرصود عن كتاب "الروسيا اليهودية" : يجوز تداخل يهودي آخر مع الأول بصفة شريك ليتفقا معاً على اللازم إجراؤه لاسترداد ذلك المال لأن أموال الأميين مباحة ولكل يهودي الحق فى وضع يده عليها .

وقال العالم " ففنكران" أموال المسيحيين مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة كرمال البحر فأول من يضع يده عليها يمتلكها [(٥)].

ثانياً : **مشروعية القتال من أجل الأرض المقدسة** :

يؤمن اليهود بأن لهم بقعة محددة من الأرض فى بلاد العرب وعد الله بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى ولا بد من القتال من أجل

---

(١) الكنز المرصود ص٧٧.

(٢) الكنز المرصود ص٧٨.

(٣) الكنز المرصود ص٧٣.

(٤) الكنز المرصود ص٧٣.

(٥) الكنز المرصود ص٧٣ ، ٧٤.

الحصول على هذه البقعة . وفى سبيل ذلك يستباح كل شئ ومن هذه النصوص ما يلي :

١- الوعد لإبراهيم : ورد فى التوراة "ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام . وقال له أنا الله القدير ...فأجعل عهدى بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً .فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً ... وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم..." [١] .

وقد تم تحديد مساحة هذه الأرض "فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً:

لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[٢] . "وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ..." [٣]

٢- تجديد الوعد لإسحاق : بنفس البقعة من الأرض : ورد فى التكوين (ذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار . وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر اسكن فى الأرض التى أقول لك ... لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك ...) [٤] .

---

(١) تكوين : ١/١٧ - ١١.

(٢) تكوين : ١٨/١٥ ،١٩.

(٣) تكوين : ١٤/١٣ ،١٥.

(٤) تكوين : ١/٢٦ -٣.

٣- **تجديد الوعد ليعقوب :** "والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جمهوراً من الشعوب ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التى أعطاها الله لإبراهيم" [١] .

٤- **تجديد الوعد لموسى :** "وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل تبو إلى رأس الفسجة التى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان . وجميع نفتالى وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربى والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر . وقال له الرب هذه هى الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر ..." [٢] .

كما ورد : "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر ، نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم لا يقف إنسان فى وجهكم ...."[٣] .

٥- **أمر موسى قومه بتحقيق ذلك :** "كفاكم قعوداً فى هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات . انظر قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم"[٤] .

وإذا كان الجيل الذى خرج مع موسى وأبى دخول تلك البقعة من الأرض حتى كتب الله عليه التيه مدة أربعين سنة لم يدخل ، فإن اليهود

---

(١) تكوين ٣/٢٨ - ٥.

(٢) تثنية ١/٣٤ - ٤.

(٣) تثنية ٢٤/١١.

(٤) التثنية : ٦/١ - ٨ وصح ٢٥/٣.

والمؤرخين يدعون الدخول زمن يوشع بن نون ، وقد رسمت شريعتهم لهم كيف يقاتلون غيرهم فيفعلون ما يرونه صالحاً لهم من أجل الاستيلاء على تلك الأرض مع دعوة أن الله معهم فى كل قتال ويهمنا من ذلك النصوص التالية لأنها وثيقة الصلة بما يفعله اليهود الآن فى فلسطين .

١- أباحت التوراة إبادة كل حي وقطع كل أخضر وحرق كل يابس من أجل الحرب فقط وكان ذلك مفروضا عليهم .(سفر التثنية ١٢/ ٧:١) كما ذكرت التوراة أن الرب أمر يشوع بحرب مدينة عاي ورسم له خطة الحرب وكيفية إعداده لكمين قوى وقد استجاب يشوع لهذه التعاليم حتى يسرت لهم أسباب الاستيلاء على مدينة عاى (وأما ملك عاى فأمسكوه حياً وتقدموا به إلى يشوع وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا .إن جميع إسرائيل رجع إلى عاى وضربوها بحد السيف ... وأحرق يشوع عاى وجعلها تلا أبدياً خراباً إلى هذا اليوم . وملك عاى علقه على الخشبة إلى الوقت المساء ..."[١]

٢- الاستيلاء على الأرض وتقسيمها مع طرد السكان دون قتلهم أو أسرهم ، ورد سفر العدد "وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها وتقسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم ...وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها . فيكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم"[٢] .

---

(١) يشوع صح ١٩/١٨ ، وصح ١٦/١٠ -٤٣ / ١/١٢ - ٤٣.

(٢) سفر العدد : ٣٣/ ٥٠ - ٥٦.

٣- فإذا ما سلمت المدينة نفسها لهم فإن الحاكم مخير فى أمرها بين القتل والسلب والنهب والاسترقاق والتحريم . يؤكد ذلك النصوص التالية :

الاستعباد "حين تقرب من مدينه لكى تحاربها استدعها للصلح . فإن أجابتك للصلح فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك"[١] .

قتل الرجال وحرق المدن والحقول واسترقاق النساء والأطفال وأخذ الأموال غنائم فقد ورد "فتجندوا ــ أى إسرائيل ــ على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حقولهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من النساء والبهائم"[٢] .

التمثيل والوحشية حين القتل : ورد فى صموئيل "وأخرج داود الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج وفؤوس حديد وأمرهم فى أتون وهكذا صنع بجميع مدن عمون [٣] .

ويمكن مراجعة حروب يشوع مع مدينة عاى ومقيدية ولبنة ولخشية وجازر وعجلون وجدعون [٤] لمعرفة ذلك .،

قتل الجميع : الرجال والنساء والأطفال ، ورد فى سفر العدد "فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة . فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب وقال لهم موسى هل أبقيتم كل

---

(١) سفر التثنية : ٢٠ /١٠ - ١٤.

(٢) سفر العدد : ٨/٣١ - ١٢.

(٣) صموئيل الأول : ١/١٨ - ٣.

(٤) يشوع : ٢٨/١٠ -٤٢ وانظر القضاه ٤/١ -٦ وصح ٨/١٠ -٢١.

أنثى حية إن هؤلاء كن لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب ..فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها ..."[1].

وبذلك لا يرى اليهود أى حرج ـ حين القتال ـ يحول بينهم وبين تحقيق غايتهم ، ولو كان فى قتل النساء والأطفال والمرضى والشيوخ والمعرضين عن القتال ، وهو ما لا تقره الأديان ولا الأعراف والقوانين الدولية فى العصر الحديث ولكنها مظاهر وآداب شريعة القتال عند اليهود والمدعى نسبتها إلى الله .

ثالثاً : أضواء على الأخلاق عند اليهود :

يؤمن اليهود بمبادىء خلقية غاية فى السوء يمكن إيجازها فيما يلى:

١- العنصرية : حيث يعتقد كل يهودى أنه أفضل ممن سواه . بل ان اليهودى من أصل إسرائيلى يرى نفسه أفضل من اليهودى من غير بنى إسرائيل وهو ما جعل أحد الباحثين يتوقع فتنة بين اليهود فى المستقبل لهذه العلة [2] . والنصوص التى تؤكد العنصرية فى التوراة كثيرة منها :

أ- "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب التى على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظة القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من العبودية ..." [3] .

---

(١) العدد ١٣/٣١ – ١٧ والتثنية : ١٤/٢٠ صموئيل أول ٣/١٥ وصبح١٤/٢٤.

(٢) اليهود فى القرآن ص١٣٦.

(٣) تثنية : ٦/٧ -٩.

ب- "فإن لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة ، هذه الكلمات التى تكلم بها - مع بنى إسرائيل" [1] .

جـ- "وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصا كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التى عملها فى الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك" [2] .

د- "وأتخذكم لى شعباً أكون لكم إلها فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين" [3] .

ويمكن الرجوع إلى فهرست الكتاب المقدس لمطالعة كافة النصوص التى أضيف فيها لفظ الجلالة والرب إلى ضمير الخطاب والجمع "كم" لبيان مدى العنصرية التى يؤمن بها اليهود .

أثر النصوص السابقة على مؤلفي التلمود:

لم يستح مؤلفوا التلمود أن يدونوا ما تقشعر منه الأبدان حين التلاوة . ويبدو أن فترة الذلة والمهانة التى عاشها اليهود زمن التدوين وقبله جعلت المؤلفين يدونون ما يبعث الأمل ويحيى العزة بعد الذلة حتى تصوروا غيرهم بالحيوانية بل بأخسها درجة (الكلاب) ومن تلك النصوص :

قريب اليهودى هو اليهودى . باقى الناس حيوانات فى صورة إنسان ، هم حمير وكلاب وخنازير ... إذا ضرب أمىٌ إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية .

إذا ضرب أمى إسرائيليا فالأمي يستحق الموت ولو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس .

---

(١) خروج : ٦/١٩.

(٢) تثنية ١٩/٢٦.

(٣) خروج ٧/٦.

إن النطفة المخلوقة منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هى نطفة حصان ، وعندهم الكلب أفضل من الأجانب لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضاً أن يعطيهم لحماً بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم .

وقال الرابى مناحم : أيها اليهود إنكم من بنى البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله وأما باقى الأمم فليست كذلك . لأن أرواحهم مصدرها الروح النجس[1] .

٢- الغاية تبرر الوسيلة : اليهود لا يحترمون العهود ولا المواثيق بصريح القرآن وكذلك نصوص العهد القديم . ولا اعتبار لخلق أو دين عندهم والغاية تبرر الوسيلة عندهم بل إنهم ظلموا الأنبياء والمرسلين حين نسبوا إليهم سوء الفعل وقبيح الخصال بدعوى الرغبة فى شيء ما . محموداً كان أم غير محمود وإذا كانت النصوص التي تؤكد على هذا المبدأ فى الفكر الديني اليهودى تبلغ حداً من الكثرة فإننا نكتفى بذكر النماذج التالية مع إيماننا بتنزيه الأنبياء عما نسب إليهم من كبائر :

أ- يزعم اليهود أن إبراهيم تاجر بعرض زوجته من أجل كسب مادي وقد تكرر ذلك مرتين وأنه طرد هاجر بولدها لينال رضاء سارة .(تكوين ١٢/١٠ــ ١٩ ، صح ٢٠/١ ــ ٥) .

ب- يزعم اليهود أن ابنتي لوط قد سقتا أباهما خمرا من أجل الحصول على ولد منه فتحقق لهما ما أرادتا . تكوين (١٩/٣٠ ــ٣٨).

جـ- خدع يعقوب أباه مستغلاً عماه لينال منه حق البكورية وذلك بارتدائه جلد ماعز حول ذراعيه وتقليد أخيه عيسو فى صوته فتحقق له ما يريد . (تكوين ٢٧/٢٣ ــ٢٧) .

---

(١) الكنز المرصود ص٦٦ - ٧١ .

- دعا يعقوب حمورو أهل شكيم أن يختتنوا كسنة اليهود فلما فعلوا ذلك خرج يعقوب وقتل سائر الرجال بما فيهم حمور وشكيم . (تكوين ٤٤/٦ ــ ٣٠) .

- ألم يتحايل يعقوب على الأغنام حين العشار كى تنتج مخططات ورقطاء وبلقا ليكن له فتم المراد .(تكوين ٣٠/٣٧ــ٣٠)

د- ألم يحرص اخوة يوسف على قتله ويتحايلوا على أبيهم بأساليب مقنعة مبيتين نية القتل فأعطوا إياه ليكون مراد الله .(تكوين ٣٧/ ١ ــ٣٠)

هــ- ألم يأمر موسى بنى إسرائيل حين الخروج من مصر أن يستعيروا الذهب والأمتعة وكانت الغاية سلبها ونهبها وقد تحقق لهم ما يريدون .(خروج ٣/٢٢، ٢٣، صح ١٢/٣٥، ٣٦).

- كما جعلوا من قتل موسى ﷺ للمصرى بطريق الخطأ مبرراً شرعياً ــ فى نظر اليهود ــ لقتل كل من هو غير يهودى لأن موسى فعل ذلك . (خروج ٢/١١) .

و- ألم تسق أستير الخمر لملك الفرس زوجها حين أعدت له الطعام ودعت إليه هامان ليأكل معه فلما شرب وسكر وقال لها الملك تمن حتى نصف المملكة تعط ؟ فقالت بل تتناول الطعام غداً مرة ثانية مع هامان عندى فاستجاب الملك حتى إذا كان وقت الشرب قال لها الملك تمن قالت أن تقتل هامان لأنه كان يعادى اليهود ويحرص على إبادتهم ــ ثم طلبت إطلاق يد اليهود ليفعلوا ما شاءوا فاستجاب الملك وقتل اليهود آلافاً من الرعية . وقد صارت مضرب المثل عند اليهود ولها سفر باسمها فى العهد القديم .

ز- ألم يرسل "داود" "أوريا الحثى" إلى مقدمة الجيش ليقتل حتى يتزوج بزوجته التى زنا بها قبل ذلك فتم ما يريد (صموئيل ــ الإصحاح الحادى عشر كاملاً) .

- ألم يقتل داود مائتى رجل من الفلسطينيين لا لشيء إلا الزواج من ابنة شاول الذى أبى أن يزوجها إياه إلا بعد تقديم مائة غلفة من الفلسطينيين فقدم داود مائتى غلفة .(صموئيل الأول ١٨/١٤:٢٩).

ح- ألم تعلق نساء سليمان رضاهن عنه على إقراره لهن بعبادة الأوثان فى بيته فكان ذلك (الملوك الأول - صح ١١/١: ١٢).

٣- الجبن : عندما دعا موسى قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة أبوا دخول تلك الأرض متعللين بعلل واهية حتى قضى الله عليهم بالتيه فترة أربعين سنة ، وقد ورد ذلك مفصلاً فى الإصحاح الرابع عشر من سفر العدد والإصحاح الثانى من سفر التثنية .

٤- نكران الجميل ومقابلة الحسنة بالسيئة : وهذا أوضح ما يكون فى مواقف عدة فى التوراة منها .

أ- موقفهم مع الله : حيث إنهم كانوا يكفرون بالله بين الحين والحين وقد ورد فى التوراة فى مواطن عدة أن بنى إسرائيل ارتدوا عن عبادة الله وكفروا بالنعمة وقد عاقبهم الله بذلك . نذكر من تلك النصوص :

- اتخاذهم عجلاً ليعبدوه من دون الله حين ذهب موسى لمناجاة ربه ، وزعمهم أن هارون عليه السلام هو الذى صنع ذلك لهم "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ...فأخذ ذلك — أى كل ما معهم من ذهب — وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب . فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة ..."[1] .

- تذمرهم على موسى وهارون بعد النجاة من فرعون وتجديفهم على الله "وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا

---

(١) خروج : ٣٢/١ - ٧.

يصدقونني بجميع الآيات التي عملت فى وسطهم" [١] . "إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها فى مصر وفى البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي . لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم وجميع الذين أهانوني لا يرونها ..." [٢] .

"اذكر كيف أسخطت الرب إلهك في البرية ...حتى فى حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب ليبيدكم ..." [٣] .

ويمكن مراجعة النصوص الواردة فى الخروج ١٤/١١، ٦/١٠ ، ٢/١٧ والعدد ٤/١١ ، ٤/٢٠ ، ٢/٢٥ والتثنية : ٢٧/٣١ لبيان مدى تمردهم على الله .

٥- اتهامهم موسى بقتل هارون : ولعنهم إياه لأنه سبب مصائبهم (العدد ١:٥/١٤ ، ٢٤/٢٠ : ٢٩ ، ٣٨/٣٣ والتثنية ٢٨/١، ٢/ ١٠، ٦/١٠ ، ٥٠/٣٢، ٨/٣٤).

٦- لا يرون للأنبياء عصمة : ولذلك سمحت لهم أخلاقهم أن ينسبوا إليهم ما سبق بيانه فى موقفهم من الرسل .

٧- يؤمن اليهود بأن الفاحشة مع غير اليهودية لا تعد فاحشة : لأنها غير مؤمنة بل غير إنسانة ومن النصوص التى وردت على ألسنة علمائهم :

إن لليهود الحق فى اغتصاب النساء الغير مؤمنات ــ أى غير اليهوديات ... إن الزنا بغير اليهوديات ذكورا كانوا أو إناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات [٤] .

---

(١) عدد : ١١/١٤.

(٢) عدد : ٢٢/١٤.

(٣) تثنية : ٧/٩، ٨.

(٤) الكنز المرصود : ٨٩ -٩٢.

٨- لا ضير على اليهودى أن يكذب أو يحلف كذباً : إذا تعارض الصدق مع مصلحة اليهودى ويمحى ذنب ذلك بالغفران من قبل المجامع كما أن القسم لغير اليهودى كالقسم للحيوانات وهو لا يعد من باب الأيمان وحين يضطر إلى الحلف عليه أن يصرفه إلى غير المراد وعلى اليهودى أن يؤدى عشرين يميناً كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما (١) .

ومن أسباب الحرمان فى شريعة اليهود : أن يشهد يهودى على يهودى آخر لصالح غير اليهود (٢) .

٩- لا يرى اليهود حرمة فى قتل غير اليهود : بل إن من الطقوس الدينية عندهم قتل واحد من غير اليهود بصورة ما عندهم مع أخذ دمه وعجن فطير الفصح به مراعاة للتقاليد والطقوس .

وقد حصر بعض الباحثين عدداً ممن نبحهم اليهود فى سائر بلاد العالم من أجل عيد الفصح (٣) . ومن نصوص التلمود .

* اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك حفظ حياة أحد الوثنيين

* من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر – أى غير اليهودى لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله .

وقد قيدت الوصية " لا تقتل " بقول " ميمانود " أنه تعالى نهى عن قتل الشخص من بنى إسرائيل وقتل كل من يخالف دينهم من الأفعال التى يكافىء الله عليها .

---

(١) الكنز المرصود ص٩٣ ، ٩٦.

(٢) الكنز المرصود ، ص١٠٢.

(٣) راجـع خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص٨٢-١٠٥ والتلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع من ص٣٧ :ص١٢٣ والكنز المرصود من ص١٠٩ إلى ص٢٢٢ .

ومن قرارات المجامع (سنهدرين ص١٧) : أنه لا يغفر للأمى إذا قتل يهودياً ثم تهود ، ولكن إن كذب على الله أو قتل غير يهودى ثم تهود غفر له [1] .

١٠- غش اليهودى لغير اليهودى مطلب دينى عندهم : (مسموح غش الأمى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش) وقال الحاخام رش : مصرح لك أن تغش مفتش الجمارك الخارج عن الديانة اليهودية وتحلف له يميناً كاذبة على شرط أن تتجح فيما لفقته من الأكاذيب .

وجاء فى التلمود : " إن الرابى صموئيل أحد الحاخامات المهمين كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاساً ودفع ثمنها أربعة فقط ثمن بخس ، وسرق درهماً أيضاً من البائع ..."[2] .



نتائج هذا المبحث

إن إناساً لا يعرفون لله حقاً ولا للأنبياء منزلة ولا الملائكة كرامة ولا للبشرية قيمة أو قدراً لا يرجى منهم خير على وجه الإطلاق . ولذا كانت مصادر التشريع التي رسمت السبل التى تمكن اليهود من استعباد غيرهم كما أعطت تصوراً عنهم من طرف خفى فما على المسلمين إلا أن يتعاملوا مع اليهود فى ضوء ما يعتقد اليهود جزاءً وفاقاً .

وإذا كان المسلمون قد تناسوا فى هذا الزمان شريعة الله فى الجهاد وتناسوا أسباب النصر فكان التقصير فى الطاعة والتمزق بعد الوحدة وضعف شأن العقيدة فى نفوس أصحابها وركن الناس وصارت القبلة عند كثيرين المصالح الشخصية ، فإن اليهود لم ينسوا أن الله قد وعدهم بأرض فى بلاد العرب وحددها لهم كما سبق بيانه – كما يدعون

---

(١) الكنز المرصود ص٨٤ –٨٨.

(٢) الكنز المرصود ص٧٥ –٧٦.

زوراً وبهتاناً – وقد سلكوا كل سبيل مشروع وغير مشروع لنيل هذه البقعة من الأرض والتى ظفروا بالقليل منها بحسب النصوص الواردة عندهم وبقى الكثير مما وعدوا به حتى يتملكوا من النيل إلى الفرات . فماذا ينتظر المسلمون من هؤلاء الناس ؟ أيطالبونهم بترك دينهم أم يكرهونهم على الالتزام من باب سنة الله معهم بعد كل تمرد لهم فى الأزمنة الغابرة .

لقد أثبتت التجارب أن اليهود يطبقون كافة المبادئ الخلقية الواردة عندهم وما حوادث سلب أرض المسلمين ونهب ديارهم وقتلهم عنا ببعيدة إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .



نزل القرآن وقد عايشته أمم شتى زمن التنزيل وكان أقل الناس عدداً فى ذلك الوقت اليهود سواء أكانوا فى جزيرة العرب أم خارجها إذا ما قورنوا بالفرس (المجوسيين أو الصابئيين) والروم (المسيحيين) والعرب (الوثنيين) وغيرهم من الأمم الأخرى .

ومع ذلك تحدث القرآن عن بنى إسرائيل واليهود فى مواطن عدة حديثاً ورد فى خمسين سورة من سوره القرآن البالغة من حيث العدد مائة وأربع عشرة سورة . وقد تفاوت الحديث بين قبض وبسط ومدح وذم وذكر للماضى والحاضر وربط تصرفات المعاصرين بفعل الغابرين ، وقد قيل " لا تلد الحية إلا حية " . وليس لأولى أمر المسلمين عذر بين يدى ربهم إن لم يتعاملوا مع اليهود بما تعامل به معهم الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده فى حالتى السلم والحرب ، كما لا ينبغى أن يخدع أى مسلم بما مكن لليهود المعاصرين من حول وطول ومدّ يد العون فضلاً عما زينته وسائل الإعلام من كونهم مستذلين أو مستضعفين أو مضطهدين لكسب تأييد الغرب أو أقوياء أشداء لإرهاب العرب .

إن اليهود عبر التاريخ لم يعرفوا السلام وإن تظاهروا به والإسلام دين السلام لا يستذل معه مسلم ولا تمتهن معه كرامة ولا توطأ للمسلمين معه دار أو ينتهك لهم عرض ، فإن كان شىء من ذلك سقط السلام ورفعت راية الجهاد ديانة إلا إذا رأى أولوا الأمر المسلمون الغيورون على الإسلام أن ظروفهم لا تسمح به فيكون الإرجاء إلى حين مع بقاء حق الإسلام – الجهاد بالسيف – قائماً بالأعناق .

وإذا كانت الأمم ترسل جواسيس وتشترى أخبار الغير وتبذل كل جهد لمعرفة النوايا بطرق غير مباشرة أو مباشرة ، فإن القرآن قد كفى المسلمين معرفة بعض جوانب تاريخ اليهود والكثير من طبعهم فى الماضى على نزوله وزمن نزوله . وما تهود متهود إلا ودان بما يدين به آباؤه من اليهود أو تأثر بهم . وبخاصة أن تعاليمهم فى أكثرها دينية

وراثية . وفي الأثر " طبائع السفهاء تعدى " وقد بين القرآن جوانب السلب في الفكر والاعتقاد اليهودى فى جوانب عدة منها :

أولاً : علاقتهم بالله :

تنقل بنو إسرائيل فى سكناهم بين مصر (الوثنية) وفلسطين (الوثنية) وخضعوا لحكم الدولة الرومانية (الوثنية) فكان لذلك كله أثره فى تصورهم للإله المعبود فضلاً عن عوج طبعهم . ومع أن موسى – عليه السلام – قد دعاهم إلى الإيمان بالله الواحد بمثل ما دعا محمد ﷺ إلا أن اليهود المعاصرين لموسى – عليه السلام – والمعاصرين لمحمد ﷺ كذلك كان لهم تصور جول الألوهية ذكره القرآن ولعنهم – بسببه – الله سبحانه على لسان موسى ورماهم بالجهل زمن محمد ﷺ لمثل تلك المواقف .

ومما ذكره القرآن :

أ– طلبهم من موسى أن يريهم الله جهرة حتى يسلموا له بالنبوة والرسالة : قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(١) وقد طلب اليهود المعاصرون للرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء حتى يؤمنوا فحزن الرسول ﷺ لذلك المطلب فنزل وحى بقول الحق ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ . .﴾(٢) .

ب– طلبهم من موسى إلهاً محسوساً ملموساً يعبدوه كما يعبد الوثنيون أصنامهم . فأبى موسى قبول طلبهم وبين أنها عبادة مهلكة من يتبعها قال تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ

---

(١) سورة البقرة(٥٥) .

(٢) سورة النساء(١٥٣) جامع البيان عن تأويل القرآن ٦/٧ وابن كثير ١/٥٧٢.

أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ۞ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [١] .

وقد أتى اليهود إلى الرسول ﷺ قائلين له : يا محمد صف لنا ربك ما طوله ما عرضه .. الخ ، فنزل القرآن بقول الله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [٢] .

ح-اتخاذهم عجلاً – مصنوعاً من ذهب – إلهاً يعبد من دون الله حين ذهب موسى لمناجاة ربه وقد فتنوا به غاية الفتنة . قال تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [٣] ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ [٤] ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ [٥] .

وقد فصلت سورة طه أحداث تصوير ذلك العجل على يد السامري ونهاية السامري والعجل الذى عبد من دون الله (طه٨٥ :٩٧)

وقد كانت الردة سبباً من أسباب ذلتهم ومهانتهم كما ورد في القرآن ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾ [٦] وقد بين القرآن براءة موسى وهارون من صنيعهم ونكرانه ذلك عليهم ، قال تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم

(١) سورة الأعراف(١٣٨ :١٣٩).

(٢) سورة الزمر(٦٧) وانظر جامع البيان ٢٥/٢٢ –٢٨ وابن كثير ٦٢/٤ –٦٣.

(٣) سورة البقرة(٥١).

(٤) سورة البقرة (٩٢).

(٥) سورة الأعراف(١٤٨).

(٦) سورة الأعراف(١٥٢).

﴿أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(1) .

وقد وقع اليهود المعاصرون للرسول ﷺ في نفس الخطأ حين أعلنوا أن الوثنية خير من دين محمد بعد سؤال قريش لهم عن ذلك . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾(2)

د- وصفوا الله بالبخل خوف الفقر فردّ الله عليهم وصفهم وأبطل زعمهم . ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ..﴾(3) .

هـ- أشار القرآن إلى دعواهم : إن الله قد تعب بعد خلقه للسموات والأرض فاستراح قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(4) .

وبهذا يظهر التصور المادى لإله اليهود - كما يدعون - وقد بين القرآن هذا التصور للرسول ﷺ حتى يكون على بينة من أمر الألوهية عندهم ليتأتى الجدل ويتمكن من الإفحام فضلاً عن كشف النقاب وإلقاء الضوء على مقابلة اليهود الحسنة بالسيئة حيث فتح الله لهم باب التوبة بعد عبادتهم العجل فمنهم من تاب ومنهم من أبى عناداً وجحوداً .

ثانياً : علاقتهم بالملائكة :

صرح القرآن بعداوة اليهود للملائكة - عامة - وعندما علموا بجبريل عليه السلام قالوا ذلك عدونا منهم خاصة ، فكانت قولتهم تلك من أسباب نزول قول الحق سبحانه : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ

---

(1) سورة البقرة (٥٤).

(2) سورة النساء (٥١).

(3) سورة المائدة (٦٤).

(4) سورة ق (٣٨).

مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (١)

ثالثاً : علاقتهم بالكتب :

صرح القرآن بأن اليهود قد حرفوا وحى الله إليهم وتصرفوا فيه وأنهم لم يرعوا حرمة لكلامه دفعهم إلى ذلك الحرص المادى لدى الكهنة ورجال الدين وجهل العامة بالوحي عند اليهود . نقرأ من تلك النصوص :

* ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ۞ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢).

* ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

* ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ .. ﴾ (٤).

* ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة(٩٧ :٩٨).

(٢) سورة البقرة(٧٥ :٧٦) ، سورة البقرة(٧٨ :٧٩) .

(٣) سورة آل عمران(٧٨).

(٤) سورة النساء(٤٦).

(٥) سورة المائدة(١٣).

* ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ..﴾(١)

وقد ذكر القرآن الكريم أن القوم كانوا لا يعيرون نشر التوراة اهتماماً . قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٢)

كما صرح القرآن بأن القوم لم ينتفعوا بالتوراة وما حظهم منها إلا كحظ الحمار من الأسفار فوق ظهره قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٣)

وبهذا أضاع اليهود ثروة مباركة من ثروات الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ..﴾(٤) ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ..﴾(٥)

وجملة النصوص السابقة أن تحريفاً قد وقع في التوراة لا أنها قد حرفت بالكلية . ولذلك أمر الله النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن بعض الأحكام لا على سبيل الابتداء ، بل على سبيل الإلزام لهم بأن ما ورد في الكتاب (القرآن) من أحكام وحدود له بقية عندهم أو انه من باب التحدى لهم والتعجيز لليهود في ذلك الوقت ، ولا تعني الآيات التسليم بعدم

---

(١) سورة المائدة(٤١).

(٢) سورة آل عمران(١٨٧).

(٣) سورة الجمعة(٥).

(٤) سورة المائدة(٤٤).

(٥) سورة آل عمران(٤،٣،٢).

التحريف كما يدعى ذلك أهل الكتاب والمستشرقون فى إطار الشبهات المثارة فى وجه الإسلام .

رابعاً : علاقتهم بالرسل عامة ، وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام خاصة :

صرح القرآن بعداوة بنى إسرائيل للأنبياء والمرسلين عبر تاريخهم . وقد بدت تلك العداوة من رؤساء أسباطهم (أبناء يعقوب) ليوسف – عليه السلام – قبل نبوته – واتهامهم لأبيهم بالضلال: ﴿ .. إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١)

ثم تتابع الإيذاء من بنى إسرائيل لأنبيائهم قبل موسى ومن اليهود لموسى ومَنْ بعده من الأنبياء وقد ذكر القرآن ذلك ليبين خطورتهم وعداوتهم وتحذيراً للرسول منهم قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(٢)

* ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾(٣)

* ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤)

* ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾(٥)

---

(١) سورة يوسف(٨).

(٢) سورة البقرة(٨٧).

(٣) سورة المائدة(٧٠).

(٤) سورة النساء(١٥٥).

(٥) سورة آل عمران(١١٢).

وبذلك سجل عليهم القرآن عداوتهم للأنبياء والمرسلين ، حتى وصل الإيذاء منهم للأنبياء إلى حد القتل كيحيى وزكريا ومحاولة ذلك مع عيسى عليه السلام ..

كما صرح القرآن بأن اليهود قد آذوا موسى غاية الإيذاء ، حتى نهى الله المسلمين أن يقفوا مع الرسول نفس الموقف . قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[1]

وقد وردت روايات في الصحيح من السنة وآثار في كتب التفسير تبين صور الإيذاء لموسى – عليه السلام – رأيت الإعراض عنها ليبقى مطلق الإيذاء لا صورة من صوره[2] .

وقد صرح القرآن ببعض صور الإيذاء النفسي لموسى – عليه السلام – من قبل اليهود قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[3]

وأما عن موقف اليهود من عيسى – عليه السلام :- فقد صرح القرآن باتهامهم لمريم – عليها السلام – ورفضهم الإيمان به ووصف دعوته بالسحر المبين مع حرصهم على قتله دون أن يمكنهم الله من ذلك . قال تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ . . ﴾[4]

---

(١) سورة الأحزاب(٦٩).

(٢) راجـع البخارى ١٥٢/٦ ط الشعب وابن الجوزى فى تفسيره ٤٢٥/٦، ٤٢٦ وابن كثير ٥٢٠/٣.

(٣) سورة الأعراف(١٢٨ :١٢٩).

(٤) سورة النساء(١٥٦ :١٥٧).

ولما وصفهم دعوته بالسحر ففى قول الحق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١) .

وكان هذا القول خاصاً بالكفرة منهم كما ورد فى قول الحق ﴿... وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٢)

ولما موقف اليهود من محمد ﷺ فقد وردت فيه آيات عدة ليس بالإمكان ذكر أسباب نزولها الآن : ولا يهمنا إلا إلقاء الضوء على ذلك فى صورة مواقف عدة منها :

أ- جحودهم العلم به بعد أن أذاعوه قبل البعثة بين أهل المدينة حتى كان ذلك سبباً من أسباب إيمان الأنصار (٣) كما ورد فى سورة البقرة آية(٨٩) وقد عاب الله صنيعهم ذلك وبين أن معرفتهم بأمر الرسول لا يعتريها شك بمثل معرفتهم أبناءهم كما ورد فى البقرة(١٤٦) والأنعام(٢٠) .

ب- ادعاؤهم عدم الوحى إلى محمد ﷺ وقد خانهم التعبير فادعوا عدم نزول الوحى على البشر فأبطل الله ذلك . قال تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ...﴾ (٤)

ح- كراهيتهم الشديدة للرسول ﷺ قال تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾ (٥)

---

(١) سورة الصف(٦).

(٢) سورة المائدة(١١٠).

(٣) راجع : السيرة لابن هشام ٢/٧٠ ، ٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ٢/١٧٦، ١٧٧.

(٤) سورة الأنعام(٩١).

(٥) سورة البقرة(١٢٠).

د- تعنتهم في المطالب الحسية ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ...﴾(١) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢)

هـ- كانوا يستعملون من الألفاظ ما يخدم توجههم الخبيث مثل كلمة (راعنا) حيث ينطقونها منونة (راعناً) للقدح في شخص الرسول فنزل القرآن يأمر بعدم استخدام تلك اللفظة ليغلق على اليهود ذلك الباب . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ..﴾(٣) كما كانوا يحيونه بقولهم له (السام عليك يا محمد) ويمثل ذلك كان المنافقون يقولون . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٤) .

ويضاف إلى ما سبق حرصهم على نقض العهد ومحاولة قتله مرات متعددة وقدحه وصرف الناس عنه والتشكيك في أمر النبوة والرسالة بغية صرف المسلمين عن إسلامهم ...

خامساً : اليوم الآخر :

ألقت نصوص القرآن الضوء على بعض ما يعتقده اليهود تجاه اليوم الآخر ومنها :

---

(١) سورة النساء(١٥٣).

(٢) سورة آل عمران(١٨٣) وراجع زاد المسير في علم التفسير ٥١٦/١ والطبري ١٣١/٤.

(٣) سورة البقرة(١٠٤) وراجع جامع البيان ٣٥٥/١ ، وزاد المسير ١٢٦/١ ، وابن كثير ١٤٨/١.

(٤) سورة المجادلة(٨) وراجع جامع البيان ١١/٢٨ ، وزاد المسير ٨/٨ ، وابن كثير ٣٢٣/٤.

أ- دعواهم أن الجنة لن يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً فأبطل الله ذلك ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1)

ب- دعواهم أن العصاة منهم لن يعذبوا إلا أياماً معدودات فصل القول فيها المفسرون (2) فأبطل القرآن ذلك ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (3) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (4)

ج- وقد صرح القرآن بكراهيتهم للموت وخوفهم لقاء الله لسوء صنيعهم حتى تحداهم الرسول بذلك ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (5)

وفى سورة الجمعة ورد ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (6)

وبهذا تتضح صورة العقيدة عند اليهود كما أخبر عنها الحكيم العليم .

---

(1) سورة البقرة(111) وراجع جامع البيان 1/392 ، وزاد المسير 1/133.

(2) غرائب القرآن بهامش الطبرى 1/319 والطبرى /2 302- 304وزاد المسير 1/107.

(3) سورة البقرة(80).

(4) سورة آل عمران(23: 24).

(5) سورة البقرة(94 :95).

(6) سورة الجمعة(6 :7).

أضواء على الشريعة عند اليهود فى ضوء القرآن الكريم :

ليس بالإمكان بيان الصورة المتعلقة بالشريعة عند اليهود كما يصورها القرآن – بالتفصيل – فى هذه العجالة والذى يهمنا هو إلقاء الضوء على الشريعة بصورة عامة وبعض ما شرعه اليهود لأنفسهم بصورة خاصة وذلك على النحو التالى :

أولاً : أضواء على الشريعة بصورة عامة :

صريح نص القرآن أن الشرائع فى أصولها واحدة دون ذكر الكم أو الكيف فيه قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ .. ﴾(١)

وقد أشارت آيات القرآن إلى أن الله تعبد موسى وأنبياء بنى إسرائيل بالصلاة . البقرة ٤٣ وآل عمران ٣٩ ، والنساء ١٦٢ والمائدة ١٢، يونس ١١٢ ، البينة ٥ والصوم : البقرة ﴿ .. كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) والزكاة : البقرة ٤٣ . النساء ١٦٢ والمائدة ١٢ ومريم ٣١ والأنبياء ٧٣ والبينة ٥ .

كما أشار القرآن إلى بعض الحدود التى ألزم بها بنى إسرائيل ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٢)

كما صرح القرآن بأن تحريم ما أحله الله كان وسيلة من وسائل العقوبة والتأديب لليهود بسبب عصيانهم وتمردهم وكفرهم بالنعم ومقابلة الإحسان الإلهى بالإساءة قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

(١) سورة الشورى(١٣).

(٢) سورة المائدة(٤٥).

طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ۝ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ (١)

وقد بين القرآن صوراً مما حرم عليهم تأديباً ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ (٢)

ثم أبطل القرآن دعواهم حل بعض الأشياء أو تحريمها لسبب غير شرعي قال تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ (٣)

ثانياً : المعاملات عند اليهود :

صرح القرآن بأن اليهود لا يرون حرمة فى استباحة مال الغير وأكله بطرق غير مشروعة والتى منها :

أ- منعهم الناس حقوقهم المشروعة وفى ذلك نزل قول الحق ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ (٤)

۝ والأميون فى نظر اليهود من لم تأتهم شريعة وأخصهم بالذكر العرب . وقد ادعوا ذلك منسوباً إلى الله فأبطل ذلك وذكر أنه كذب وأنهم يعلمون أنه كذب .

ب- ذكر القرآن أن الله حرم عليهم الربا فلم يلتزموا بل ظلوا متعاملين به رغم النهى فحرم الله عليهم بعض ما أحل بسوء صنيعهم هذا

---

(١) سورة النساء (١٦٠ : ١٦١).

(٢) سورة الأنعام (١٤٦).

(٣) سورة آل عمران(٩٣) وراجع جامع البيان ٤/٢ ، وزاد المسير ٤٢٢/١ ، وابن كثير ١٣٨/١.

(٤) سورة آل عمران (٧٥) وراجع جامع البيان ٢٢٦/٣ ، وزاد المسير ٤٠٨/١.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

ج- يأكلون أموال الناس بالباطل ولا يستجيبون لداعي الخير . وقيل إن علماءهم شاركوهم ذلك السلوك قال تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2] وقد ورد في سورة التوبة ما يؤكد الرأي الثاني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . .﴾[3]

مَن أخلاقَ اليهودَ كما ورد بالقرآن :

لقد صرح القرآن بما تعجز عنه الخلائق في وصف اليهود من الداخل بإعتباره كلام من يعلم السر وأخفى ويمكن إلقاء الضوء على طباعهم وأخلاقهم فيما يلي :

١- قساة القلوب ليس للرحمة إليها سبيل . قال تعالى : في حقهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ..﴾[4] وكانت تلك القسوة بسبب نقض الميثاق مع الله وكفرهم بالنعم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . .﴾[5]

٢- جبناء يخشون الموت ولا يقاتلون إلا مكرهين حرصاً على الحياة لا رغبة في السلام ، قال تعالى : واصفاً جبنهم زمن موسى حين

---

(١) سورة النساء(١٦٠ : ١٦١).

(٢) سورة المائدة(٦٢ : ٦٣).

(٣) سورة التوبة(٣٤).

(٤) سورة البقرة(٧٤).

(٥) سورة المائدة(١٣).

أمرهم بدخول الأرض المقدسة ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (١)

وبعد موسى عليه السلام – ورد ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢)

وفي زمن الرسول ﷺ وصفهم الله بقوله : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ (٣) ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ (٤)

﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ (٥)

٣- أهل حقد وحسد على المسلمين بخاصة. قال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ

---

(١) سورة المائدة (٢١ :٢٤).

(٢) سورة البقرة (٢٤٦) وراجع جامع البيان ٢/٣٧٣-٤٠٣ ، وزاد المسير ١/٢٩١ .

(٣) سورة آل عمران(١١١). وراجع جامع البيان ٤/٣١ :٣٢ ، زاد المسير ١/٤٤٠ .

(٤) سورة الحشر(٢) .

(٥) سورة الحشر(١٣ :١٤) .

أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١) ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢) ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٣) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾(٤) ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا . . . ﴾(٥)

وقد حرص اليهود على صرف ضعاف المسلمين عن الإسلام وإيقاد نار العداوة بين الأنصار كما أشاعوا الشكوك في وجه الدعوة للصد عنها. قال تعالى : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(٦)

٤- أهل كبر وعنصرية . وقد تردد ذلك على ألسنتهم كثيراً زمن التنزيل سراً ففضحهم الله علناً سواء في دعواهم البنوة لله أم في زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة أم في ثنائهم على أنفسهم بما لا يتوفر فيها أم في إعراضهم عن الاستجابة لحكم الرسول كبراً ، يصور ذلك الآيات التالية :

---

(١) سورة البقرة(١٠٩). وراجع جامع البيان ٣٨٨/١-٣٩٤ ، وزاد المسير :١٠٩/١.

(٢) سورة البقرة(١٠٥).

(٣) سورة آل عمران(١٢٠).

(٤) سورة النساء(٥٤).

(٥) سورة المائدة(٨٢).

(٦) سورة آل عمران(٦٩). وانظر جامع البيان ٢١٩/٣ ، زاد المسير :٤٠٤/١.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ .. ﴾ (١)

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٣)

وفي إعراضهم عن حكم الرسول ورفضهم إياه ورد : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٤)

٥- المعايير عندهم مادية : فقد أبى بنو إسرائيل قبول طالوت ملكاً عليهم لا لعلة قائمة به إلا الفقر فرد عليهم نبيهم : إن الأهلية للملك ليست فى المال بل فى العلم والسلامة من العلل التى تحول دون الملك. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

---

(١) سورة المائدة (١٨).راجع جامع البيان ١٠٦/٦: ١٠٧ ، وزاد المسير ٣١٨/٢ .

(٢) سورة البقرة (٨٠).راجع جامع البيان :٣٠٢/١ ، وزاد المسير ٣٠٧/١ .

(٣) سورة النساء (٤٩ :٥٠).راجع جامع البيان : ٨١/٥ ، وزاد المسير ١٠٤/٢ ، وابن كثير ٥١١/١ .

(٤) سورة آل عمران (٢٣ :٢٤).راجع جامع البيان :٣ :١٤٥ ، وزاد المسير : ١/ ٣٦٦ ، ابن كثير ٣٥٥/١ .

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

وقد دعاهم ذلك إلى البخل وعدم الإنفاق حتى في زمن محمد ﷺ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٢)

٦- ينقضون العهود مع الله ومع الناس في زمن موسى وزمن محمد - عليهما السلام: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٤)

وعندما أخذ عليهم العهد والميثاق على الإيمان بالله وتوحيده لم يستجيبوا لذلك بل قالوا مقولة رفض ونقض للعهد ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

كما أنهم لم يرعوا إلى ما أوحي إليهم به حرمة ولا كرامة فاستحقوا اللعنة بصنيعهم هذا ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

---

(١) سورة البقرة(٢٤٦ :٢٤٧).

(٢) سورة آل عمران(١٨٠ :١٨١).

(٣) سورة البقرة(٦٣ :٦٤).

(٤) سورة البقرة(٨٣).

(٥) سورة البقرة(٩٣).

قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ (١) .

وفى زمن الرسول ﷺ كرروا ذلك معه ونقضوا العهد الذى بينهم وبينه دون إعلان مسبق بل بما تكنه صدورهم. قال تعالى: ﴿ أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ (٢)

﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ۝ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ۝ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾ (٣) .

٧- أهل عناد وجدل : وقد ورد ذلك فى مواطن عدة سواء فى حوارهم مع موسى – عليه السلام – أم مع غيره من أنبياء بنى إسرائيل وكذلك فى زمن الرسول ﷺ نذكر من تلك المواطن :

أ- جدلهم مع موسى- عليه السلام – حين أمرهم بذبح البقرة كما تصوره الآيات الكريمة فى سورة البقرة .

ب- جدلهم مع الرسول ﷺ فى نبوة إبراهيم عليه السلام وفى دعوته ، وقد ردّ القرآن عليهم ذلك ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٤)

وقد غاب عن ذهنهم أن إبراهيم أسبق فى الزمن من موسى وعيسى – عليهما السلام – ، فلما حاجوا الرسول فى ذلك نزل القرآن ﴿ يا أهل

---

(١) سورة المائدة (١٣).

(٢) سورة البقرة(١٠٠).وراجع جامع البيان ٣٥١/١ ، ٣٥٢ ، وزاد المسير ١٢٠/١ .

(٣) سورة الأنفال(٥٥، ٥٦، ٥٧).راجع جامع البيان ١٨/١٠: ١٩ ، زاد المسير ٣٧١/٣: ٣٧٢.

(٤) سورة البقرة(١٤٠).وراجع جامع البيان ٤٤٦/١، وزاد المسير ١٥٠/١: ، وابن كثير ١٨٨/١ .

الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ۝ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)

٨- لا يستجيبون لدعوة الحق بل ينافقون سواء في هذا المعاصرون لموسى أم لمحمد – عليهما السلام – فعندما أكرههم الله على قبول دعوة موسى – عليه السلام – معلنين ذلك لم يستجيبوا من قلوبهم وإن تظاهروا بذلك . قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (٢) وعندما أمروا بدخول إحدى القرى معلنين توبتهم سائلين ربهم المغفرة بدلوا ما طلب منهم إلى مطالب مادية كما ورد في قول الحق ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ۝ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ (٣)

وفي زمن الرسول ﷺ تكرر ذلك فلقد كانوا يظهرون الإسلام يبطنون الكفر ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ۝ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ (٤) .

ومع أن الإسلام هو الصورة الأصلية لدعوة موسى عليه السلام قبل تحريفها وما بقي في أيدي اليهود هو بقية مما ترك آل موسى وآل هارون

---

(١) سورة آل عمران(٦٥ :٦٦). وراجع جامع البيان ٢١٥/٢ ، زاد المسير :٤٠٢/١ وابن كثير :٣٧٢/١ .

(٢) سورة البقرة(٩٣).

(٣) سورة البقرة(٥٨ :٥٩).

(٤) سورة البقرة(٧٦، ٧٧). وراجع جامع البيان ٢٩٢/١ وزاد المسير :١٠٤/١ .

إلا أن القوم أبوا قبول الدعوة على وجهها كفراً وحسداً ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ . .﴾ (١)

وقد ذكر القرآن صفات أخرى تقوم بالقوم والتى لا تخرج فى جملتها عما سبق بيانه .

استثناء من القاعدة :

إن الإنصاف ضرب من ضروب العدل ومظهر من مظاهره ولذلك فإن تعميم الأحكام السابقة على بنى إسرائيل واليهود أمر لا يتأتى وبخاصة أن من بنى إسرائيل أنبياء ورسلاً صالحين .

ولما كان القرآن كلمة الله الأخيرة إلى البشرية وقد دمغ بنى إسرائيل بما سبق فإنه استثنى منهم قلة قليلة وصفت بصفات الحمد والثناء سواء فى ذلك من كان قبل النبوة المحمدية أم معها . نذكر من تلك الآيات ما يلى :

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٢)

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٣)

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٤)

وفى زمن الرسول ﷺ كان لبعضهم مواقف خلدها القرآن إلى يوم القيامة دون ذكر أسمائهم ليفتح باب التعميم لمن شاء . وقد ذكر المفسرون وكتاب السيرة أسماء هؤلاء الأشخاص . نذكر من ذلك قول

---

(١) سورة البقرة (٩١). وراجع جامع البيان ١: ٣٣١ ، وزاد المسير :١/ ١١٤.

(٢) سورة الأعراف (١٥٩).

(٣) سورة السجدة (٢٤).

(٤) سورة الأعراف (١٦٥).

الحق سبحانه : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

وقد نزلت تلك الآية فى حق اليهود حين سألهم الرسول ﷺ عن منزلة عبدالله بن سلام فيهم فقالوا خيرنا وابن خيرنا .. الخ فخرج إليهم من بيت الرسول ﷺ قائلاً لهم : آمنوا به فوالله أنه النبى المنتظر فقالوا شرنا وابن شرنا (٢) ... الخ .

كما استثنى الحق سبحانه بعض اليهود لإيمانهم بالرسول ﷺ فى قوله ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣)

وفى سياق الحديث عن بنى إسرائيل فى سورة القصص ورد ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۞ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا .. ﴾ (٤)

ونلخص مما سبق بيانه إلى ما يلى :

لقد ألقت نصوص القرآن الضوء على طبيعة اليهود ، كما بينت موقفهم من الدعوة الإسلامية سواء بالصد عنها (آل عمران :٩٦) أم بالوقيعة بين المسلمين (آل عمران: ١٠٠) أم بالتشكيك فيها (آل عمران : ٧٠ :٧٣) أم بدعواهم المسلمين إلى التهود (البقرة١٣٥) مع زعمهم أن الجنة لن يدخلها إلا من كان يهودياً (البقرة : ١١١) أم بإصرارهم على

---

(١) سورة الأحقاف(١٠).

(٢) راجع جامع البيان ٦/٢٦ – ٩ زاد المسير ٣٧٣/٧ روح المعانى ١٢/٢٦ -١٤.

(٣) سـورة النساء(١٦٢). راجع جامع البيان ١٨/٦ ، وزاد المسير ٢٥١/٢ ، وروح المعانى ١٤/٦ .

(٤) سورة القصص(٥٢: ٥٤).وراجع جامع البيان ٥٧/٢٠ ، وزاد المسير ٦/ ٢٢٩ : ٢٣٥ ، وروح المعانى٩٤/٢٠ .

الكفر (البقرة : ١٤٥) ولذلك حذر الله المسلمين من اليهود ونبههم إلى عدم موالاتهم لإضمارهم العداء للإسلام والمسلمين . ولا يتأتى قصر الآيات على زمن النزول فآيات القرآن كأنما تنزل كلما تليت ، وخطابها لمستمعيها وقت السماع فى أى زمان ومكان .

وما سبق بيانه من جوانب السلب والإيجاب فى حق اليهود هو القائم الآن بهم ، وعلى عامة المسلمين وخاصتهم أن يستجيبوا لتلك النداءات القرآنية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١)

وقد تبين الإسلام أن الولاء القلبى بين اليهود وبعض المسلمين إنما هو دليل النفاق إذا كان اليهود مناصبين المسلمين العداء فإن لم يناصبوهم فلا ضير من معاملتهم وفق قواعد معاملة أهل الكتاب فى الإسلام :

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣)

ولا يتأتى شيء من ذلك على وجه الإطلاق إلا لضرورة سياسية تفرضها الظروف وتقدر بقدرها .

---

(١) سورة آل عمران(١١٨ : ١١٩).

(٢) سورة المائدة(٥٢).

(٣) سورة المائدة(٥٧).

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١)

فهل بعد هذا البيان يمكن القول : إن اليهود دعاة سلام ، وهل عرفوا السلام يوماً ما ؟

الصهيونية جذورها وأخطارها

ليس عداء اليهود للإسلام والمسلمين قاصراً على زمن النبوة ، بل إن هذا العداء استمر عبر الزمن ، وإن تفاوتت صوره للضعف العام الذى أصاب اليهود من ناحية ولا جلائهم زمن عمر بن الخطاب من جزيرة العرب من ناحية ثانية ، وقد تظاهر بعضهم بالإسلام ليحقق ما يريد من خلال دعواه الإسلام ، ومن أبلغ الأدلة على ذلك ما ذكره كثير من المؤرخين أن كعب الأحبار – كان يهودياً ثم أسلم – كان له دوره فى مقتل عمر بن الخطاب (٢) وقد ردَّ بعض العلماء هذه الدعوى (٣) . والذى لا خلاف عليه بين المسلمين أن عبد الله بن سبأ – كان يهودياً تظاهر بالإسلام – وهو المصدر الأول للفتنة الكبرى فى صدر الإسلام بتحركه فى بلدان عدة حتى ألب الأمصار ضد عثمان رضى الله عنه – حتى قُتِل الخليفة . كما ادعى رجعة محمد ﷺ . ثم لعب بفكره فى زمن على بعد وفاته حيث ادعى ألوهيته وتشيع لتلك الفكرة كثيرون . وما زال لتلك الفكرة بعض الآثار السلبية لدى قلة من أصحاب هذا الملعون (٤) .

---

(١) سورة آل عمران(٢٨).

(٢) راجع الطبقات الكبرى ٣٣٢/٣ ، تاريخ الطبرى ١٩١/٤-١٩٣ وابن الأثير ٥١/٣.

(٣) د/محمد حسين الذهبى – الإسرائيليات فى تفسير القرآن ، وراجع تهذيب التهذيب ٤٣٨/٨-٤٤٠.

(٤) الفرق بين الفرق ، عبدالقاهر البغدادى ٢٢٣-٢٢٦ والملل والنحل بهامش الفصل ١١/٢.

وفى زمن الأمويين والعباسيين تظاهر بعض اليهود بالإسلام وتولّوا بعض المناصب الإدارية فى بلاط الأمراء وحاكوا الفتن والدسائس سواء فى ذلك من وجد منهم ببلاد الشام أم الأندلس أم مصر أم بجنوب الجزيرة أم شمال أفريقيا [1] . وقد ظهرت آثار لهؤلاء المتسلمين فى بعض بلدان العالم الإسلامى بصورة فردية حيناً وفى صورة جماعات وجمعيات أحياناً أخرى [2] .

وأما من بقى على يهوديته أو تهود بعد ، فرغم الشتات الذى أصابهم من كثرة الضربات التى لحقتهم أينما نزلوا فى أى بلد من بلدان العالم ، إلا أنهم لم ينسوا للحظة أن يكون لهم وطن فى أرض فلسطين نظراً لوعود عدة وردت فى الكتاب المقدس تصرح بذلك ، وحيث إن إمكانية التلاقى كانت متعذرة لتفرقهم فى معظم بلاد العالم فإنهم قد أسسوا جماعات وجمعيات بهدف توحيد الكلمة ورسم السبل لتحقيق الأمنية وقد بلغت تلك الجمعيات حداً فى الكثرة [3] وكان لها نشاط بالغ الأهمية حتى استطاعت إقناع معظم اليهود فى العالم (من كان من بنى إسرائيل دماً وهم غاية فى القلة ومن تهود) بأمرين :

أحدهما : إقامة دولة لليهود فى فلسطين وبعض المناطق المجاورة لها بمضى الزمن الجولان من سوريا وشرق الأردن والنصف الجنوبى من

---

(1) راجــع : خطــر الــيهودية العالمية على المسيحية والإسلام ٣٢٢-٣٧١ والأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ١٠٧/٧٤.

(2) راجــع :الفرق بين الفرق للبغدادى وبخاصة الباطنية ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٢ ،٣ .

(3) راجــع ما كتب عن الماسونية العالمية – الصهيونية اليهودية – أندية الروتارى والليونــيز ، يهود الدونمة – جمعية شهود يهود ، بناى برث – اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية .. وغير ذلك فى المكتبات العربية .

لبنان وشبة جزيرة سيناء المصرية والأطراف الشمالية من السعودية [١] بل إن أحد الصهاينة يجعل فلسطين نقطة بدء لتلك الدولة غير محددة العالم الجغرافية بعد ذلك [٢] .

ثانيهما : سيطرة اليهود على العالم بأسره بعد أن تتحقق لهم المملكة التى يحلمون بها ليكون لهم السيادة على أناس ما خلقوا إلا لخدمة اليهود بحسب ما ورد فى التلمود وما تصوره البروتوكولات ومن أجل هاتين الغايتين لم يضيع اليهود دقيقة واحدة بلا عمل ، ولا فرصة بلا اغتنام ، ولا فتنة بلا بعث وإيقاد من أجل مصلحتهم ، كما أنهم تملقوا الحكام واشتروا مرضى النفوس وأتوا إلى كثيرين من باب الغرائز والشهوات وبخاصة المسئولين وذوى الأملاك وصناع القرار فى معظم بلاد العالم : ومن أخطر تلك الجماعات والجمعيات (الصهيونية العالمية) والتى تشكل خطراً داهماً على العالم عامة والمسلمين خاصة ويمكن قراءة الكتب المذكورة[٣] لمعرفة الخطر الذى يتهدد العالم الإسلامى من جراء الوجود اليهودى فى ديار الإسلام وبخاصة فلسطين .



---

(١) أنظر الخريطة على غلاف كتاب • الماسونية ، عقد المولد وعار النهاية ، وراجع سفر العدد ١/٣٤ -١٢.

(٢) حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية ٥٤.

(٣) حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية ، الصهيونية والنازية . دراسة مقارنة ، خطـر الـيهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، الماسونية عقدة المولد وعـار النهاية ، بروتوكولات حكماء صهيون ، الصهوينة غير اليهودية ، أمريكا مستعمرة صهيونية ، الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام .

﴿ المسيحية ﴾

أولاً - التعريف بالمسيح والحواريين فى ضوء العهد الجديد

المسيح والأناجيل :

يصرح العهد الجديد بأن فتاة عذراء تسمى مريم كانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف النجار وجدها في يوم حبلى - دون أن يمسها - وإذا بالملاك قد ظهر له فى حلم مخبراً إياه بأن المحمول به من الروح القدس[1] كما أمره أن يأخذ الصبى وأمه ويهرب إلى مصر بعد الميلاد لأن هيرودس ملك اليهود سيقتله إن ظفر به [2] ، وقد هاجر يوسف بمريم وابنها إلى مصر فترة من الزمن حتى مات هيرودس فأوحى إليه بالعودة[3] وبينما هم في طريق العودة وجدوا عرساً فى قانا الجليل فأتوا إليه وقد نفذت الخمر في العرس ، فأمر عيسى بملأ الجرار ماء ثم حولها إلى خمر كأول معجزة له لفتت الأنظار إليه [4] ... وعندما ذهب ليتعمد من يوحنا أبى ذلك ابتداء لطهر المسيح ، إلا أنه أمام إصرار المسيح عمّده[5] . وقد توجه المسيح إلى الكهنة ورجال الدين فى الهيكل يحاورهم بقوة حتى عجبوا من أمره [6] .

وقد اختار المسيح تلاميذاً له بلغ عددهم اثنى عشر تلميذا (هم الحواريون)[7] كما تبعه آخرون - هم غاية فى القلة .

وقد صرحت الأناجيل بأن المسيح كان يعتمد على خرق العادة فى الدعوة ، كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وشفاء نازفة الدم والمفلوج وإخراج الأرواح النجسة من البشر وشفاء المجانين وتسكين

---

(١) متى ١٨/١ - ٢٤ ، ولوقا ٣٥/١ .

(٢) متى ١/٢-١٣ .

(٣) متى ١٩/٢ ، ولوقا ٣٩/٢ .

(٤) يوحنا ١/٢ - ١٢ .

(٥) متى ١٣/٣ - ١٧ ، ومرقس ١٠/١ ، ولوقا ٢٢/٣ .

(٦) مرقس ٢٢/٢-٣٨ .

(٧) متى ٢/١٠-٤ ، مرقس ١٣/٣ -١٩ ، لوقا ١٢/٦-١٦ .

العواصف والمشي على الماء وإطعام آلاف الأفراد بقليل من الخبز والسمك مما أعان على استجابة قلة من البشر لدعوته [١].

كما اعتمد المسيح في دعوته على الحِكَم والأمثال والقصص والجدل ، وكان كثير التنقل بين ديار فلسطين ليس له دار تأويه ، أو جيش يعتمد عليه ، مما جعله يلقى الكثير من الإيذاء [٢].

ويدعى النصارى أن المسيح أرسل بعض تلاميذه ليبلغوا دعوته وأعطاهم قدرة وسلطاناً على فعل العجائب[٣] كما أنه كان مضرب المثل في التواضع حتى إنه كان يقوم على خدمتهم بنفسه [٤].

وفي جلسة ما وعظ المسيح تلاميذه وأخبرهم بنهايته السيئة (الموت على الصليب) وأن أحد التلاميذ هو الذى يُسلمه لذلك فأنكر الجميع ذلك إلا أن المسيح حدد أوصافه بل نص عليه [٥].

المسيح والرجعة :

كما يدعى النصارى أن المسيح أخبر تلاميذه بأنه سيرجع بعد موته قبل أن يموت بعض الحاضرين وقت حديثه معهم (... وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير) .(متى ٣٠/٢٤ ، ومرقس :١٣/ ٢٦)

"فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته "(متى ٢٨/١٦، ٢٧).

---

(١) راجع أثر القرآن فى الدراسات النقدية للكتاب المقدس حولية كلية الشريعة جامعة قطر العدد ٨ من ص ٦٩١ : إلى ص ٧٠٠ د/ بكر زكى .

(٢) راجع القتال مشروعية وآداباً فى الإسلام واليهودية والنصرانية حولية كلية الشريعة جامعة قطر العدد ٩ من ص ٢٧٨ – ص ٢٨٣ د/ بكر زكى .

(٣) متى ١٠/١ – ٨.

(٤) متى ٢٨/٢٠ ، لوقا ٢٧/٢٢ ، يوحنا ٤/١٣ .

(٥) متى ٢١/٢٦ –٢٥ ، ومرقس ١٨/١٤ – ٢١ ، لوقا ٢١/٢٢–٢٣ ، يوحنا ٢١/١٣ – ٣٥ .

كمــا حـــدد الرجعة لتلاميذه بقوله :" ... فإنى الحق أقول لكم لا تكمل مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان " (متى ٢٣/١٠).

وبعـــد فـــترة من الدعوة جلس المسيح ذات ليلة مع تلاميذه فأخذ كســرة من خبز وكسرها وفرقها عليهم وقال لهم هذا هو جسدى فافعلوا بـــه – إشارة إلى العشاء الربانى – كما صب من الكأس وشرب وسقى الحاضــرين [١]. وبينما هم جلوس أتى العسكر للقبض عليه بقيادة يهوذا – فـــى بعض الأناجيل – أو بدلالة يهوذا عليه فى أناجيل أخرى مقابل ثلاثين درهم من الفضة[٢] وبوصولهم إلى المجلس سألوا الحاضرين أين يسوع الناصرى فقام أحد الحاضرين وقال : أنا هو لأن القوم لم يكونوا يعــرفون المســيح فنظروا إلى يهوذا فأمسك عن الكلام[٣] . فأُخذَ ذلك الشخص إلى الحاكم الرومانى وألزموه بحمل الصليب على كتفه وكانوا يســتهزئون به فى الطريق[٤] حتى وصلوا به إلى الحاكم ، الذى لم يجد علة لقتله إلا الضغط اليهودى عليه ، وعندما أظهر خوفه من قتل برئ قال اليهود له (دمه علينا : ليصلب)[٥] فعلق على الصليب وهو يصرخ (إيلـــي إيلـــي . لما شبقتنى) ومعناها (إلهى إلهى لما أسلمتنى)، كما أن العطــش قــد اشتد به فاستسقى مِنْ أمامه فسقوه خلاً ممزوجاً بمرارة ، وقـــد أسلم المسيح – كما يزعمون – الروح فى تمام الساعة التاسعة من صـــباح يوم الجمعة ، وفى لحظة الصلب تشققت القبور وخرج الموتى

---

(١) متى ٢٦/٢٦-٣٠ ، ومرقس ٢٢/١٤ ولوقا ١٨/٢٢ .

(٢) متى ١/٢٦-٦ ، ومرقس ١/١٤-١١ ، ولوقا ١/٢٢-٦ .

(٣) اقــرأ القبض على المسيح فى متى ٤٧/٢٦-٥٦ ، مرقس ٤٣/١٤-٥٢ ، لوقا ٤٧/٢٢-٥٣، يوحنا٢/١٨-١٢ .

(٤) متى ٣٥/٢٧-٣٨ ،مرقس ٢٠/١٥-٢٣ ، لوقا ٢٦/٢٣-٣٣ ، يوحنا ١٩/ ١٦-٢٠ ، وكان العسكر يستهزئون به فألبسوه ثيابا قرمزياً ووضعوا على رأســه إكليلاً من الشوك وقبضته فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه .(متى ٢٧/٢٧-٣٠).

(٥) متى ١٥/٢٧ :٢٦ ، مرقس ٦/١٥-١٥ ، لوقا ١٣/٢٣-٢٥ ، ويوحنا ١٨/ ٣٩-٤٠ .

وبخاصـــة القديســـين الراقدين ودخلوا المدينة المقدسة فظهروا لكثيرين (متى ١/٢٧ – ٥٤).

وقـــد ظل المسيح على الصليب حتى المساء فأتى أحد تلاميذه – يوســف – وطلـــب من بيلاطس جسد المسيح فسلمه إياه فلفّه فى كتان ودفــنه . وقـــد أتى الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس وطلبوا منه ضبط القـــبر ، لأن المســـيح كان يزعم أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام فأذن لهم أن يضبطوه بما يرون . فاقترحوا إقامة حراس على القبر مع ختمه وقد تم لهم ذلك (١).

وقـــد لازمت بعض النساء قبر المسيح – كما لازمه الشرطة – وإذا بملاك يظهر لهن مخبراً إياهن أن المصلوب قد قام كما أمرهن أن يخـــبرن التلاميذ بذلك وبأن المسيح قد سبقهم إلى الجليل وعليهم التوجه إلى هناك ، وبينما هما فى الطريق رأتا المسيح (متى ٩/٢٨، ١٠) فسجدتا لـــه .. الخ ثم ذهبتا إلى التلاميذ فأخبرتاهم بأمر المسيح بقوله " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس ... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ". (متى ١٦/٢٨ – ٢٠).

وقـــد ارتفـــع المســـيح إلى السماء ليجلس عن يمين الرب وإلى جواره حتى يأتى يوم العودة (٢).

وهكـــذا تصـــوّر حـــياة المسيح فى العهد الجديد دون أن تذكر الأناجـــيل بشـــارة الملائكـــة لمـــريم ولا صفات المحمول به كما أغفل الكاتبون أمر النطق فى المهد بالعبودية والنبوة والبركة ... الخ .

الحواريون والأناجيل :

ليســـت إســـاءة الأناجـــيل قاصرة على شخص المسيح بل إنها لتصف الحواريين بأسوأ ما يكون الوصف بصورة فردية حيناً وبصورة جماعية أحياناً أخرى وذلك على النحو التالى :

---

(١) متى ٦٢/٢٧–٦٦ .

(٢) مـــرقس ١٩/١٦ – ٢٠ ، لوقـــا ٥٠/٢٤ –٥٢ ، وفى مصدر هذا الاعتقاد راجع : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦١ .

الصورة الفردية :

حيث عاب المسيح تلاميذه فى الأناجيل – كما يزعمون – وبخاصة :

١– بطرس :

ورد بحقه ما يلى :

أ – أنه كان يشك فى قدرة المسيح على خرق العادة كما ورد أن تلاميذ المسيح قد ركبوا سفينة وساروا بها فى عرض البحر (وفى الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر . فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال ومن الخوف صرخوا فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا أنا هو . لا تخافوا فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذا ابتدأ يغرق صرخ قائلا يارب نجنى ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككت)[١].

ب– لعن المسيح لبطرس (من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه إنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وفى اليوم الثالث يقوم . فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلا حاشاك يا رب لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس ")[٢].

ج– حكم المسيح على بطرس بالشك فيه (حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فىّ هذه الليلة ... فأجاب بطرس وقال له وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . قال له يسوع الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة

(١) متى ١٤/٢٥ – ٣٣ .
(٢) متى ١٦/٢١ – ٢٣ .

قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مرات قال له بطرس ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك . هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ "[1].

د – تكذيب بطرس له وتخليه عنه حين أخذ ليصلب (وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كلهم يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه . فلم يجدوا ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور ... أما بطرس – حين الصلب – فكان جالساً خارجاً فى الدار . فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى . فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين . ثم إذا خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى . فأنكر أيضاً بقسم إنى لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تظهرك . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أنى لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك)[2].

٢- يهوذا الأسخريوطي :

حكم المسيح عليه باللعنة والويل . والأناجيل مجمعة على أنه الذى دلّ اليهود على المسيح مقابل ثلاثين درهم من الفضة . تذكر من شأنه :

أ – دخول الشيطان فيه (فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الأسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع)[3].

---

(١) متى ٢٦/٣١ – ٣٤ ، مرقس ١٤/٢٧- ٣١ ، ولوقا ٢٢/٥٤ – . يوحنا ١٣/٣٦ -٣٩ .

(٢) متى ٢٦/٥٩ – ٧٥ بتصرف .

(٣) لوقا ٢٢/٣ – ٦ .

ب- تـم البيع بالاتفاق " حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذي يدعـى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة . وقال ماذا تريدون أن تعطونـي وأنـا أسلمه إليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه "(١).

ج- عِلْمُ المسيح بتدبيره "ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر . وفـيما هـم متكـئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى الآكل معي . فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا وآخـر هـل أنـا ، فأجاب وقال لهم . هو واحد من الاثنى عشر الذى يغمس معى فى الصحفة.. ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لَوْ لَمْ يولد "(٢).

د- تسـليم يهـوذا له (وفيما هو يتكلم إذ يهوذا واحد من الاثنى عشـر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشـيوخ الشـعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو أمسـكوه . فللوقـت تقدم إلى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله فقال له يسـوع ياصـاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا (٣).

الصورة الجماعية السيئة للحواريين :

صورتهم الأناجيل بأسوأ ما تكون عليه الصورة . ورد فى حقهم ما يلى :

١- وصـفهم بالـنفاق . ورد فى متى " تقدم إليه رجل جاثياً له وقـائلاً ياسيد ارحم ابنى فإنه يصرع ويتألم شديداً ويقع كثيراً فى النار وكثـيراً فى الماء وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه . فأجاب يسـوع وقال أيها الجيل غير المؤمن الملتوى إلى متى أكون معكم إلى مـتى أحـتملكم قدموه إلىّ ها هنا . فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشـفى الغلام من تلك الساعة ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد .

---

(١) متى ٢٦/١٤-١٦ .
(٢) مرقس ١٤/١٧-٢١ .
(٣) متى ٢٦/٤٧-٥٦ ولنظر مرقس :١٤/٤٣-٤٧ ، يوحنا ١٨/١-٩ .

وقـالوا لمـاذا لم نقدر نحن أن نخرجه . فقال لهم يسوع لعدم إيمانكم . فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم "(1).

٢- ارتـداد بعض التلاميذ عنه . فبينما كان المسيح يبين آداب الاتباع لرسالته وما ينبغي الإيمان به (من هذا الوقت رجع كثيرون من تلامـيذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثنى عشر ألعلكـم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا . فأجابه سمعان بطرس يارب إلى مـن نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسـيح ابـن الله الحي . أجابهم يسوع أليس أنى اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان . قال عن يهوذا سمعان الأسخريوطى لأن هذا كان مزمعاً أن يسلمه "(2).

٣- تخلـى تلامـيذ المسـيح عنه فى وقت الشدة فقد صرحت الأناجـيل أنـه حيـن القبض على المسيح (حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا)(3).

٤- شـك التلامـيذ فـيه بعد قيامته - إذا ما سلمنا جدلاً بصلبه ودفـنه - كمـا ورد فـى متى (١٦/٢٨-١٨) " وبعد ذلك ظهر بهيئة أخـرى لاثنيـن منهم وهما يمشيان منطلقين إلي البرية . وذهب هذان وأخـبرا الباقيـن فلم يصدقوا ولا هذين . أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام -)(4).

وبهـذا نـرى مـدى تشويه الأناجيل الأربعة لشخصية المسيح وشخصية الحواريين اللتين هما محل ثناء القرآن الكريم .



---

(١) متى ١٤/١٧-٢٠ .
(٢) يوحنا ٦٦/٦-٧١ .
(٣) مرقس ٤٣/١٤ -٤٧ ، ومتى ٤٧/٢٦ -٥٦ ، ويوحنا ١/١٨-٩ .
(٤) مرقس ١٢/١٦ -١٤ ، ولوقا ١٣/٢٤... الخ ، يوحنا ١٩/٢٠ .

ثانياً : المسيحية كما يراها المسيحيون (١)

لا يستطيع مسيحي واحد أن يجزم بأن المسيح ﷺ هو الذي أرسى دعائم العقيدة المسيحية أو أنه وضع قانون الإيمان وحدد أركان العقيدة التي يدين بها النصارى الآن. وما أثر عن المسيح أكثر من كونه داعياً إلى الإيمان بالله الخالق واليوم الآخر وبالتكاليف الشرعية وبخاصة الصلاة والصيام بآداب وضحها لهم ، كما ركز على الأخلاق في مواجهة الفساد الخلقي الذي ساد المجتمع زمن بعثته من قبل اليهود والفلسطينيين والرومانيين على قدم سواء .

وقد كان لغيبة المسيح المفاجئة أثرها على نفوس أتباعه . فذهبت أنفسهم فيه مذاهب شتى عقدت بعض المجامع للحد من تلك الخلافات بين النصارى وقد لاقى المسيحيون كل إيذاء يذكر بعد ملاقاة المسيح لربه حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي .

وفي هذه الفترة من الزمن اختلط اتباع المسيح بمن يجاورونهم من ناحية كما تفرقوا في بعض البلدان - على أثر الاضطهاد - من ناحية أخرى ، كما دان بالمسيحية بعض اليهود بهدف صرف تعاليم المسيح عما أريد بها إلى ما يريدون هم - كشاول (٢).

ولا يختلف المؤرخون على أن المجتمع البشري زمن بعثة المسيح كان يعرف تعدد الآلهة وتفاوت مظاهرها كما يعرف المعمودية

---

(١) كلمة مسيحية من الاصطلاحات التي صارت علماً بالغلبة على دعوة المسيح ﷺ دون أن يكون لها سند شرعي . نسبة إلى المسيح ﷺ . كما تطلق كلمة نصرانية على دعوة المسيح أيضا دون سند شرعي لتلك التسمية . ومرد الكلمة إلى قرية الناصرة التي خرج منها المسيح أو للمواقف الإيجابية التي وقفها الحواريون مع المسيح حين قال (من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) فسموا نصارى لنصرتهم له ، وسميت الدعوة بالنصرانية نسبة لهم .

(٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٢٤- ١٠٢ ، والمسيحية نشأتها وتطورها . كاملا.

والفداء للمخطئين من قبل آخرين . والإقرار بالذنب للكهنة حين القرابين (الاعتراف) (١)

ولما كانت تعاليم المسيح عليه السلام تلقي شفاهاً ولم تدون حال حياته . كما أنه خرج من الدنيا فجأة فضلاً عن عداء اليهود لرسالته فإن هذه العوامل قد فتحت باب الوضع في المسيحية حتى أصبحنا أمام ديانة هي حصيلة جهد بشري اعتقد كل فرد بما رآه حسناً وإن صادم ذلك رسالة المسيح عليه السلام (٢).

ويمكن إلقاء الضوء على المسيحية من ناحيتين :

الناحية الأولى : مصادر التشريع عند المسيحيين

جمهور المسيحيين على أن مصادر التشريع ثلاثة هي :

١- العهد القديم .

٢- العهد الجديد .

٣- المجامع .

والدليل على أن تلك هي المصادر ما يلي :

أولاً : العهد القديم (٣)

أي التعاليم التي يدعي نسبتها إلى أنبياء بني إسرائيل منذ نزل الوحي على موسى إلى زكريا عليه السلام ودليل حجية العهد القديم ما يلي :

ينسب إلى المسيح أنه قال (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من

---

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها - شارل جينيبيرت صـ١٤٧/ ١٨٢ ، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة صـ١٣٢ .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها صـ١٧٧.

(٣) من الفرق المسيحية من لا تؤمن بحجية العهد القديم على ما هو عليه الآن كما أن الخلاف في الكم والكيف قائم بين النصارى ، راجع الأسفار المقدسة ١٨- ٢٠ ، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ٦٥، ٦٦ ، إظهار الحق ٩٥/ ١٠٠ ، أقانيم النصارى ١٠٢- ١٠٥ .

الناموس حتى يكون الكل فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات [1].

ولذلك آمن النصارى بالعهد القديم مصدراً للشريعة إلا ما ورد مخالفاً على لسان المسيح أو تلاميذه في العهد الجديد بمثل ما يلي :

العهد القديم . (١)

العهد الجديد . (٢)

١- العمل في يوم السبت حرام (خروج ٢٩/١٦، ٨/٢٠، ١٤/٣١).

١- العمل في السبت حلال (متى ١/١٢- ١٨).

٢- إباحة الطلاق (تثنية ٢٤/ ١ ومتى ٣١/٥).

٢- تحريم الطلاق (متى ٣١/٥- ٣٢).

٣- الختان سنة مؤكدة (تكوين ٤/٢١، ٣٤/ ١٥) .

٣- الختان غير محبب (١- كورنثوس ١٨/٧).

٤- الحلف بالله جائز (مادة حلف في قاموس الكتاب المقدس) .

٤- الحلف بالله محرم شرعاً (متى ٣٤/٥).

٥- الحدود واجبة لا تسقط بالعفو (تثنية ١٨/٢٠- ٢٥) .

٥- العفو عن الحد مطلوب (متى ٢١/٥- ٤٨).

٦- الأشرار هم كفارة الخطايا (أمثال ١٨/٢١).

٦- المسيح هو كفارة الخطايا (يوحنا ٢/٢).

٧- شريعة موسى غير معيبة (مزمور ٧/١٩).

٧- شريعة موسى قاهرة ومعيبة (إلى العبرانيين ١٨/٧).

كما توجد بعض اختلافات في الأنساب والأعداد والأخبار . بسط القول فيها رحمة الله الهندي –رحمه الله –في الباب الأول من كتابه " إظهار الحق" . وابن حزم في الجزء الأول من " الفصل في الملل والأهواء والنحل " .

---

(١) متى ١٧/٥ -١٩ ، ولوقا ١٧/٢٦ ، ورومية ٣١/٣ ، ٤/١٠ ، والرسالة إلى غلاطية ٢٤/٣.

ثانياً : العهد الجديد :

وهـو مجموعـة من النصوص الدينية غير معروفة النسبة على سبيل القطع من ناحية الزمان والأشخاص ، يتكون من سبعة وعشرين سفراً تنقسم إلى :

١- الأناجيل [١]:

وهـي أربعة مختارة من بين مئات الأناجيل الأخري بعد تدوينها بفترة زمنية لا تقل عن ثلاثمائة وخمسة وعشرين عاماً وقيل ٣٠ عامـاً [٢]: أقدمها من حيث الزمن كتب بعد صلب المسيح - كما يزعم النصـارى - بثلاثيـن عاماً لشخصية مجهولة الأصل . وكذلك بقية الأناجـيل وهـي تنسـب إلى متي ، مرقس ، لوقا ، يوحنا ، ولا يعدو المحـتوى أن يكـون سيرة ذاتية مشوهة للمسيح في فترة الصبا وفترة الشباب مع التركيز على الصلب والقيامة .

وقد كتبت دراسات شتى في نقد هذه الأناجيل [٣] وكلها تدور حول :

جهالـة المؤلفيـن وجهالـة زمن التأليف وجهالة اللغة الأصلية وجهالة المترجمين وجهالة زمن الترجمة ومعارضة النصوص لبعضها داخـل الإنجـيل الواحـد وبين الأناجيل الأربعة مع اختلاف في الكم

---

(١) كلمـة " إنجيل" تعني في الفكر الإسلامي : البشارة . ويدعي المسلمون أن المراد بها محمد ﷺ " والذي أريد أن أوضحه جيداً أن كلمة إنجيل المستعملة فـي الأناجـيل الأربعـة السريانية عندما تتعلق بالمسيح تعطي دائماً معنى "الطريقة المذهبية والفكرة المعنوية" : الإنجيل والصليب صـ٢٤، ٢٥ واقرأ التفاصيل من ٣٢ - ٣٤ من نفس الكتاب .

(٢) راجـع التفاصيل في الأسفار المقدسة ٧٥- ٧٩ ، إظهار الحق صـ٢٠٦، صـ٢٠٧ ، صـ٢٢١، ٢٢٢ واختلافات في تراجم الكتاب المقدس صـ٣- ٨ ، أقانيم النصارى ١٠٢ -١٠٥ .

(٣) إظهار الحق صـ١٤٧- ٢٣٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ٢٩، ٣٨ ، الأجوبـة الفاخـرة صـ١٧٩ وتحفة الأريب صـ٩٤- ٩٩ ، والفصـل ٢/٢ - ٧٤، ١/١١٦، ١٩٩ - ٢١٦ ، والملـل والنحل بهامش الفصل ٢/٤٨ - ٦٩، أقانيم النصارى صـ١١٢- ١١٤ ، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس صـ ٣٧- ٦٥ ، ٧٦- ١٢٢.

والكيف ، فضلاً عن أن المسيح لم يوح إليه إلا بإنجيل واحد لا أربعة أناجيل . وقد عالج علماء النصارى أسباب التفاوت بعلل شتى لإقناع بني جلدتهم بذلك [1].

٢- **الأسفار** : وعددها اثنان :

الأول : سفر أعمال الرسل : وهو شبه بحث تاريخي لنشاط تلاميذ المسيح بعد وفاته وما قاموا به من أعمال وما لا قوه من إيذاء لنشر المسيحية فيما يسمى بأوربا - الآن - ومصر وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية - كما يزعمون - وقد تم اختيار سفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا من بين أسفار أخرى لأعمال الرسل لم تعترف بها الكنيسة المسيحية [2].

الثاني : رؤيا يوحنا اللاهوتي : وفي أمره خلاف من ناحية الترجمة[3] و خلاصتها أنها رؤية منامية رآها يوحنا في منامه اطلع فيها على شؤون الدنيا والآخرة من حيث الخلق والتكوين ثم اطلع على شؤون السماء وحملة العرش والملائكة وشأن المسيح الإله والصراع بين الشياطين والملائكة وكون المسيح فادياً ومخلصاً وما ينبغي أن تكون عليه الحياة كما تحدث عن مستقبل صهيون وأورشليم وعودة المسيح ونهاية العالم بخروج الدابة ويأجوج ومأجوج وطرح إبليس في بحيرة النار والقيامة العامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء في الآخرة ونعيم أهل الجنة .مع التركيز على عودة المسيح كما أوحي إليه ببعض التعاليم على سبيل الإلزام فلما استيقظ من نومه قص رؤياه التي دونت بعد وألحقت بالعهد الجديد سنة ٣٦٣ . مع أنها رفضت قبل ذلك في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م [4].

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان صـ٧٩.

(٢) الأسفار المقدسة صـ١٠١ واختلافات في تراجم الكتاب المقدس صـ٨٨: ٩٠.

(٣) راجع الكنز الجليل في مطلع إنجيل يوحنا وقاموس الكتاب المقدس (يوحنا) وتحفة الأريب ٩٨ .

(٤) الأسفار المقدسة (١٠٤، ١٠٥).

٣- **وسائل الرسل : وهي تنقسم إلى قسمين :**

الأول : أربعـة عشـر رسـالة أرسلها بولس إلى كل من الرومانيين والكورنثيين والغلاطيين والأفسسين والفليبيين والكولوسيين والتسالونيكيين (الأولى والثانية) وتيموثاوس (الأولى والثانية) وتيطس وفليمون والعبرانيين .

الثاني :الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع هي : رسالة يعقوب ، رسالة بطرس الأولى والثانية ، ورسالة يوحنا الأولى والثانية والثالثة ، ورسالة يهوذا .

وجملـة أسفار العهد الجديد سبعة وعشرون سفراً بين النصارى فيها الكثير من الخلاف (١).

ثالثاً : قرارات المجامع :

وهـي تنقسـم إلـى مسكونية (عالمية نسبة إلى المسكونة أي الأرض) ومحلـية (أي إقليمية دولية) وملية (أي الخاصة بكل طائفة على حدة).

وجمهـور النصـارى علـى حجـية قرارات المجامع . ورغم اخـتلافها فـيما بيـنها إلا أنـه يمكن القول بأن العقائد المسيحية هي بالدرجة الأولى أفكار بشرية متأثرة بالثقافات السائدة في زمنها اكتسبت قوتها من المجامع والرجوع إلى قرارات المجامع يؤكد ذلك (٢).

وحجية قرارات المجامع ترجع إلى بعض النصوص المنسوبة إلى المسيح فـي العهـد الجديـد فقد ورد في متى أن المسيح قال لبطرس (وأعطيك مفاتـيح ملكوت السموات . كل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات) (٣). كما

---

(١) راجـع اخـتلافات فـي تراجم الكتاب المقدس صـ٢٢: ٢٧ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ١٣: ٣٨.

(٢) راجع محاضرات في النصرانية ١٢٠: ١٤٩ ، والمجامع المسيحية د/محمد الشـتيوي ، مقدمة كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ، أقانيم النصارى صـ١٠٤.

(٣) متى ١٦/١٩.

خاطــب التلامــيذ بقوله: " الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السـماء وأقول لكم أيضاً إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات " (١).

كمـا وردت نصــوص مشابهة في العهد الجديد لتلك النصوص .وبهذا تقدست قرارات المجامع عند جمهور النصارى .

الناحية الثانية : أضواء على المسيحية من جهة :

أ - العقيدة :

اســتغرقت العقــيدة عــند المســيحيين قرابة أربعة قرون حتى اسـتقرت علــى ما هي عليه حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي فظهــرت حركة البروتستانت (٢) التي ردت بعض الجوانب العقدية عند الكاثولــيك(٣) والأرثونكس (٤). كما ظهرت حركات نقدية أخرى غالت

---

(١) متى ١٨/١٨ ، ١٩.

(٢) أي المعارضين وتسمى بالإنجيلية وهي فرقة تتبع مارتن لوثر الذي ساندته القيصــرية فــي ذلك الوقت للحد من سلطان رجال الدين الذين تحكموا في الجـنة والــنار والمغفرة والتعميد والعشاء الرباني .. الخ نظير أجر ، فلما وصــل ســلطانهم إلــى الحكام ودب الخلاف ساندت الحكومة مارتن لوثر وروّج لدعوته حتى عمت معظم البلدان أوربا وأمريكا ومن مبادئها :
رفــض صــكوك الغفران ، وحق قراءة الكتاب المقدس لكل فرد ، وإباحة الطــلاق والــزواج للقساوسة (الأسفار المقدسة صـــ١٢١: ١٢٦) وراجع محاضرات في النصرانية ١٦٧: ١٨٨.

(٣) تعنــي العالمــية : وتسمى بالغربية واللاتينية والبطرسية والرسولية ، تتبع الــنظام البابوى فى روما باعتباره تلميذ المسيح الأكبر ، كما أن البابا ممثل الله على الأرض وهى تعتقد بأن المسيح لــه طبيعة واحدة إلهية ، وأتباعها فى الغرب وبعض بلاد الشرق .

(٤) تعــنى المستقيم على ما عليه تلاميذ المسيح ، وتسمى بالكنيسة الشرقية أو اليونانــية وكذلــك تسمى بالمرقسية نسبة إلى القديس مرقس ، وكان مقرها القســطنطينية أولاً ثم استقرت فى مصر أخيراً تؤمن بأن المسيح واحد لــه طبيعتان إلهية ، ناسوتية ، ظهرتا فى صورة المسيح دون اتحاد أو امتزاج .

فـــي النقد حتى ادعت أن المسيح شخصية أسطورية[١] . إلا أن جمهور النصارى يعتقد بأسرار الكنيسة هي لب العقيدة . نذكر منها :

أ- **التثليث**[٢]:

أي الإيمـــان بألوهـــية الخـــالق وهـــو الله (الأب) والمسيح (الابن) وجـــبريل (الـــروح القـــدس) وهـــذه قضية غاية في التعقيد في الفكر المســـيحي وألفت فيها مئات الكتب والبحوث بهدف التبرير أو الإقناع حتى غلب عليهم (آمن ثم فكر) .

وهذا الزعم لا أساس له في الأناجيل إلا نصاً واحداً في آخر متى " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " مـــع أن النص لا يدل على الألوهية ونصوص الأناجيل لا تدل على ألوهية المسيح من قريب أو بعيد . بل إنها لتصرح في مواطن عدة بأن المســـيح " بشـــر كسائر البشر خرج من أمه مريم ورضع لبنها ، كان يجوع ويعطش ويبكي ويتألم ويعلن لتلاميذه أنه ابن إنسان وأنه لا يعلم الســـاعة ولا يعلمهـــا إلا الله[٣] وأن ما يفعله من عجائب إنما هي بقوة إيمانه ، ويمكن لكل مؤمن أن يفعل مثل ذلك وأكثر منه[٤] ، فضلاً عن مـــناداته لربه بلفظ الربوبية[٥] والألوهية[٦] مع قيام العجز به حين الصلب حيث تحداه العسكر قائلين : إن كنت أنت الله فخلص نفسك[٧]... الخ .

---

(١) المسيحية ، نشأتها وتطورها شار جينيبيرت صـــ٢٦.
(٢) تعـــدد الآلهـــة شئ من الأمور التي تعرفها البشرية عبر التاريخ وقد تأثر بها المســـيحيون الأولون ، راجع المسيحية نشأتها وتطورها صـــ١٥٠ وتحفة الأريب ١٣٩- ٤٩ اومحاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة .
(٣) إظهار الحق لرحمة الله الهندي بالتفصيل ٢/٢٦: ٣٩.
(٤) مـــتى ٢٠/١٧، ٢١/٢١ ، ومـــرقص ٢٣/١١ ولوقـــا ٦/١٧ وراجع تحفة الأريب ١٨٥: ٢٠٢ والأجوبة الفاخرة ٢٨٧: ٣٠٥.
(٥) راجـــع فهرست الكتاب المقدس مادة (ربب) والأجوبة الفاخرة ٢٩٣: ٣٠١ والفراق بين المخلوق والخالق .
(٦) فهرســـت الكـــتاب المقـــدس مـــادة (إله) وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ١٨٥/ ٢٠٢.
(٧) متى ٣٩/٢٧: ٤٤.

وعبارات الأبوة المنسوبة إليه والتي يتعلل بها النصارى فهمت علـى غير وجهها فإنه عبر عن الإله بأنه أبوهم كذلك في مواطن عدة (فإني ماض إلى أبي وأبيكم)[1] . (إذا صليتم فقولوا :أبانا الذي في السموات [2] كما أن نصوص العهد القديم مملوءة بالتعبير عن الربوبية بالأبوية ، والتعبير عن الراعي والمتعهد من البشر بأنه إله كما خوطب موسى بذلك (وهو - أي هارون - يكون لك فما وأنت تكون له إلهاً ، فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك " [3].

ودعوى ألوهية المسيح لأنه كان يحيى الموتى باطلة لأن العهد القديم - مصدر التشريع الأول عند النصارى - قد صرح بأن إيليا[4] واليشع [5]وآخرين قد أحيوا الموتى كما ورد أن حزقيال[6] قد أحيا أربعين ألفاً من الموتى ولم يقل أحد بألوهيتهم . كما ورد أن بطرس كان يحيى الموتى [7].

ولذلك وجدنا كثيرين يؤمنون بأن المسيح عليه السلام بشر رسول فقط ليس له من الألوهية حظ إلا الروح التي يحي بها كل إنسان [8]بينما وجدنا آخرين يتأثرون بالكلمات التي رددها بولس في حق المسيح والتي تحمل دلالات على ألوهيته وظلت الفرق المسيحية في صراع دائم حول طبيعة المسيح هل هي ناسوتية أو لاهوتية أو ناسوتية

---

(١) متى ١٦/٥ : ٤٥ ،٦/٤، ٦/١٨، ٢٣/٩، يوحنا ٨/٤٧ ، ومادة (أب) في فهرس الكتاب المقدس .
(٢) متى ٦/٩ ، ولوقا ١١/٢.
(٣) خروج ٤/١٥، ٧/١ .
(٤) الملوك الأول ١٧/١٧ : ٢٤.
(٥) اقرأ الإصحاح الرابع من سفر الملوك الثاني ٣٢: ٣٤.
(٦) البداية والنهاية ٢/٣٢٢.
(٧) أعمال الرسل ٩/٣٢ : ٤٣.
(٨) من الموحدين في المسيحية فرقة الأريوسيين والأبيونيين وبولس الشمشاطي . الأسفار المقدسة صـ١٠٨ ، صـ١١٠ ومحاضرات في النصرانية ١٥٠: ١٥٦ وتاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري .

لاهوتية ؟ وهنا تدخلت الهيئة الحاكمة وأمرت بعقد أول مجمع مسكوني لمناقشة طبيعة المسيح وظهرت في هذا المجمع آراء شتى منها :

المسيح بشر - المسيح إله من إله - المسيح وأمه إلهين من دون الله - الله هو الذي دخل في مريم وخرج منها في صورة إنسان - المسيح له طبيعتان (ناسوتية ، ولاهوتية) .

وقد انتهى هذا المجمع إلى تأليه المسيح واتخاذ قرار بذلك والحكم على كل من يقول بغير ذلك بالهرطقة والقتل وصدر قانون الإيمان الذي لا تصح العقيدة إلا به . وقد روج لهذا المذهب بقوة السيف وبخاصة بعد إشاعة تنصر قسطنطين[1] - والناس على دين ملوكهم - والتي لم تتحقق إلا بعد المجمع بثمان سنوات تقريباً . وبذلك تقررت ألوهية المسيح[2] .

أما ألوهية الروح القدس . فإن مجمع نيقية لم يتعرض لها وكان السائد في الفكر المسيحي أن الروح القدس مخلوق ليس بإله . وقد ركز على رواج ذلك أمر (مقدونيوس) إلا أن قلة كانت تؤمن بألوهية روح القدس - متأثرين بثالوثية الأفلوطونية - قد رفضت ذلك وبلغ الأمر الحاكم فدعا إلى مؤتمر القسطنطينية الأول (سنة ٣٨١م) لمناقشة أمر الروح القدس . وهنا تصدر ممثل كنيسة الإسكندرية المجمع وأعلن أن " روح القدس هو روح الله وروح الله هي حياته . فإذا قلنا أن روح الله مخلوقة لزم أن الله مخلوق وإذا قلنا إنها - أي حياته - مخلوقة فقد زعمنا أنه كان غير حي ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن "[3].

---

(١) كان التنصر لعلة سياسية لا لعقيدة دينية ، راجع المسيحية نشأتها وتطورها صـ١٧٢ ، مقامع هامات الصلبان ٤٥/٤٩ .

(٢) راجع المجمع بالتفصيل في تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري وموسوعة تاريخ الأقباط لزكي شنودة والأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد وافي وأقانيم النصارى /أحمد حجازي السقا .

(٣) محاضرات في النصرانية لأبي زهرة صـ١٣٣.

وقد قرر المجمع الموافقة على ألوهية الروح القدس سنة ٣٨١م بعدمـــا تقررت ألوهية المسيح سنة ٣٢٥م ، مع أن الأسس التي اعتمد علـــيها كلا الرأيين غير مسلمة لأن روح القدس هو جبريل وهو غير الله بالكلية وليس بروحه بل شأنه شأن الملائكة ولم يقل أحد بألوهيتهم .

ب- **الصلب والفداء :**

جمهور النصارى على أن آدم عليه السلام مات ولم يتب من ذنبه - الأكل من الشجرة - وقد بقى الذنب في رقاب سائر ولده بلا استثناء حتى أتى المســيح ليكفر الذنب عن السابقين واللاحقين وفقاً لشريعة الناموس - والتـــي تـــنص على تقديم ذبيحة تعرف بذبيحة الخطية كتكفير عن أي خطيئة تقع من الإنسان(١) .

ولعظـــم مقام الله وسقوط منزلة الإنسان وجدنا المسيح يقدم نفسه علـــى الصـــليب فـــداء للبشرية وخلاصاً لها ويستشهد النصارى بتلك النصوص .

كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل لِيَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (متى ٢٨/٢٠).

لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . (متى ٢٨/٢٦).

وإذا كـــان - أي قيافا- رئيساً للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مـــزمع أن يمـــوت عن الأمة وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد .(يوحنا ٥١/١١).

ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطأة مات المسيح لأجلنا (رومية ٨/٥).

فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة .(رومية ١٨/٥).

كما وردت نصوص عدة تصرح بالصلب من أجل الفداء . وليس ورود تلـــك النصـــوص فـــي الأزمنة الغابرة بغريب على العقل الذي ينتصـــر لمحبوبه بكل أمر ممكن في إطار إظهار فضل الآلهة وقدرتها

(١) لاويين ١٦/٦: ١٩.

علـــى بعضها عند اتباعها . وإنما الغريب أن يقبل العقل المسيحي هذا الأمر في عصرنا هذا ويسلم به .

إن العـــدل بيـــن الناس يقتضي أن لا يؤخذ إنسان بجريرة غيره فضلاً عن أن يقتل الإنسان ولده بذنب اقترفه غيره كما أن خطيئة فرد لا تعـــم ســـائر الأفراد فضلاً عن أفراد الدرجة الأولى إلا من الناحية المعنوية .

فكـــيف تـــتحمل البشـــرية ذنب آدم وما حكم الأنبياء السابقين على المســـيح وهـــل كانوا جميعاً في الجحيم حتى صُلِبَ المسيح ففداهم ؟ وهل يصـــلب الإله - كما يزعم النصارى - لأن واحداً من البشر عصى الإله وأين العدل في أخذ بريء بمذنب [1] وما هو موقف النصارى من نصوص العهـــد القديم التي صرحت بأن ذنوب الآباء لا تفتقد في الأبناء[2] . وهل دم المسيح يعدل دم خروف يذبح ليكفر الخطايا ... الخ .

إن دعـــوى الصـــلب لمغفرة الذنب القائم بعنق بني آدم قبل المسيح باطلة عقلاً وشرعاً وأما الصلب ذاته فأدلته غير قطعية فالمسيح لم يكـــن معروفاً للشرطة وليس بمستبعد أن يفديه أحد تلاميذه ولم ينكر ذلك التلامـــيذ حـــتى تـــتحقق نجاة ربهم . ولم ينكر يهوذا لأنه قد قبض [3]... فضـــلاً عـــن أن الأناجيل قد صرحت بأن المسيح كانت له قدرة على الـــتلون والظهور بصور شتى - فإذا سلمنا بذلك جدلاً - فأي مانع أن يكون المسيح قد تجلى بصورة أخرى غير صورته [4] ثم هرب . وأما الصـــليب - كشعار - فهو عمل سياسي بالدرجة الأولى كما فصل ذلك المؤرخون ثم صار أمراً دينياً بمضي الزمن [5].

---

(١) الأجوبـــة الفاخـــرة ٣٥١: ٣٥٤ ، مقامع الصلبان - أحمد بن عبد الصمد الخزرجي ٤٣: ٤٥، ٥١: ٥٨.

(٢) تثنية ٢٤/١٦وحزقيال ١٨/٢٠والملوك الثاني ١٤/١٦.

(٣) بيـــن الإسلام والمسيحية ١٤٣: ١٤٥ والمسيح في مصادر العقائد المسيحية صـــ١٢٧ ، ١٧٦ والإنجيل والصليب ٦: ١٢.

(٤) الأجوبة الفاخرة ١٨٤، ١٨٧ واقرأ في مرقس صح ٩/١: ٨.

(٥) مقامع الصلبان ٧٤: ٧٧، الأجوبة الفاخرة ٤١٠: ٤١٣ .

ويدعـــي النصارى أن كل من لم يؤمن بصلب المسيح من أجل الفداء فلن ينال نعمة الفداء .

جـ- التعميد :

وهــو مــن أركـــان العقيدة عند جمهور المسيحيين وذلك بغسل الطفل أو الرش عليه من ماء مقدس يضرب بأصل إلى شخص المسيح - هكــذا يزعم النصارى - بدعوى أن إحدى النساء قد مسحت عَرَق المســيح حين الصلب بفوطة سلمتها لأحد الحواريين الذي غسلها بماء واحــتفظ به . ثم رأوا إضافة مياه مقدسة إليه تصنع من بعض التوابل ويــتم توزيـــع بعض المياه المقدسة تلك على الكنائس لتوضع قطرات مــنها فــي الآبار - محل الغطس - ويسأل المسيحي حين التعميد عن الإيمـــان بالمسيح كفادي مُخلّص .. الخ ويجيب عن الطفل أحد والديه ومــن بلــغ ولم يعمد فعليه أن يتعمد ويجيب على أسئلة القسيس حول الإيمـــان و إلا كـــان إيمانـــه ناقصاً ، ويبقى الذنب المغروس في عنقه بســبب الخطيــئة الأولى قائماً[1] ويرجئ بعض النصارى التعميد إلى وقــت الوفـــاة حــتى يموتــوا وهو براء من الذنب (المسيحية نشأتها وتطورها صـــ ١٥٤).

د- الاعتراف :

فمغفــرة الذنـــوب عـــند الكاثولـــيك والأرثوذوكـــس لا تتم إلا بالاعـــتراف بالذنـــب لـــرجال الدين مع دفع مبلغ من المال مقابل تلك المغفـــرة (إن حضـــرة البابا لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقـــط . بـــل يمسح وينظف ذنوب وخطايا النصارى المتوفين أيضـــاً . (بـــإرادة كاهنـــية) واحدة أيضاً وليس هذا القدر فقط بل يمنع الرؤساء الرومانيين من الأرثوذكس والبروتستانت من أن يخرجوا من

---

(١) الإنجـيل والصـليب صــ٢١٢ ، وموسوعة تاريخ الأقباط زكي شنودة ، وحول جذوره التاريخية انظر المسيحية نشأتها وتطورها صــ١٤٨، ١٥٣.

نار الأعراف (أي المطهر) بل إنه ليملك القدرة على إصدار قرار يمنع من دخول الجنة لأي فرد شاء وهو ما يعرف بالحرمان عندهم "[1].

وقد فشى ذلك الأمر بين المسيحيين وطبعت الكنيسة الكاثوليكية مرسوماً يباع عن طريقهم بمثابة النماذج التي تباع الآن للأوراق الرسمية ولم تترك به من الفراغ إلا مكاناً لاسم الشخص الذي يشتري صك الغفران . وقد ذكرت بعض الكتب ذلك الصك كاملاً [2].

ويعتمد النصارى في هذا الاعتقاد على بعض النصوص المنسوبة إلى المسيح في العهد الجديد أوضحها قوله لتلاميذه بعد قيامته من القبر (اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت)[3].

وفهمي لتلك النصوص غير ما ذهب إليه النصارى فهي لا تعدو أن تكون دعوة للصفح عن الغير حتى يغفر الله لذلك الغير وهو ما يعرف في الإسلام بحقوق العباد التي لا يغفرها الله إلا بتنازل أصحابها عنها ولا تقبل توبة دون الخروج منها .

هـ- **العشاء الرباني** (عقيدة الاستحالة) :

يؤمن النصارى بأن المسيح ليلة القبض عليه كان جالساً مع أصحابه يتناول العشاء (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا) [4].

---

(١) الإنجيل والصليب صـ٢١٣ ولا تقر البروتستانتية هذا الأمر . راجع الأسفار المقدسة صـ١٢٢، ١٢٤ ، والمسيحية نشأتها وتطورها صـ١٦٣ ، تحفة الأريب ١٦٩: ١٧٣ والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٤٤٣.

(٢) الأسفار المقدسة صـ١٢٣ والمسيحية د/ أحمد شلبي ١٢٩/٢ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ١٩٦٠.

(٣) يوحنا ٢٣/٢٠ (وراجع مادة غفر في فهرس الكتاب المقدس) هذا ولا يعترف البروتستانت بهذا الأمر .

(٤) متى ٢٦/٢٦: ٢٨ ، مرقس ٢٢/١٤: ٢٥ ، ولوقا ١٤/٢٢: ٢٠.

وبهذا رسم لهم العشاء الرباني وذلك بعجن فطيرة بمواصفات معينة في بعض الأعياد وسكب قليل من الخمر عليها ثم تلاوة بعض الصلوات عليها كي تتحول الفطيرة إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه ويتم تقسيم ذلك على جموع المصلين بدعوى الأكل من جسد المسيح والشرب من دمه ليكون الولاء له .

وبين النصارى خلاف كبير في الاستحالة - أي تحول الخبز والخمر - هل هي حقيقة فعلاً أم روحانية [١]وقد صدر قرار من مجمعي ترنت سنة ١٥٤٥، ١٥٦٣ ورد فيه " قد اعتقدت كنسية الله دائماً بأنه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر .. لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل كما أنه هو أيضاً تحت شكل الخمر وجميع أجزائه وقد اعتقدت الكنيسة أيضاً اعتقاداً ثابتاً بأن تقديس الخبز والخمر يستحيل (يتحول) كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا وكامل جوهر الخمر إلى جوهر دمه ...) [٢].

وقد انتقد العشاء الرباني بعض علماء المسلمين[٣] لمصادمته العقل والنقل ولاستباحته الخمر بصورة غير مباشرة .. الخ فضلاً عن كون الأسرار السابقة نتاج التأثر بالفلسفات والثقافات السائدة في عصر تأسيس المسيحية كدين والذي استغرق قرابة أربعة قرون ميلادية تقريباً [٤].

---

(١) راجع (الأمور المتيقنة عندنا - القس كارل. س) ومحاضرات في النصرانية صـ١١٤- ١١٥ وفي أصله وباعثه والهدف منه . المسيحية نشأتها وتطورها صـ١٥١، ١٦٠.

(٢) الأسفار المقدسة صـ١٢١ ، ومن يُسلِم من النصارى يُذكَّر من القسيس بأنه أكل من جسد المسيح وشرب من دمه .

(٣) الأجوبة الفاخرة صـ٣١٩ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ١٦١ : ١٦٩.

(٤) راجع المسيحية نشأتها وتطورها كاملاً والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٢١: ٨٤.

وأما موقف المسيحيين من الملائكة :

فهـو ثابـت وإن كـان حديث العهد الجديد عن الملائكة مضرب المـثل في الغرابة . وبين النصارى خلاف في الكتب الموحى بها إلى السابقين وكذلك أسفار العهد الجديد ولا يؤمن جمهور النصارى بالقرآن الكريم .

والنبوة في المسيحية كسب أكثر منها اصطفاء وعصمة غير الأنبياء – من رجـال الدين ثابتة ثبوتها للأنبياء وكفر المسيحيين بنبوة محمد ﷺ واضح ومن آمن بنبوته واحد من اثنين :

أحدهما : من دان بالإسلام لتوفر الدلائل مع الاقتناع .

ثانيهما : من رآه نبياً للعرب فقط دون غيرهم فلم يؤمن به .

ويؤمـن المسيحيون بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وفي نعيم الآخرة وعذابها رأيان :

الأول : أن النعيم روحاني ليس للجسد منه حظ وهو رأي الجمهور .

الثاني : أن النعيم للجسد والروح معاً بمثل ما ورد في الفكر الإسلامي [١].

٢- أضواء على الشريعة عند المسيحيين :

أ- العبادات : لـم يشر العهد الجديد إلا إلى نوعين من العبادة : الصلاة والصوم .

والصـلاة فـي العهد الجديد لون من الدعاء بالدرجة الأولى يهدف إلى طلـب العيش وتيسير سبله مع المغفرة للمذنبين ، وأما الكم والكيف فهـو من عمل الحواريين والمجامع وبين الفرق المسيحية في ذلك خـلاف كبير وبخاصة في وضع الأيقونات (الصور ، التماثيل) في المحراب والتوجه إليها حين الصلاة . وقد حث المسيح تلاميذه على ترك الرياء حين الصلاة [٢].

---

(١) راجع التفاصيل في الأجوبة الفاخرة صـ٢٢٧: ٢٣٧ ، تحفة الأريب ٢٤٧: ٢٥٤ ، مقامع الصلبان ٩ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) متى ٦/٥ : ١٥.

وأمـــا الصـــوم فأصـــله منســـوب إلى المسيح وأما ترتيبه فهو من عمل المتأخريـــن ومزيج من صوم ذوي العقائد والديانات الأخرى . وإذا كان المسيح قد صام أربعين يوماً وليلة [١]، وهو ما يعرف بالصوم الكبير ، فإنه لم يحدد أياماً بل دعا إلى الإخلاص وترك المراء حين الأداء [٢].

ب- المعاملات : خلت المسيحية من هذا الأمر بدعوى الترك للحاكم ليلي ذلك باعتباره عملاً دنيوياً أو هو من باب الالتزام بما ورد في العهد القديم وهو ما يعد قصوراً في التشريع عندهم تنزه المسيح عنه .

جـ- الأنكحة : الـــراجح فـــي المسيحية العزوبة بل وصل الأمر إلى حد الـــتحريم للزواج عند بعض الفرق وأباحه الجمهور على أساس من الوحدة [٣]مع جواز التعدد بالتتابع إلى ثلاث فقط ، وتحريم الطلاق إلا لعلة الزنا[٤] وخضوع المرأة للرجل بالكلية مع سلبها إرادتها بعد الـــزواج ولو في ميدان التنور وبعض الطقوس وفرق البعض بين رجـــل الديـــن وغـــيره وبين الرجل الأوربي والرجل الأفريقي في الـــزواج ، بمعنى أن نظام الزواج مرتبط بالمذهب وبالبيئة والتقاليد الاجتماعية أكثر منه بالدين .

د - الحدود والجنايات : يدعـــي بعض المؤلفين أن المسيح أسقط الحد في الـــزنا والقصـــاص[٥] وهـــذه دعوى لا أساس لها من الصحة لأن المـــتهمة بالزنا التي تركها المسيح لم تتوافر الدلائل على إدانتها[٦]

---

(١) متى ١/٤: ٢ والفكر الإسلامي ٤٣٤.
(٢) متى ١٦/٦ : ١٨ والفكر الإسلامي ٤٣٦ وتحفة الأريب ١٧٤.
(٣) راجع تحفة الأريب ٢٣٩: ٢٤٤ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٤٥١ ، ٤٥٤.
(٤) متى ٣١/٥ : ٣٢ ولوقا ١٨/١٦.
(٥) الأسفار المقدسة صـــ٨١.
(٦) القصـــة في متى ٢١/٥ ويوحنا ١/٨: ١١ والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٤٣٨.

لفقدان الشهود للعدالة وأما نصوص العفو عن الجاني فهي من باب الحث لا الإلزام.

٣- **أضواء على الأخلاق عند المسيحيين** : إن فرقاً كبيراً بين ما يشرعه الله للناس على ألسنة من شاء من خلقه وبين ما يضعه الناس من قبل أنفسهم منسوباً إلى الله ، فبينما تكون التعاليم في الحالة الأولى متفقة مع الفطرة صالحة لكل زمان ومكان تكون الثانية مصادمة لها حيناً ومنكرة لها أحياناً أخرى .

والإنسان قد فطر على حب الحياة والانتصار لنفسه وحب المال والولد ولذلك طابقت تعاليم القرآن فطرة الإنسان في هذه الجوانب وفي غيرها مع تهذيبها .بينما صادمت تعاليم العهد الجديد الفطرة – إن أخذت النصوص على ظاهرها – فترك الجاني بلا عقاب مؤلم لنفسية المجني عليه وقتل النفس في الدنيا لتحيا في الاخرة مخالف للفطرة وتحريم التملك باعتباره مانعاً من دخول الجنة (لن يدخل غني ملكوت السموات) وبيع ما يملك الإنسان وتوزيع الثمن على الفقراء وكذلك ترك الزواج والانقطاع للرهبانية كل ذلك مما يصادم الفطرة .

إن النصوص المتعلقة بهذه الأمور لا يمكن أن تقبل على ظاهرها[١] ، وإلا فأين القسيس الذي يضرب على خده الأيمن فينصب الأيسر والذي يسخر ميلاً فيسير ميلين والذي يبيع ما يملك ويعطي الفقراء . وكما أن الرهبانية مصادمة للفطرة فهي مصادمة لمراد الله من خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض (الخلافة وعمارة الأرض) فبها ينقرض النوع الإنساني في أقل من قرنين على الأكثر – وقد استشهد جمال الدين الأفغاني بالأخلاق في المسيحية على أنها دين المذلة والمهانة لأنها تفرض على أتباعها السلبية . بينما الأخلاق في الإسلام من مظاهر الإيجابية فيه[٢] .



---

(١) راجع متى سمح ٥، ٦، ٧، والفكر الإسلامي في الرد على النصارى ٤٥٤:٤٤٠.
(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي صـ٦٢ ط ١١.

ثالثاً : رسالة المسيح في ضوء الإسلام

إذا كان المسيحيون قد شوهوا رسالة المسيح كما شوهوا شخصيته ، فإن الله شاء أن ينزل القرآن على محمد ﷺ وفيه القول الفصل في كثير من القضايا المختلف فيها عند بني إسرائيل : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1] ، ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[2] . ولذلك وجب بيان موقف القرآن في الجوانب التالية :

أولاً : المسيح عليه السلام في ضوء القرآن :

إن يكن للمسيح منزلة يتيه بها فهي فيما ورد بحقه في القرآن الكريم فقد أشارت نصوصه إلى نشأته ودعوته ومعجزاته وحوارييه وخروجه من الدنيا بصورة تنفي عنه الذلة والمهانة ، كما ردت الدعاوي الباطلة التي قامت به بحجج قوية تدحض الباطل وتعلي الحق .

ويمكن إيجاز القول في تلك الجوانب على النحو التالي :

١- الحمل والولادة :

قص القرآن الكريم قضية الحمل بالمسيح وفصل القول فيها باعتبارها أمراً خارجاً عن المألوف في نظم التوالد بين بني الإنسان مع إغلاق الباب أمام الاتهام لمريم أو نسبة المسيح إلى غير ما هو له وذلك فيما يلي :

أ- صرح القرآن بعفة مريم وطهارتها : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[3] . وكان ذلك نتاج التربية الحسنة و الهداية الإلهية : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا . . .﴾[4] .

---

(١) سورة النمل آية (٧٦).
(٢) سورة مريم آية (٣٤).
(٣) سورة آل عمران آية (٤٢، ٤٣).
(٤) سورة آل عمران آية (٣٧).

ب- لم يكن أمر الحمل بالمسيح هيناً بالنسبة لمريم بحكم مقاييس البشر لأن العادة لم تجر به ولذلك أنكرت بشارة الملاك لها وبينت علة الإنكار . وعندما تكررت البشارة أنكرت ذلك أيضاً لأن السبل المؤدية إلى الإنجاب غير معروفة في حياتها : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (١) .

جـ- تم النفخ في مريم بروح أريد بها رجلاً حددت الملائكة اسمه وصفته وكنيته : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾ (٢) . مع التركيز على عفتها وطهارتها : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ (٣) .

د - الحمل بهذه الصورة كان آية من آيات الله الدالة على قدرته : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ (٤) ، ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

٢- النشأة :

وقد صوِّرت في القرآن بما يلي :

أ- أنطق الله المسيح في المهد أمام قوم مريم وقد ألهمه النطق بما ينفي الدعاوى الباطلة بعد ، وذلك بإعلان عبوديته لله وما خصه الله به من جمال وخصائص : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (٦) .

---

(١) سورة مريم آية (٢٠).
(٢) سورة آل عمران آية (٤٥).
(٣) سورة الأنبياء آية (٩١).
(٤) سورة المؤمنون آية (٥٠).
(٥) سورة الأنبياء آية (٩١).
(٦) سورة مريم آية (٢٧: ٣٣).

ب- لـــم يشر القرآن إلى حياة المسيح باعتبار أن ذلك أمراً لا تبني عليه عقيدة وما أشار إلا إلى الجوانب السلبية التي علقت به من قـــبل أتباعه أو المعرضين عنه ليبطلها .وكانت نصوص القرآن هـــي القول الفصل في هذا الميدان : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (١) ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢) .

جـــ- تمتع المسيح بصفات جمال وكمال عدة منها : الوجاهة في الدنـــيا بالنبوة والرسالة - الوجاهة في الآخرة بمنزلته النبوية - مـــن المقربيـــن عـــند الله - مـــن الصالحين - أتاه الله الكتاب والحكمـــة وعلم التوراة وأنزل عليه الإنجيل - كما تصور ذلك سورة آل عمران (٣).

٢- دعوة المسيح ﷺ:

أتى المسيح بالإسلام كما صرح بذلك القرآن على لسان حوارييه ولخـــذاً بظواهـــر نصـــوص القرآن . حين قال للحواريين : ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤) كما صرح بأن رسالة نزلت عليه من الله اسمها الإنجيل: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ . . .﴾ (٥) ، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦)، كما صرح بتضمين الإنجيل أمر محمـــد ﷺ (٧) وقـــد بيـــن القرآن أن المسيح قد كلف بدعوة قومه إلى الأمور التالية :

---

(١) سورة مريم آية (٣٤).
(٢) سورة الزخرف آية (٥٩).
(٣) سورة آل عمران الأيات (٤٥: ٥٠).
(٤) سورة آل عمران آية (٥٢).
(٥) سورة آل عمران آية (٣، ٤).
(٦) سورة المائدة آية (٤٦).
(٧) سورة الأعراف آية (١٥٧) والفتح آية (٢٩).

أ- الإيمـــان بالله الواحد الخالق للجميع بلا استثناء : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ .... ﴾[1].

ب- كلف بعبادات منها : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾[2] ، ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[3].

جـ- كلف بأخلاق ومنها: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[4] .

د- تصـــحيح مســـار دعوة أنبياء بني إسرائيل بعد انحراف الأتباع بهـــا: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[5].

٤- معجزات المسيح :

لقـــد أعطي المسيح قدرة على خرق العادة بما لم يُعط غيره من الأنبـــياء . وقـــد صـــرح القرآن بأن الله مكن للمسيح من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار بالأمور الغيبية والقدرة على تصوير طـــير من طين ثم النفخ فيه ليتحرك ونزول المائدة من السماء (تكثير الطعـــام) وهـــذه الخـــوارق الحسية كانت تناسب الزمن فضلاً عن قوة تاثـــيرها علـــى مشاهديها ولم يشر القرآن إلى الأعداد أو الأحداث التي وقعـــت مـــن المسيح بهذا الخصوص وإن تكلف المفسرون في الطلب ناقلين عن العهد الجديد أو مسلمي أهل الكتاب الكثير بهذا الخصوص .

٥- خروج المسيح من الدنيا :

صـــرح القرآن الكريم بنهاية المسيح عليه السلام قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾[6] .

وللعلماء في خروج المسيح من الدنيا رأيان :

---

(١) سورة المائدة آية (١١٧).
(٢) سورة مريم آية (٣١).
(٣) سورة البينة آية (٥).
(٤) سورة مريم آية (٣٢).
(٥) سورة الزخرف آية (٦٣).
(٦) سورة آل عمران آية (٥٥).

الأول : أنـــه توفي وفاة حقيقة أخذاً بظاهر النص القرآني وما ورد من آثار في المعراج تتحدث عن ملاقاة الرسول لعيسى بن مريم وغيره من الأنبياء وظاهر النص : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ .... ﴾[1] وظاهر الحديـــث " إن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحـــد .. "[2] ولو كان حياً على الأرض لآمن بمحمد ﷺ وتبعه وشاركه الجهاد . وأما حياته في السماء فهي كحياة سائر الأنبياء [3].

الثانـــي : أن التوفـــي بمعـــنى النوم لا الموت وأن المسيح حي كحياة الشـــهداء فـــي مكـــان لا يعلمه إلا الله وأنه سيعود ليستوفي أجله ويكلم الناس كهلاً ثم يلقى ربه في آخر الزمان [4].

ثانياً : حواري المسيح في ضوء القرآن :

لقد آمنت قلة قليلة بالمسيح عليه السلام وكانت مضرب المثل في الثبات على الحق ونصرته حتى إن القرآن قد دعا المسلمين إلى التأسي بهؤلاء فضلاً عن ثنائه عليهم .. : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[5] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ .. ﴾[6]

وقـــد طلب الحواريون من المسيح خرق العادة لهم فاستجاب الله لهم ذلك إلا أن الاستجابة كانت مشروطة بنزول العقاب على من كفر : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٤).
(٢) الحديـــث صـــحيح البخاري ك العلم صـــ٤٠ط :دار إحياء التراث . ومسند أحمد ١٢١/٢ ، ١٣١ .
(٣) جـــامع البيان ٢٩٠/٣، المحرر الوجيز ١٤٣/٢ ، البحر المحيط ٢٧٣/٢ ، الميزان في تفسير القرآن ٢٠٧/٣، القرطبي ١٠٠/٤.
(٤) جـــامع البيان ٢٨٩/٣، المحرر الوجيز ١٤٣/٢، ١٤٤ ، البحر المحيط ٢/ ٢٧٣، الميزان في تفسير القرآن ٢٠٧/٣.
(٥) سورة آل عمران آية (٥٢).
(٦) سورة الصف آية (١٤).

ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ۞ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾[1] .

ثالثاً : معتقدات النصارى وموقف القرآن منها :

لقد كان للحمل بالمسيح من غير أب ولخروجه من الدنيا بصورة مفاجـئة وغير متوقعة ولمعجزاته - فضلاً عن المناخ الاجتماعي زمن المسـيح - كبير الأثر في أن ينسب إليه ما هو منه براء ، وما ظلم نبي من النصارى المحبين له والحاقدين عليه بمثل ما ظلم المسيح عليه السلام حال حـياته وبعـد مماتـه ويمكن إيجاز أهم الشبهات التي فندها القرآن في الجوانب التالية :

١- عقيدة التثليث عند النصارى أو تأليه المسيح :

لقـد صرح القرآن بكفر كل من يقول بالتثليث : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[2] ، ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[3] ونهى أهـل الكتاب عن ذلك : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد . . . ﴾[4] . وصرح القرآن بأن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة وأن المسيح سوف يتبرأ منها يوم القيامة[5] .

---

(١) سورة المائدة آية (١١٢: ١١٥).
(٢) سورة المائدة آية (٧٢).
(٣) سورة المائدة آية (٧٣).
(٤) سورة النساء آية (١٧١).
(٥) سورة المائدة آية (١١٦، ١١٧).

٢- دعوى البنوة والولدية :

ندرك من نص القرآن أن دعوى البنوة لله من الأمور التي عرفتها البشرية فرادى وجماعات . وقد ردَّ القرآن على تلك الدعوى وأبطلها . فلقد آمن اليهود ببنوة عزير[١] وادعو بنوتهم لله[٢] وآمن النصارى ببنوة المسيح[٣] وادعو لأنفسهم مثل ذلك[٤] سواء أريد بنوة الرعاية والعناية أم البنوة الحقيقية . كما ادعى بعض العرب مثل ذلك[٥] . وقد نزه الإسلام الخالق عن الأبوة بمعناها الحقيقي وكذلك الولدية [٦] . كما صرح ببطلان ذلك عقلاً: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[٧] . ولو شاء ذلك ما تركه للناس : ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ﴾[٨]. بل صرح بموقف الجن من هذا : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[٩]. وهدد الإسلام كل من يقول ذلك : ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[١٠].

٣- دعوى الصلب :

نزه القرآن المسيح عن الميتة المشينة التي يدعيها اليهود ويؤمن بها النصارى (الموت على الصليب) : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١١] كما صرح بتوبة آدم عليه السلام وقبول التوبة منه .

---

(١) سورة التوبة آية (٣٠).
(٢) سورة المائدة آية (١٨).
(٣) سورة التوبة آية (٣٠).
(٤) سورة المائدة آية (١٨).
(٥) سورة مريم آية (٨٨، ٩١، ٩٢) ، الصافات آية (١٥٢)، والأنبياء آية (٢١).
(٦) سورة الإخلاص آية(٣) والنساء آية (١٧١)، ومريم آية (٣٥) ، والمؤمنون آية (٩١) ، والفرقان آية (٢)، والبقرة آية (١١٦) ، ويونس آية (٦٨)، والإسراء آية (١٧).
(٧) سورة الأنعام آية (١٠١).
(٨) سورة الزمر آية (٤).
(٩) سورة الجن آية (٣).
(١٠) سورة الكهف آية (٤).
(١١) سورة النساء آية (١٥٧، ١٥٨).

٤- عقيدة الرجعة :

أشارت نصوص قرآنية إلى أن المسيح من علامات الساعة [١]. وأنـــه لن يموت يهودي ولا نصراني إلا ويؤمن به قبل موته . كما أن النص على كلامه في مرحلة الكهولة يرجح عودته إلى الدنيا مرة ثانية لارتفاعـــه فـــي مرحلة الشباب .: فضلاً عما ورد بالسنة من أحاديث تؤكد ذلك . هكذا يرى جمهور علماء المسلمين .

ويرى بعض علماء المسلمين أن المسيح لاقى ربه على خير وجه ولهـــم فهم للنصوص غير ما سبق ، وخلقه بغير أب دليل على إطلاق القـــدرة وإيمان اليهودي والنصراني يكون بسؤال كل يهودي ونصراني لحظـــة التوفـــي عـــن عيسى عليه السلام متسائلين : هل يأتي كنبي ورسول بشريعة جديدة أو كداعي من الدعاة ؟ والأولى باطلة والثانية عبث كما أن الإكـــراه علـــى العقيدة ليس من مبادئ الإسلام ولا يجوز للمسلمين كســـر الصـــليب وقتل الخنزير والإكراه على الإسلام فكيف يكون ذلك مـــن عيســـى ؟ ومحمد – عليهما السلام – لم يفعله كما أن عموم الإسلام لسائر الأرض مصادم لنصوص القرآن[٢] وأما الأحاديث فإنها أحاديث آحاد لا يبنى عليها عقيدة .

وبذلك أصبح في الفكر الإسلامي رأيان :

رأي الجمهـــور : بعـــودة المسيح في آخر الزمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام [٣].

رأي ثان : بعدم العودة لمصادمة ذلك لبعض نصوص القرآن والعقل [٤].

وأما عودة المسيح في الفكر الديني المسيحي فهي عقيدة منصوص عليها في الأناجيل لتكون له ولأتباعه الغلبة على غيرهم بعد عودته .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الزخرف آية (٦١).

(٢) ســـورة الـــبقرة آية (٢٥٦) ، يونس آية (٩٩، ١٠٠) ، هود آية (١١٨، ١١٩)، الكهف آية (٢٩) ، الغاشية آية (٢١: ٢٦) .

(٣) المحرر الوجيز ٢٨٧/٤ ، البحر المحيط ٢٩٢/٣، الجامع لحكام القرآن ٦/ ١١ ، المـــيزان فـــي تفسير القرآن ١٣٤/٥، صحيح مسلم ك الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حديث ٢٤٢، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٨٨/٤ ، البحر المحيط ٢٩٣/٣، الجامع لأحكام القرن ١٠/٦-١١ ، المـــيزان فـــي تفسير القرآن ١٣٥/٥ ، صحيح مسلم ك الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ حديث رقم ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧ ، ٢٧١.

أهم المراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الكتاب المقدس . طبعة العيد المئوى ١٩٨٣م . دار الكتاب المقدس – مصر .

٣- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ دار صادر – بيروت ط ١٩٧٩م.

٤- ابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير ط المكتب الإسلامى – بيروت ١٩٦٥م .

٥- ابن الديبع الشيبانى : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ط إدارة إحياء التراث – قطر ١٩٨٢م .

٦- ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك : دار سويدان ، بيروت .

٧- ابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ط ونشر دار المعرفة بيروت ط٢ ١٩٧٥م .

٨- ابن خلدون : المقدمة . تحقيق د على عبد الواحد ط دار الشعب القاهرة

٩- ابن سعد : الطبقات الكبرى . دار صادر – بيروت .

١٠- ابن كثير : ١- تفسير القرآن العظيم . ط دار المعرفة – بيروت –١٩٦٩ م . :٢- السيرة النبوية . تحقيق مصطفى عبد الواحد دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م .

١١- أبو الحسن الندوى : السيرة النبوية . إدارة إحياء التراث – قطر ١٩٨٧م .

١٢- أبو عبيدة الخزرجى : مقامع هامات الصلبان . تحقيق أ.د محمد شامة نشر – وهبة – القاهرة وهو المسمى بـ(بين الإسلام والمسيحية).

١٣- أحمد السقاف : العنصرية الصهيونية فى التوراة . شركة الربيعان – الكويت ١٩٨٤م .

١٤- أحمد بن عبد الصمد الخزرجى : مقاطع الصلبان . تحقيق د عبد المجيد الشرفى . نشر مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية – تونس ١٩٧٥.

١٥- أحمد بن على الحريرى : الإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين . تحقيق د سهيل ذكار . نشر مكتبة دار الملاح – دمشق .

١٦- أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى . دار الأنصار . الجمهورية – القاهرة ط ١٩٧٧م
: التوراة السامرية ط دار الأنصار – مصر ١٩٧٨م.
١٧- بولس حنا مسعد : همجية التعاليم الصهيونية . المكتب الإسلامي – القاهرة .
١٨- أحمد عبد الوهاب : ١- اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس . ط ١. وهبة – القاهرة ١٩٨٧م .
: ٢- المسيح في مصادر العقائد المسيحية ط ونشر مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٨م .
١٩- أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة مركز بحوث السيرة والسنة . جامعة قطر . ط١ ١٩٩١م .
٢٠- بكر زكي عوض : القتال مشروعية وآدابا فى الإسلام واليهودية والنصرانية . بحث بحولية كلية الشريعة – قطر العدد التاسع .
: أثر القرآن في الدراسات النقدية للكتاب المقدس . بحث كلية الشريعة – جامعة قطر – العدد الثامن .
٢١- جلال الدين السيوطي : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . دار المعرفة – بيروت .
٢٢- جورج بوست : فهرست الكتاب المقدس . مكتبة المشعل . بيروت ١٩٨١م .
٢٣- رحمة الله الهندي : إظهار الحق . ط إدارة الشئون الدينية – قطر .
٢٤- حمد دراج : وثائق دير صهيون بالقدس . ط ونشر الأنجلو المصرية ط١ ١٩٦٨م .
٢٥- ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية . ترجمة أحمد عبد الله . عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٥م .
٢٦- زكى شنودة : تاريخ الأقباط . دار المعارف – القاهرة .
٢٧- سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى – الأنجلو المصرية .
٢٨- سهام نصار : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية . دار الوحدة – بيروت ط١ ١٩٨٠م .
٢٩- شارل جينيبير : المسيحية نشأتها وتطورها . ترجمة أ.د عبد الحليم محمود – المكتبة العصرية بيروت .
٣٠- عبد الأحد داود : الأنجيل والصليب . ط القاهرة – سنة ١٣٥١هـ .

٣١- عبد القاهر البغدادى الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٣م .
٣٢- عبد الله التل : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام . المكتب الإسلامى – بيروت ط ٢ .
: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . المكتب الإسلامى ط٣ ١٩٧٩م .
: جذور البلاء . المكتب الإسلامى ط ٢ ١٩٧٨م .
٣٣- عبد الله الترجمان : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب . تحقيق عمر وفيق الداعوق . نشر دار البشائر الإسلامية . بيروت – لبنان ط ١ ١٩٨٨م .
٣٤- عبد المجيد الشرفى : الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى . الدار التونسية للنشر ط١ تونس ١٩٨٦م .
٣٥- علـى عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة . ط دار نهضة مصر – القاهرة ١٩٧١م .
٣٦- ظفر الإسلام خان : التلمود تاريخه . تعاليمه .
٣٧- القرافى : أحمد بن إدريس : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة . تحقيق د. بكر زكي عوض ط٢ نشر مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٧٨م .
٣٨- كارل سي (القس) : الأمور المتيقنة عندنا .
٣٩- محمد أبو زهرة (الإمام) : محاضرات فى النصرانية .ط دار الفكر العربى ط٢ ١٩٨٢م .
٤٠- محمد بن إسماعيل البخارى : صحيح البخارى ط الشعب – القاهرة .
٤١- محمد خليفة التونسى : الخطر الشيوعى . بروتوكولات حكماء صهيون دار الكتاب العربى لبنان ط ٥ ١٩٨٠م .
٤٢- محمد عزة دروزة : اليهود فى القرآن : دمشق – دار الجيل – ١٩٨٠م .
٤٣- محمد فريد أبو حديد : تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق والغرب .
٤٤- محمد كمال دسوقى : وآخرون : الصهيونية والنازية دراسة مقارنة دار المعارف – مصر ١٩٦٨م .
٤٥- محمد نبهان الخباز : الاصطفا فى سيرة المصطفى . ط دار إحياء التراث الإسلامى قطر ١٩٨٦م .
٤٦- محمد نمر الخطيب : حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية . ط دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٩م .

٤٧- محمــود ثابت الشاذلى : الماسونية عقدة المولد وعار النهاية . ط ونشر مكتبة وهبة ط ١ ١٩٨٦م .
٤٨- المســعودى - أبو الفضل المالكى : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل . تقديم وتحقيق د. بكر زكى عوض .
٤٩- معين أحمد محمود : الصهيونية والنازية . المكتب التجارى للطباعة - بيروت ط ١ ١٩٧١م .
٥٠- الواقــدى : مغازى الواقدى . تحقيق د مارسدن جونس . نشر عالم الكتب . بيروت ط بمصر سنة ١٩٦٥م .
٥١- ولــيم إدى : الكــنز الجلــيل فى تفسير الإنجيل . صدر عن مجلس الكنائس بيروت ١٩٧٣م .
٥٢- يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة . دار المعارف - القاهرة .



فهرس الكتاب